قضايا أوروبية وغربية شائكة

الجزء الأول

1

الدكتور
ميثاق بيات عبد ألضيفي




مكتبة
طريق العلم



قضايا أوروبية

وغربية شائكة

قضايا أوروبية

وغربية شائكة

أستاذ التاريخ الأوربي المساعد الدكتور

ميثاق بيات عبد ألضيفي



رقم التصنيف : 940

المؤلف ومن هو في حكمه : الضيفي، ميثاق بيات عبد.

عنوان الكتاب : قضايا اوروبية وغربية شائكة الجزء الاول.

رقم الإيداع : 2014/5/2300

الواصفات : تاريخ اوروبا// القضايا//

بيانات الناشر : عمان – دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

(ردمك) ISBN 978-9957-32-851-1

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية.

الطبعة الأولى 2015-1436هـ



دار الحامد للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - شفا بدران - شارع العرب مقابل جامعة العلوم التطبيقية

هاتف: 5231081 6 962+ فاكس: 5235594 6 962+

ص.ب. (366) الرمز البريدي: (11941) عمان – الأردن

www.daralhamed.net

E-mail : daralhamed@yahoo.com


بسم الله الرحمن الرحيم
إنا فتحنا لك فتحا مبينا
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا
مستقيما • وينصرك الله نصرا عزيزا •
صدق الله العظيم

همسة وفاء

قلة من الناس أولئك الذين حازوا سمات الإنسانية والتواضع والكفاءة، ليسبحوا "وحدهم" في فلك النبل وعلو القدر، سيماهم الصفاء ومتعة العطاء, لا يسألون مقابل ذلك إلا الاحتساب والدعاء...

المحتويات

المقدمة

إننا ندفع ثمنا غاليا من جراء خوفنا من ألفشل. إنه عائق كبير للتطور يعمل على تضييق أفق ألشخصية ويحد من الاكتشاف والتجريب، فلا توجد معرفة تخلو من صعوبة وتجربة من ألخطأ والصواب. وإذا أردت الاستمرار في ألمعرفة عليك أن تكون مستعدا طيلة حياتك لمواجهة خطورة ألفشل.

هذا هو مرتكز مؤلفنا إذ اخترنا عدة قضايا تاريخية غربية بوجهيها الأوربي والأمريكي وأشبعناها تحليلا وتمحيصا وتنقيبا في محاولة حقيقية لمحورت وبيان خبايا مواضيعنا التي بكرنا في اعتمادها لذا جاءت صورها لتؤكد إن التاريخ قابل بمفاهيمه وتعاليمه لخلع قناعه المزيف وكشف وجهه الحقيقي دام توفر المؤرخ المحايد فكرا وفعلا وقلما وكلمة.

في كتابنا هذا دراسات عدة وبحوث عديدة كان لنا السبق التاريخي في دك معاقلها وإبراز حقائقها فكشفنا في **باب كتابنا الأول** أفكار كلا من بونابرت ودزرائيلي وأتاتورك وأوضحنا اثر اللهجة العراقية العامة باللغة العبرية الفصحى ومررنا على سياسات الألمان والأمريكان والروس تجاه الدولة العثمانية.

أما **الباب الثاني** لكتابنا فقد تم به التنقيب والتمحيص عن مختلف الملفات المخفية والمنسية في عتمة إدراج الحرب العالمية الأولى. وفي الأخر نؤكد إن دراساتنا وبحوثنا التي احتواها بابي كتابنا قد تم نشرها جميعا في مجلات محكمة في العراق والمغرب.

البَابُ الأَوَّلُ

ملفات تاريخية شائكة

الباب الأول

ملفات تاريخية شائكة

الإسلام والنبي محمد (ﷺ)، من وجهة نظر نابليون بونابرت:

يعد الإسلام أكثر من أي عقيدة دينية أخرى مندمج بعمق شديد كمؤسسة ونظام في الدولة والمجتمع, وقد شاع إلى حد كبير إن الإسلام هو المنافس السياسي والأيدلوجي للغرب. وثمة أسباب كثيرة تطرح نفسها قد تنطوي بذلك تحت مظلة التاريخ الطويل للمواجهة الدينية بين الإسلام والمسيحية وهي المواجهة التي امتدت قرونا عدة وخلفت تاريخا لم ينسه العالم الإسلامي.

وعلى الرغم من إن عددا محدودا من المحللين الجادين هم الذين طرحوا مشكلة العلاقات بين الغرب والإسلام وتحت عنوان الغرب والإسلام أو الإسلام مقابل الغرب فأن التعبير حقق قدرا من الشيوع في الغرب والشرق على حد سواء وحظي هذا المفهوم باهتمام جاد دوليا. ولكننا هنا نتسائل هل حقا إن الإسلام هو ضد الغرب أم إن هذا كله مفهوم مبني على أساس غير سليم, وهل هناك حقا قضايا تستحق مواجهة بين الإسلام والغرب, وما هي أفضل وسيلة للتعامل مع الخلافات ما بين الطرفين.

وعلى كلا فأن عبارة الإسلام والغرب تشتمل على سلسلة من التصورات التاريخية والنفسية ذات الجذور العميقة والراسخة. وان كان مفهوم الإسلام واضحا لدينا لأننا مسلمين فأننا نحتاج فعلا لتحديد وإيضاح مفهوم الغرب ومعناه.

ولإيضاح ذلك ارتأينا إيضاح مفهوم الإسلام بفكر وعين شخصية غربية كان لها الدور الأكبر في التاريخ الأوربي في مطلع القرن التاسع عشر وهي شخصية نابليون بونابرت الذي كتبت عنه عدة اطاريح ورسائل جامعية وعدد كبير من الأبحاث إضافة إلى العشرات من الدراسات وفي مختلف اللغات, إلا إن كل ما كتب

عنه لم يوضح لنا مدى تأثره بالإسلام وبشخصية النبي محمد (ص) وبالشخصيات التي رافقته, فكل ما كتب عنه أساء لعلاقة بونابرت ومفهومه عن الدين الإسلامي وكأن هذا الرجل لم يكن له أي تأثر بالإسلام وبالنبي محمد (ص), فحاولنا هنا إيضاح المفاهيم الأساسية لبونابرت عن الدين الإسلامي وبيان مدى تأثره بالنبي محمد (ص) وقيامه بمحاولة تقليد المفاهيم والتعاليم الإسلامية في شتى ادوار حياته.

الغرب والإسلام والنبي محمد (ص):

يشاع إلى حد كبير تصوير الإسلام بأنه المنافس السياسي والأيدلوجي للغرب ويرتكزون في ذلك إلى المواجهة الدينية بين الديانتين الإسلامية والمسيحية,[1] ومع هذا فأن العلاقة بين الديانتين يصعب وسمها بالمواجهة وحدها إذ إن الغرب وظف الديانة المسيحية لتحقيق إطماعه الامبريالية والصناعية والاستعمارية للتوسع والسيطرة على البلاد الإسلامية.[2]

ويعد الإسلام قوة ثقافية متمايزة عن الغرب منحته مناعة كبيرة لمواجهة الغارات والانتهاكات الغربية,[3] والتزاما بأيدلوجية بحثنا هذا فأن الغرب يرى إن مصطلح (مسلم) يضم جميع المؤمنين بالإسلام من الممارسين لشعائره, أو ممن يعتبرون أنفسهم مسلمين بالمعنى الثقافي ,أي جزء من مجمع إسلامي سواء كانوا يمارسون شعائر الإسلام أم لا.[4] وتشير كلمة أو مصطلح مسلم إلى مدى واسع من الممارسات الثقافية الخاصة بالإسلام عبر الكرة الأرضية.

إما الغرب وكما يراه المسلمون فهو كل العالم الصناعي أي من لهم نفوذ مهيمن على الاقتصاد العالمي, [5] وهناك قسم من المسلمين يرى الغرب على انه الأمم المستعمرة سابقا أي معظم الدول الأوربية التي غزت وهيمنت على بلاد العالم الإسلامي في مرحلة من التاريخ, [6] إما القسم الأخير من العالم الإسلامي فانه يرى الغرب على انه عناصر من السكان الغربيين المنعدمين الفكر والتقاليد الأصيلة والذين لديهم انطباعات سلبية تجاه الإسلام دينا وحضارة.[7] وبهذا يتضح إن

المسلمين على غير اتفاق إن الغرب يتمثل في كتلة واحدة بل بنظرهم هو إشكال وأنواع عدة.

ومن يتداخل مع الغربيين سيجد أنهم ومهما كانت درجة تدينهم لا يعدون أنفسهم مسيحيون لان مفهوم المسيحية في حقيقة الأمر عند غالبية المسيحيين من ذكريات العصور الوسطى,[8] ولكن بالنسبة إلى المسلمين الذين لا يزالون يحتفظون بمفهوم الأمة الإسلامية فان مصطلح المسيحية لا يزال ذات قيمة من حيث دلالته بأعتبارة الصورة المماثلة للأمة. [9]

ثمة قضيتان أساسيتان تحددان خصائص تصور المسلم لعلاقته بالغرب، هما نقض التفوق الطويل المدى للحضارة الإسلامية وغلبة تصور واسع النطاق بين المسلمين بأنهم تحت الحصار المفروض من الغرب وإنهم يعملون من موقع الضعف والتعرض للخطر.[10] كما يحمل المسلمين في وعيهم صور حية عن عصر امتد قرابة إلف عام من التفوق الإسلامي بالجوانب الثقافية والفكرية والعلمية والعسكرية, والذي آفل قبيل عصر النهضة الأوربية, عقب ذلك فترة انهيار إسلامي وتفوق أوربي وعلى مدى الجانب الأكبر من هذه الحقبة فرضت أوربا نفسها كصاحبة للهيمنة الحديثة والسلطان الاستعماري والامبريالي.[11]

مع كل ما تقدم إن الإسلام يملك ثقافة راسخة عالميا وتداخلت شريعته ومعاييره وقيمه بشكلا واسع لتضاهي الحضارة الغربية في البلدان الغربية نفسها،[12] وهكذا فان نظرة الإسلام إلى المسيحية هي أنها بعد إن قدمت إلى العالم تعاليم جديدة وبعضها مسلم بها منذ أيام النبي موسى, لكن المسيحيون حرفوا وصايا الله واتخذوا الرسول المرسل لهم إلهه يعبدونه من دون الله ذاته وفي واقع الحال انه باستثناء ما حرفوه فإننا نجد أجزاء كبيرة من الديانة المسيحية وحتى اليهودية هي من صلب الديانة الإسلامية لان هذه الديانات الثلاث هي في الأساس أديان توحيدية.

ولإيضاح ما تقدم فنؤكد إن النبي محمد (ص) حين وضع وأسس دعائم الإسلام لم يضع ويؤسس فقط دعائم ثورة دينية بل ثورة اجتماعية واقتصادية

وسياسية أيضا،[13] وحين ظهر في شبه الجزيرة العربية والتي كان يسودها ولاء قبلي هو مناط التزام سياسي نهائي دعا إلى إنشاء وبناء امة إسلامية جديدة أي بناء مجتمع يسمو على جميع الخلافات العرفية والقبلية والإقليمية وتكون له هويته الجديدة،[14] ولقد كان العالم اجمع مدعوا للدخول في الإسلام.

وان النبي محمد (ص) هو النبي الوحيد الذي رأى الكرة الأرضية كلها مسجدا فيمكن للمسلم إن يؤدي شعائر الصلاة فوق أي بقعة يجد نفسه فيها ما دام قد اتخذ الكعبة قبلته، ويؤكد الإسلام على العزة بالنفس وعلى شعور المرء بأنه في بيته حيث ما كان على الأرض سواء كان في ظروف مألوفة أم غير مألوفة، من دون الحاجة إلى معرفة لغة أو ثقافة المكان.[15]

نابليون بونابرت والإسلام والنبي محمد (ص):

وان ما حدث من توسع عالمي في القرن السابع يبدو مذهلا و لن نفهمه ما لم ندرك طبيعة وحقيقة تعاليم الإسلام.[16] فهل وصلت هذه المفاهيم والتعاليم والنصوص التاريخية إلى ابرز الشخصيات الغربية في مطلع القرن التاسع عشر وهي شخصية نابليون بونابرت, وغيرتها وصقلتها وخالفت أفكاره أفكار ودواخل معاصريه, وهل تأثر بونابرت فعلا بالإسلام وهل عرف ماهية الإسلام, وما هي وجهة نظرة حول الإسلام والنبي محمد (ص), وما علاقته بالتعاليم الإسلامية, لكن قبل ذلك كله لابد إن نعرف من هو نابليون بونابرت وما العصر الذي ظهر فيه.

ظهر نابليون بونابرت مع إحداث الثورة الفرنسية الكبرى والتي اجتاحت فرنسا في 14 تموز 1789, ولم تكن هذه الثورة إلا ثمرة تحولات شهدها الفكر والمجتمع الأوربي وان ما أفضت إليه في يوم انطلاقها بقيامها بإسقاط سجن الباستيل والذي كان رمزا من رموز مرحلة مديدة قامت على القهر والاستغلال فقد كان ذلك انجازا يكاد إن يمثل الإنسانية المكافحة ضد الطغيان,[17] كما عنى ذلك

بزوغ عصر جديد ما لبث إن انكشف عن إلغاء كلا من النظام الملكي والجبروت الإقطاعي وإعلان النظام الجمهوري وإقرار لائحة حقوق الإنسان.[18]

ولما تم إعدام ملك فرنسا لويس السادس عشر 1774-1793 في 21 كانون الثاني 1793, [19] وفرغ روبسبير من تصفية حسابات المؤتمر الوطني مع ثورة الفاندونيين المضادة والتي قام بها مزارعي مدينة فانديه يقودهم النبلاء ورجال الكنيسة [20], كل هذا أدى إلى إن تدخل الثورة الفرنسية مرحلتها الثانية وانحرافها الأول ,ذلك إن الصراع احتدم بين طلبات الجماهير الفرنسية من القاطنين في المدن بشكل خاص وبين قوات المؤتمر الوطني, فتجاوزت الثورة حدودها البرجوازية ولما حاول روبسبير مدعوما بالكتلة اليسارية إنشاء ديمقراطية اجتماعية ودكتاتورية ثورية خسر معركته مع اليمين المتمثل بالجيرونديين والذين أعادوا الجمهورية البرجوازية من جديد.[21]

وان ما بدا انحرافا وانزلاقا للثورة كان يقوم بالقياس إلى مسارها البرجوازي الذي أوصله الجيرونديون إلى أزمات خانقة نتيجة دخولهم في الحروب الأوربية وحروب الغزوات الاستعمارية, [22] مما أدى إلى حدوث انقلاب بليريال في 4 أيلول 1797 بإسناد الضابط نابليون بونابرت والذي عمل بموقفه هذا إلى تقوية السلطة التنفيذية وإعلان السيادة الوطنية.[23]

وما إن قاد بونابرت الحملة الفرنسة إلى مصر والتي كان الهدف الأساس منها ضرب المصالح البريطانية في الشرق, [24] حتى ازدادت الأمور سوءا داخل فرنسا وخارجها إذ دبت الفوضى وتفاقمت الأزمة الاقتصادية وانهارت الجيوش الفرنسية في أوربا وعلت من جديد فكر الثوار الفرنسيين عبارة (الوطن في خطر),[25] ونتيجة لانكسار الجيش الفرنسي بحصار مدينة عكا, اثر بونابرت الرجوع متخفيا إلى باريس وذلك احتراسا من الوقوع في اسر الأسطول البحري البريطاني والذي كان يرصد أية تحركات فرنسية قرب مصر.[26] وما إن وصل

بونابرت باريس حتى بادر إلى تزعم انقلاب برومير في شهر تشرين الثاني 1799 وقضى على حكومة الإدارة (الديركتوار),[27] وعد ذلك نهاية لعصر الثورة الفرنسية الكبرى وبداية لعصر نابليون بونابرت والذي ابتدئه بسلسلة انتصارات أعقبها إعلان نفسه إمبراطورا.[28]

وفي حقيقة الأمر ظهر بونابرت بصورة المنقذ ذي الشخصية العبقرية والتي اجتذبت الجماهير والجيش والشعراء والأدباء والكتاب فصوروه بطلا لأنهم وان كانوا قد هزجوا لمبادئ الثورة الفرنسية والتي أرادت وضع حدا للجهل والضلال والبؤس والجوع ,إلا إن أمالهم خابت بنتائجها وإفرازاتها حتى ظهر بونابرت والذي شكل في عين مجتمعه على انه استجابة لأحلام لم تكن قد تحققت بعد ,وعدوه البطل المنتظر.[29] وفي الواقع كان بونابرت يحقق ما أشبه بالمعجزات في زمن اتسم بسرعة التقلب السياسي والاجتماعي والفكري, كما امتاز بقبس من العبقرية العسكرية والعزلة التأملية الإبداعية والبطولة الاستثنائية, [30] وهنا نتسائل من هو نابليون بونابرت وما حقيقته؟

من يطلع على سيرة حياة بونابرت قد لا يصدق بسهولة إن هذا الرجل لم يعش سوى اثنتان وخمسين سنة (1769–1821), وتوالت انتصاراه خلالها منذ كان في 24 من العمر أي في عام 1793 لما نجح بتحرير ميناء طولون من الاحتلال الانكليزي حتى صار إمبراطورا لفرنسا (1804–1815), [31] ونجح خلال هذه الفترة بإذلال أوربا واحتلال وضم قسم كبير من أراضيها كما نجح بإذلال الإمبراطوريتين النمساوية والروسية ولا يفوتنا إن نذكر انه قام بإلغاء الإمبراطورية الرومانية المقدسة.[32] فلا ريب انه كان يمتلك ميزات ومواهب تفوق ما كان لدى معاصريه واقرأنه.

وقد كانت نهاية بونابرت متناقضة بشكل كبير مع مجريات حياته المليئة بالانتصارات لأنه انتهى نهاية تراجيدية بسقوطه عن سلم المجد بشكل خاطف ومات

معزولا ومنفيا في جزيرة سانت هيلان, [33] وخلال فترة النفي كتب مذكراته التي جاءت مليئة بالأفكار والإسرار التي عمد من وقعت النسخ الأصيلة من مذكراته في أيديهم إلى طمس حقائقها وحذف معظم ما جاء فيها.[34]

من الطبيعي إذا إن تتباين الآراء في تقييم شخصية نابليون بونابرت بحسب المواقف السياسية والفكرية, ففي فرنسا أبدى الكتاب ولا زالوا حذرا واضحا من خطر الوقوع في ضحالة الأدب المتملق الهادف فقط إلى تمجيد الإمبراطور,[35] غير إن منهم من أعلن وقوفه ضد بونابرت وعهده ومنهم مدام دوستال وبنيامين كونستان وشاتو بريان وبيروك وغيرهم.[36] وفي أوربا عوملت شخصية بونابرت بقسوة تاريخية وأدبية بالغة ففي ألمانيا وصف بأنه الشيطان ذاته,[37] إما البريطانيين فقد عدوه شرسا مغتصبا للسلطة وطاغيا ودكتاتورا و بأنه أضاع فرصة العمر على فرنسا لتكون زعيمة العالم المتحرر, [38] إما في ايطاليا فقد عد شيطان ادعى بأنه إلهه وانه زنديق أراد إن يفرض عبادة شخصه على الشعب الفرنسي.[39]

لقد أدخل بونابرت بأذهان معاصريه والأجيال ألاحقة إن المستحيل غير موجود في الحياة وهو ما يلبث إن يتداعى إمام جرأة الإنسان وصدقة وحزمه وثباته على الموقف.[40] لكن التساؤل الأهم والذي ابتعد عنه اغلب مؤرخي أوربا ومؤرخينا العرب, ما هي ديانة بونابرت وما هي علاقته بالإسلام وما هي وجهة نظرة عن رسالة وشخصية النبي محمد (ص)؟

ترتبط شخصية بونابرت وكما يرى المؤرخين والمفكرين الأوربيين بالشرق وحاولوا تفسير مختلف مراحل حياته على أساس أنها مرتبطة بحلم شرقي باعتباره السبب الأساس لجميع مشاريعه المتعاقبة إلا أنهم فشلوا إلى حد كبير في توضيح ماهية الشرق بفكره.[41] وشأنه شأن جميع معاصريه كان لديه رؤيا متناقضة عن الشرق إلا إنه عده الساحة الحقيقية التي يمكن فيها للرجل العظيم إن يحقق مآثر عظيمة.[42]

وقد بدأت أفكار بونابرت الشرقية بالاتضاح قبيل انطلاق إحداث الثورة الفرنسية إذ كان قد اطلع على مصادر عدة عن الشرق وبمفهوميه العربي والإسلامي, وما إن اقترب عام 1788 من الاكتمال حتى كان قد أنجز كتابة قصته الشهيرة (قناع النبي),[43] وهذه القصة هي قصة شرقية قصيرة تحكي تمرد قام به احد الرجال والذي اسماه بونابرت بـــ(المقنع) ضد سلطة الدولة العباسية وبالتحديد بعهد الخليفة المهدي بن المنصور (775–785م).[44] ومن يتأمل هذه القصة يلاحظ بوادر استيعاب بونابرت للطبيعة العربية ومعلوماته التي لا بأس بها عن مفاهيم الدين الإسلامي, وكذلك تبرز لنا هذه القصة اهتمامه بالحضارة الإسلامية وإدراكه المدى الواسع الذي يمكن للإسلام إن يصله.[45] ومن يحاول إن يربط أو يمزج ما بين إحداث هذه القصة وما بين إحداث التاريخ الوسيط أو المعاصر للاحظ مدى التأثير الإسلامي بأفكار بونابرت منذ ذلك الوقت فقصته قامت إحداثها على ثورة إسلامية للمطالبة بتحقيق المساواة في المكانات والحقوق ,كما يظهر فيها كم إن الدين الإسلامي منظم تنظيما اجتماعيا يكاد إن لا يكون له مثيل.[46]

وقبيل قيام الثورة الفرنسية بأشهر قليلة كان بونابرت متأثرا بشكل عميق بالرواية المسرحية للأديب فولتير والتي حملت اسم النبي محمد (ص), [47] ومع إن هذه الرواية فيها إحداث وتواريخ وتلفيقات كبيرة ومزيفة وخاطئة ضد النبي محمد (ص) واتهامه بأنه سائس لأفكاره ولم يكلف برسالة سماوية وانه كان عدوا للعلوم والآداب والفنون, إلا إن فولتير وبكل هذا لم يستطع إخفاء نور وعظمة النبي ولم يقدر بمسرحيته إنكار قدراته الخلاقة وصفاته العظيمة.[48] وبهذا كله تركت الرواية اكبر الأثر في شخص بونابرت حتى انه وفي الأيام الأولى لقيام الثورة الفرنسية تخيل انه سيظهر في بلاده رجلا عظيما شبيها بالنبي محمد (ص) ليحقق الانجازات والأحلام الكبيرة التي كان يتمنى إن تتحقق في فرنسا والعالم.[49]

إما مسألة النظرة التي حملهـــا وتطورت معه نحو الدين الإسلامي والنبي محمد (ص) فقد رأى إن الرسول بعث إلى شبه الجزيرة العربية والتي كانت وثنية

كما كانت مشبعة بألافكار المسيحية واليهودية والتي عكرت إلى حد ما هدوء الشرق ورزانته.[50] وحسب نظرة بونابرت فأن أكثر ما عكر صفو حال الشرق هو الديانة المسيحية التي ارتكز دينها على فكرة الثالوث والتي تؤكد على إن الرب (استغفر الله) يتألف من الأب والابن والروح القدس, [51] إلا إن النبي محمد (ص) لما جاء أكد انه لا اله إلا الله الواحد الأحد والذي لم يكن له أب ولا ولد وان الثالوث المسيحي ما هو إلا مفهوم وثني.

وامن بونابرت بأن النبي محمد (ص) جاء إلى شبه الجزيرة العربية والتي كان تقطنها شعوب فقيرة وتفتقر إلى كل شيء وبسرعة البرق أضحى النبي أميرا وحشد أصحابه حوله في سنوات قليلة وقام المسلمون من بعده بفتح نصف العالم وأنقذوا أبناء العالم من إلهتهم الزائفة ودمروا الأوثان والمعابد الوثنية وكل هذا لم يتجاوز خمسة عشر عام بعد وفاة النبي وهذا أكثر بكثير للغاية مما فعله إتباع النبيين موسى وعيسى في خمسة عشر قرنا. [52]

كما امن بونابرت إن النبي محمد (ص) كان رجلا عظيما ولما ظهر كان العرب في ظل حروب أهلية فحولهم بالديانة السماوية ومواقفه الخلابة وقدراته إلا متناهية وأقواله الملهمة إلى رجال بواسل وصلوا بسرعة كبيرة إلى حدود الصين وأبواب بيزنطة واسقطوا الدولة الساسانية, [53] ومع إن النبي كان قائدا لجيش المسلمين ففي ذات الوقت كان قائدا للشعب واضعا للقوانين منظما لشؤون الدنيا ومع انه قال (الجنة تحت ظلال السيوف) فأن ذلك لم يمنعه من القول (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين). كما كان لا يتسامح في أية مظالم أو تجاوز على الفقراء أو على غير المسلمين وفي ذات الوقت كان قويا وعنيدا وصلبا بشكل هائل ضد كل ما هو وثني وضد كل ما يشير أو يوحي إلى الوثنية. [54]

نؤكد هنا إن بونابرت قد اطلع على كتب فرنسية تناولت أفكار ومفاهيم الدين الإسلامي كما تناولت كتاب الدين الإسلامي المقدس (القران الكريم) وجاء كذلك

فيها تفاصيل حياة النبي وشخصيته,[55] ولان من يتأمل التاريخ الفرنسي خلال السنوات العشر الأولى التي أعقبت الثورة لوجد إن الحكومات الفرنسية المتلاحقة قامت بإلغاء الديانة المسيحية ومالت في كل يوم إلى دين مستحدث بشكل عجيب إلى إن وصلنا إلى عهد روبسبير والمعروف تاريخيا بعهد الإرهاب (1793–1794) والذي تم التأكيد فيه على عبادة الكائن الأعظم[56], لكن ما هو الكائن الأعظم؟

إن المطلعين على حياة بونابرت لاحظوا انه بحث كثيرا عن مفهوم الكائن الأعظم واستعان لذلك بكتب الديانات الهندية القديمة كما استعان بكتابي التوراة والإنجيل لكنه لم يجد في كل ما اطلع عليه شيئا ملموسا أو فكرة صادقة لهذا ارتأى إن يطرق باب الإسلام مجددا,[57] وقد جاءته ألفرصه لما احتل ايطاليا في عام 1796 ووجد في مكاتبها نسخة من القران الكريم وكانت مترجمة للغة الايطالية, ولأنه كان يتقن اللغة الايطالية منذ طفولته, فقد مال لقراءتها وبشكل متواصل حتى أصبحت زاده وامن منذ ذلك الحين بأن الإسلام هو الدين الحق واقتنع أيضا بأن الرب واحدا وقويا وملهما وصادقا وعادلا وبأنه هو الذي اوجد وسيوجد العدالة وهو الحاكم في نهاية المطاف.[58]

وما إن قررت حكومة الديركتوار (حكومة الإدارة الخماسية) الفرنسية إرسال حملة عسكرية إلى مصر بقيادة نابليون بونابرت حتى رأى انه قد حان الوقت ليطبق ما امن به, فوضع لذلك سياسة خاصة به عرفت باسم (سياسة الاسلمة) والتي كان هو من ابتكرها وانتهجها وعمد إلى تطبيقها,[59] وجاءت ابتكاره لسياسته هذه اثر تؤثره بما اطلع عليه من تعاليم ومفاهيم القران الكريم وما اطلع عليه من كتب التاريخ الإسلامي, وبنى كل أفكاره حول قضية الاسلمة وبما إن أوربا كانت إلى حد ما قد ارتسمت بعقول الساسة الفرنسيين بأنه لن يمر وقت طويل حتى تكون تحت النفوذ الفرنسي فقد امن بونابرت إن اسلمة أوربا حقيقة واقعة إلا انه أراد أكثر منها فأراد العالم بشكل كامل.

ومن يدقق في أفكار نابليون قد يجد أنها لا تتعارض مع الهدف الأساس للديانة الإسلامية والقاضي بنشر الاسلمة في كل إرجاء العالم وإقامة نظام إسلامي عالمي, فأراد بونابرت إخضاع أوربا ومن ثم العالم لسيطرته وتحت قانون إسلامي وان يكون القران الكريم هو القانون الأساس والقائم في كل مكان من العالم.[60] وهناك من يقول إن بونابرت أراد توظيف الإسلام لتحقيق إطماعه التوسعية, لكن من يتابع إعمال بونابرت لاتضح له البعد الكبير للأثر الإسلامي في جميع ما انتهجه من سياسات, لكنه وقع تحت طائلة أعدائه الذين انتصروا عليه ونفوه وأرخوا حياته وإعماله وحتى مذكراته غيروها وحذفوا معظمها.

ابتدأ بونابرت بسياسة الاسلمة قبيل وصوله إلى الأراضي المصرية لما كان لا يزال مبحرا في المياه الدولية بإصداره منشورا وزع على جميع إفراد الجيش الذي رافقه والذي اسماه بـــ(جيش الشرق),[61] بين فيه تعاليم وأصول الديانة الإسلامية وطبيعة التعامل مع علماء الدين والأمة المصرية, وجاء هذا المنشور بصورة أمر عسكري واجب التنفيذ. وما إن وصل بونابرت إلى مالطا حتى قام بإطلاق سراح الأسرى المسلمين والذين كانوا في سجون قوات فرسان القديس يوحنا, وكان هؤلاء المسلمين أخلاطا شتى من الأتراك والمغاربة والشوام وغيرهم, وبلغ عددهم حوالي سبعمائة أسير. وما إن تم إطلاق سراحهم حتى قدم لهم بونابرت الملابس والنقود والأطعمة كما سمح لهم بالسفر إلى بلادهم.[62]

سرعان ما اتجه بونابرت نحو الإسكندرية فوصلها في مطلع شهر تموز 1798 ووزع منشور للمصريين ابتدأ بعبارة (بسم الله الرحمن الرحيم, لا اله إلا الله, لا ولد له, ولا شريك له في الملك....),[63] ثم سرعان ما اتخذ لقب (علي باشا).[64] ومن يطلع على المؤلفات المصرية سيجدها ترجع كل ما قام به بونابرت من سياسة اسلمة إلى خوفه من المصريين, ناسين أو متناسين إن المصريين آنذاك كانوا شعبا فقيرا وبسيطا وجاهلا وخاضعا بشكل أعمى للعثمانيين ولأراذل المماليك, ثم إن بونابرت لم يكن بحاجة لصبغ نفسه بصبغه إسلامية فمؤرخي أوربا اعلم

بالواقع الفرنسي آنذاك والذي كان معاديا ومتزمتا بوجه كل دين ولأنه سيواجه تيارا معارضا ومتشددا جدا من قبل الحكومة الفرنسية والتي ألغت جميع الأديان فكيف ستسمح لهذا الجنرال الشاب إخضاعها هي ومستعمراتها للدين الإسلامي والذي كان ينظر إليه في فرنسا بعداوة.[65] كل هذا يؤكد إن بونابرت لم يدعي الإسلام بل انه قد يكون امن به حقا.

واثر وصوله مدينة القاهرة فأن علماء الدين في الجامع الأزهر هم كانوا أوائل الشخصيات التي التقى بهم, وقد أحسن مقابلتهم وتودد إليهم وأضفى الكثير من مظاهر التقدير والإجلال عليهم وأبقى لهم امتيازاتهم وأضاف إليها,[66] وأمر بأن يؤدي رجال الجيش الفرنسي التحية العسكرية لعلماء الدين أينما لقوهم.[67] واتفق بونابرت مع رجال الدين الكبار بإقامة جلسة دينية معهم كل ثلاثة أيام ليتم فيها مناقشة وتفسير آيات القران الكريم وقد كان وقت الجلسة الواحدة يطول ما بين 4 إلى 5 ساعات, وكان يظهر بجلاء في هذه الجلسات الاحترام الشديد الذي كان يكنه بونابرت لشخص النبي محمد (ص).[68]

وما إن دخل بونابرت مدينة القاهرة حتى أفصح عن سياسة الاسلمة لما قام بعدد من الترتيبات والإنشاءات, نستطيع إن نوجزها بما يأتي:

1- إنشاء ديوان من عشرة رجال دين بارزين من العاملين في الجامع الأزهر للإشراف على حكم البلاد.
2- تعيين مسئولين للمالية والشرطة.
3- إنشاء مجمع ديني وعلمي مصري.
4- تنظيف المدن والاعتناء بها.
5- منع دفن الموتى بالمدافن القريبة من المساكن المأهولة.
6- ضرورة النظافة والقضاء على الروائح العفنة وتبخير المنازل.
7- إنشاء متنزهات وطرق وجسور.

8- أسس مكتبة عامة قام برفدها بكتب متنوعة ومن مختلف اللغات وعمل قسم مهم منها للدين الإسلامي وقصص الأنبياء.

9- حدد مناطق خاصة لإجراء عمليات البحث العلمي فيها.

10- انشأ مناطق لعزل القادمين إلى مصر لمنع انتقال الإمراض بين الأهالي.

11- استحدث نظام لضبط عقود الزواج والميلاد والوفاة.

12- عين قضاة مصريين وأمر إلا يشغل منصب القاضي إلا رجل دين وان يكون مصريا ليقضي بالإحكام الإسلامية الشرعية ويتم اختيار القضاة عن طريق اجتماع علماء المسلمين ويختارون من بينهم قاضيا شرعيا ليتوافق مع ما جاء في القران الكريم وأسلوب الحياة المصرية.[69]

وما تقدم هو جزء مما قام به بونابرت من إصلاحات إدارية وإنشاءات مادية وتطورات سياسية, مما يوضح لنا مدى الالتزام الكبير والواسع الذي كان يكنه للدين الإسلامي, وهذا يتناقض بشكل واسع مع ما قام به العثمانيين الذين احتلوا مصر منذ عام 1517 وعلى الرغم من وجود الخلافة العباسية فيها فقد أهملوها كل الإهمال واستعبدوا أهلها ولم يقدموا لها شيئا مما قدمه بونابرت في مختلف المسائل مما يبرز التأكيد حول ديانة بونابرت ويدفعنا للشك بديانة العثمانيين, فمن منهم كان يمثل الدين الإسلامي عن حق ومن منهم كان مؤمنا بتعاليم الإسلام؟

ومن الجدير بالذكر إن بونابرت اصدر قرارا في الأسبوع الأول الذي دخل به القاهرة بتخصيص حصان لكل رجل دين,[70] وكان هذا القرار يحوي معنى التكريم والتقدير لعلماء الدين لان وسائل المواصلات في مصر كانت تخضع في ذلك الوقت للتفرقة العنصرية فالخيل كان يستخدمها الأتراك العثمانيين والمماليك حصريا إما البغال فخصصت لرجال الدين بينما الحمير فقد خصصت للمصريين, ثم سرعان ما ألغى بونابرت هذه التفرقة وأباح لكل من استطاع وأراد إن يمتطي ما يرغب. وأردف بونابرت قراره هذا بإطلاقه لقب في غاية الأصالة والروعة لما

أسمى رجال الدين باسم (دكاترة الشريعة), كما أسمى الجامع الأزهر باسم (سوربون الشرق).[71]

ومن المظاهر التي امتازت بها سياسة اسلمة بونابرت هي اهتمامه العميق بالأعياد الإسلامية الدينية إذ شهد الشهر الثاني لدخوله مدينة القاهرة حلول مناسبة المولد النبوي الشريف فأمر بإقامة احتفالات كبرى ابتهاجا بها وأمر بإشراك إفراد الجيش الفرنسي والفرق الموسيقية العسكرية وان تطلق المدافع نهارا والألعاب النارية ليلا إضافة إلى تعليق الأنوار في كل مكان لإضافة البهجة عند اضائتها ليلا,[72] واستمرت احتفالات المولد النبوي ولأول مرة في مصر إلى خمس أيام كاملة أي بتاريخ 19-23 أب 1798 [73].

كما أمر بونابرت بالاحتفال بمولد وشهادة وأربعينية الإمام الحسين وبنفسه شارك بالاحتفال وأبدى احترامه الكبير لشخص الإمام وألقى كلمة في الاحتفال أكد فيها على شجاعة الإمام وإعجابه بحرصه على التفاني في إحقاق الحق والتضحية بكل شيء في سبيل الله وأكد انه ما إن عرف شخصية الإمام حتى تغيرت نظرته إلى العالم.[74]

وقد حرص بونابرت وطوال وجوده في مصر على إبداء احترام منقطع النظير للشعائر الدينية الإسلامية وعلى المحافظة على استمرارها وأدائها بصورة منتظمة من حيث فتح المساجد وتنظيفها والاعتناء بها وإقامة الصلوات وتلاوة القران, كما انه شارك المسلمين في أداء الصلوات في الجوامع إلى إن وصل به الأمر إلى انه أم لعدة مرات صلاة الفجر.[75] وهناك من المؤرخين الفرنسيين يؤكدون انه استمر بأداء الصلوات اليومية الخمسة وذلك ما بين حملته على مصر إلى وفاته 1798-1821, وانه ومنذ إن كان في مصر استمر بالمواصلة على صوم شهر رمضان وحتى وفاته وانه كان يتفاخر إمام مساعديه وأقربائه بصوم هذا الشهر العظيم.[76]

ومن يتأمل في إعمال بونابرت لوجد انه قام وحتى بعد توليه المنصب الإمبراطوري بإعمال كبيرة فقد وضع دستورا ثوريا وثلاثة مجالس برلمانية مهمتها الأساسية التصويت الطوعي لإصدار قوانين الدولة,[77] وأمر بإنشاء محكمة استئناف مستقلة يرأسها ثلاثة مستشارين.[78] ولعل بونابرت هو أول من قام بطرح الدستور للاستفتاء القومي[79] وقام بتشريع دائم ما زال إلى يومنا هذا يسود قوانين فرنسا وبلجيكا وهولندا وهو القانون المدني والذي عرف باسم (قانون نابليون), والذي بني على احترام الناس وترسيخ المساواة وحماية الممتلكات الخاصة وضمان حرية التعبير عن الرأي, [80] ولأول مرة في فرنسا والتي كانت إلى عهد قريب مسيحية كاثوليكية وتحرم الطلاق فقد منح بونابرت للفرنسيين حق الطلاق ولم يكتفي بذلك بل طبقه على نفسه لما طلق زوجته جوزفين وتزوج غيرها[81] وادخل بونابرت بهذا القانون فقرة تلزم الإباء بتغذية الأبناء إذا احتاجوا إلى ذلك حتى إن كانوا من البالغين وأعطى الأجداد حق حماية الأحفاد في حالة سوء معاملة الإباء.[82] كما قام بونابرت بفتح المدارس الابتدائية وانشأ الجامعات وأقام عشرات المعاهد والمدارس القانونية وكليات تدريب المدرسين وأسس النظام السياسي والدبلوماسي لبلاده,[83] ولن يكون مدهشا بالنسبة لنا نحن المسلمين إن ندرك إن 96% من بنود قانون بونابرت قد استمدت من الشريعة الإسلامية.[84] وكل هذا اتبعه بإلغاء النظام ألربوي في فرنسا ومنع اليهود من تقاضي الربا كذلك.[85] ثم جاءت تصريحاته الكثيرة ضد الثالوث المسيحي لتدخل بريطانيا وحلفائها في حالة إنذار قصوى خوفا من قيام تحالف إسلامي شرقي وغربي أي ما بين فرنسا والدولة العثمانية, كل هذا دفع الأوربيين إلى معاداة وكره بونابرت.[86] وبهذا كانت لإعمال بونابرت تأثير واسع وعملي على تحرير الفكر الفرنسي من الأفكار والملوثات الوثنية ومن التصلبات الكاثوليكية المسيحية واليهودية المارقة.

وبعد كل ما تقدم فمن يدقق ويبحر في كتابات المؤرخين الأوربيين سيلاحظ إن كل ما مر به بونابرت من إحداث ومواقف, هي في الأصل تبرز الاحترام الذي

كنه للدين الإسلامي وللنبي محمد وان سياسته امتثلت بالفكر الديني المعتدل وهي نقيض لما امتلأت به كتب التاريخ من الافتراءات المتهافتة التي دونها المؤرخين البريطانيين ومن سار في سائرتهم منذ ذلك الحين والى وقتنا هذا. لكن وبعد كل ما استطعنا جمعه من معلومات وتوظيفها في لب الموضوع, يبقى الجواب الختامي عن هل بونابرت كان مسلما وصاحب سياسة إسلامية, أم انه كان قريبا إلى حد ما من الإسلام؟ وجوابه بقى وسيبقى بذمة التاريخ.

قصة لنابليون بونابرت-1788م: قناع النبي (proved mask)

كان الإمبراطور العربي (المهدي) في العام 775م يتولى زمام الحكــم فــي بغداد, وقد شهد هذا الرجل العظيم, الكريم, المستنير, القدير, ازدهار الإمبراطورية العربية في ظلال السلم والأمن. وبما إن جيرانه كانوا يخشــونه كثيــرا ويرعــون جانبه إلى حد كبير, فقد انكب بإصرار على العمل على ازدهار العلوم والإســراع بنجاحاتها بشكل مضاعف عمن سبقوه من أباطرة لاسيما بعد تحقيقه السلام بأرجاء دولته, لكن كلا الأمن والتقدم والسكينة قد ارتبك بصورة مفاجأة بسبب ظهور ابــن الحكيم الذي انطلق بإصرار هائل وعناد منجرف وعزيمة كبيرة, من قلب منطقــة خراسان, مدعيا نبوة جديدة متميزا عن الدعاة السابقين بتكــوين إتبــاع ومؤيــدين ومناصرين وجيش, وتفوقه بنشر دعاته في جميع إرجاء الإمبراطورية.

وكان ابن الحكيم هذا, طويل القامة, جميل الصورة, قوي الشخصية, وكــان بليغا بلاغة جازمة ونزقة, كان يزعم انه النبي المنتظر وانه مسيح الله, وقد دعا إلى أخلاق طاهرة عزيزة على أفئدة وقلوب الجماهير, فقد كانت المساواة في الإمكانات الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية هي الشعار الأساسي لجميع خطبــه. وقــد انتظم العديد من إفراد الجيش العربي تحت لواءه, مما كون له بالنتيجة جيش كبيــر وقوي وذي خبرة عسكرية.

وقد شعر الإمبراطور المهدي وكبار رجاله بضرورة القضاء على هذه الحركة وهي في مهدها والتي عدت بوقتها خطرا كبيرا لأنها تمس العقيدة الإسلامية ذاتها وتجزئ القوة العسكرية للعرب المسلمين, فتحركت القوات الإمبراطورية لمواجهة ابن الحكيم ولكنها فشلت بذلك بل إن قوات ابن الحكيم كانت تحقق الانتصارات الكبيرة وبصورة متتالية.

وفي خضم تلك الظروف صدف مجيء مرضا غريبا ومفاجئ, ترتب على صعوبات ومكابدات الحرب التي واجهها ابن الحكيم فأدت بالتالي إلى إصابته وتشويه وجهه, فلم يعد وجهه جميل, وكما يقول هو بأنه أجمل العرب, وان الملامح النبيلة التي كان يتفاخر بها, وعينيه الواسعتين المتقدتين التي كان يؤثر بهما على أنصاره, قد تشوهت وأضحى النبي ابن الحكيم أعمى. وكان بإمكان هذا التحول إن يكبح جماح و حماسة وإيمان مساعديه والمؤمنين به, فكان لابد من إيجاد حلا وحل مبتكر فخطر بباله إن يرتدي قناعا فضيا.

ولنقض الإشاعات التي ارتسمت حول إصابته, فقد ظهر ابن الحكيم وسط أنصاره وخطب فيهم بأسلوب بليغ جدا وكانت عباراته يتقاطر منها الحزم والقوة, وأكد انه لم يقرر إن يضع هذا القناع إلا لحمايتهم من النور الذي أفاضه الرب على وجهه وان ذلك لأكبر معجزة سمائية أضفاها الرب علية ليؤمن من لم يؤمن بدعوته إلى ألان كما أنها شهادة من الرب لأنصاره بان موعدهم الجنة إن بذلوا في سبيله أرواحهم.

واستمر ابن الحكيم بذات الأسلوب الحماسي وعاود استخدام الوعود الربانية التي يقول إن الرب ينطقها على لسانه, ولما حوصر من قبل جيش الإمبراطور المهدي أكد لإتباعه إنه قد أرسل بدعوته هذه بوساطة النبي محمد لدى الرب وانه لم يأتي لنسف الديانة الإسلامية بل أوفد من نبيها ليصلح ما انحل وما اضمحل وما أفسده الدخلاء على دين المسلمين.

وما إن أثقله حصار الجيش الإمبراطوري العربي حتى نراه قد قفز إلى معجزات أنبياء آخرين وقام بالانتقاء ما يناسبه منها, إذ اخبر إتباعه انه في الليلة الماضية قد أكرمه الرب كما أكرم النبي موسى الذي كان كليم الرب, فكلمه بشكل مباشر (وأعلمني بأنه اسماكم بالحواريين كحواري يسوع (عيسى), وان من سيصمد منكم للنهاية سيغفر له كل ذنب, وسيحظى بثروات أعدائنا, كما أمرني لتحقيق النصر إن احفر خنادق حولنا وكما فعل النبي محمد من قبل).

وسرعان ما قام أنصاره بحفر الخنادق وما إن أكملوها حتى أمرهم بملئها بالجير ليصعب على أعدائهم حتى التفكير باجتيازها ومن ثم أمرهم بجلب براميل النبيذ ووضعها على حافة الخندق ليشربوا منها ابتهاجا بالنصر القادم وكان قد وضع بها السم فما إن شربوا حتى ماتوا ثم جر بمساعدة عشيقته الوفية, جثثهم ورماها بخنادق الجير لتتحلل ولا يبقى لهم اثر بعدها احرق النار بما تبقى من براميل النبيذ ورمى نفسه في وسطها وانتحر.

وفي اليوم التالي استغربت القوات الإمبراطورية, بينما كانت تستعد للقيام بالهجوم النهائي, لما رأت الأبواب فتحت تلقائيا ولما دخل المستطلعون حتى وجدوا الكل ميتا ما عدا عشيقة ابن الحكيم والتي منحوا لها حرية العيش ولم يلقوا القبض عليها, وهكذا انتهت حكاية النبي المقنع إلا إن بعض من امن به لازال يظن إلى ألان انه لم يمت بل لقداسته ومكانته العزيزة لدى الرب فقد رفع للسماء... ومع كل هذا فان ما حصل يكاد إن يكون مثالا غير قابل للتصديق! والى أي حد يكاد إن يمضي جنون الشهرة بالإنسان!!

نابليون بونابرت

نوفمبر 1788

الهوامش

1- Miller, W. The Ottoman Empire and its successors, 1801-1927 ,London 1966,p.12.
2- Mansfield, P., The Ottoman Empire and its Successors, London 1973),p.9.
3- Tallett Atkin, eds. Religion, Society and Politics in France since 1789, London 1991, pp. 1-28.
4- Mansfield, P, op, cit, p.23.
5- Bernard Lewis, the Muslim discovery of Europe, new York 1983, pp.34-67.
6- Bernard Lewis, Islam and the west, new York 1982, p.17.
7- Ibid, op, cit, p.21.
8- Miller, W, op, cit., p.15.
9- Bernard Lewis, the Muslim discovery of Europe, op, cit, p.68.
10- Albert hourani, Islam in European ,Cambridge 1991, p.10.
11- ibid, op, cit, p.13.
12- Bernard Lewis, the Muslim discovery of Europe, op, cit, p.72.
13- Bernard Lewis, Islam and the west, op, cit, p.22.
14- ibid,p. 25.
15- Albert hourani, op, cit, p.14.
16- ira m. lapidus, a history of Islamic states, new York 1988, p.388.
17- A. Patrick, The Men of the First French Republic, Paris 1995, pp.12-217.
18- J. Godechot, The Counter-Revolution: Doctrine and Action , london1969, pp.22-159;D. Greer, The Incidence of the Emigration during the French Revolution , London 1931, pp.169-178.
19- J. Murray, The Right Wing Press in the French Revolution , new York 1986, p.95.
20- perry m rogers, aspects of western civilization, 2 vol, 7 edition, Boston 2003, pp.95-99.

21- ibid ,pp.103-108.
22- J.P. Bertaud, The Army of the French Revolution , new York 1988, pp.54-216.
23- Bruun, G., "The Balance of power during the years 1793-1814", in the New Cambridge Modern History, Vol. IX, War & Peace in Age of Upheaval 1793-1830 ,Cambridge University press, 1965, pp.156-163.
24- للتفاصيل عن الحملة الفرنسية على مصر ينظر: محمد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر, دار الفكر العربي، د. ت.
25- Bruun, G.,op, cit, p.169.
26- للتفاصيل عن النشاط الفرنسيّ في الدَّولة العُثْمانيَّةِ بعد الثَّوْرَةَ الفرنسية ينظر: يقظان سعدون العامر، نشاط شركة الهند الشرقية الإنكليزية في البصرة, مطابع التعليم العالي، البصرة 1990, ص68-70.
27- Batterfield, H., Charles Fox and Napoleon. The Peace Negotiations of 1806 ,London University Press, 1962, PP. 8-15.
28- ibid, p.17.
29- Puryear, V. J., Napoleon and the Dardanelles ,University of California Press, 1951, pp.3-7.
30- Batterfield, H, op, cit, p.19.
31- M. Agulhon, Marianne into Battle: Republican Imagery in France 1789-1880 london 1981, pp.45-167.
32- Puryear, V. J., op, cit, p.9.
33- Gulick, E. V., "The Find Coalition and Congress of Vienna 1813-1815", in The New Cambridge Modern History edited by C. W. Crowley, Vol. Ix War and peace in an Age of upheaval 1793- 1830 ,Cambridge University press, 1965, PP. 612.
34- Batterfield, H, Napoleon: From 18 Brumaire to Tilist 1799- 1807, Translated by H. F. Stockhold ,London 1969, PP. 269- 70.
35- J. McManners, Church and Society in Eighteenth-Century France, 2 vols, Boston 1999, p.67.

36- K. Baker, ed. The French Revolution and the Creation of Modern Political Culture, vol 4, Paris 1994, p.146.
37- ibid, p.158.
38- ibid, p.167.
39- ibid, p.171.
40- Puryear, V. J., op, cit, p.13.
41- هنري لورنس, بونابرت والإسلام والدولة اليهودية, ترجمة بشير السباعي, دار مصر العربية للنشر والتوزيع, القاهرة 1997, ص13.
42- Puryear, V. J., op, cit, p.15.
43- هنري لورنس, المصدر السابق, ص ص35–39.
44- Batterfield, H, op, cit, p.75.
45- ibid, p.78.
46- T. J. Clark, bonabert time, London 1996, p.45.
47- mason byaji, commentaries de napoleon lar, tome 5, Paris 1867, pp. 363-367.
48- ibid, p.369,
49- ibid, p.371.
50- هنري لورنس, المصدر السابق, ص ص10–24.
51- general baron gourgaud, Sainte - Helene, fleuriot de langle, Paris 1959 ,p.226.
52- ibid ,pp.228-230.
53- napoleon bonabert, memoire ,vol 3, Paris 1881, p.153..
54- ibid, p.250.
55- general baron gourgaud, op, cit, p.231.
56- stephan auerbach, political , protest, and violence in revolutionary Bordeaux, 1789-1794, press university Paris, 2005, pp.254-277.
57- napoleon bonabert, op, cit, pp.160-161.
58- ibid, p.165.
59- ibid, p.174.
60- general baron gourgaud, op, cit, p.239.
61- napoleon bonabert, op, cit, pp.178-180.

62- m. Laurence, bonabert policy toward Islamic, Paris 1969, p.35.
63- napoleon bonabert, op, cit, pp.185-186.
64- m. Laurence, op, cit, p.37.
65- Batterfield, H, op, cit, p.283.
66- mason byaji, op, cit, p.376.
67- هنري لورنس, المصدر السابق, ص ص24–27.
68- m. Laurence, op, cit, p. 42.
69- محمد سعيد الحشماوي, مصر والحملة الفرنسية, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة 1999, ص ص52–77.
70- napoleon bonabert, op, cit, p.185.
71- ibid, pp.196-198.
72- m. Laurence, op, cit, p. 43.
73- ibid, p.44.
74- mason byaji, op, cit, p.389; napoleon bonabert, op, cit, p. 203.
75- m. Laurence, op, cit, p. 48.
76- ibid, p.49.
77- Cobban, A., History of France, Vol. 2, 1799-1871 ,Pellican Books, Bungoy 1976, pp. 31-45.
78- ibid, p.47.
79- ibid, p.49.
80- M. Agulhon, op, cit, p.170.
81- napoleon bonabert, op, cit,p.222.
82- ibid, p,226.
83- ibid, p,231.
84- m. Laurence, op, cit, p. 58.
85- ibid, p.57.
86- ibid, pp.43-62.

اليهود في العراق - تاريخهم وديانتهم -
وأثر اللهجة العراقية على اللغة العبرية الفصحى

تاريخ اليهود في العراق:

الديانة اليهودية، بصورة ما، تعد ديانة عراقية أولاً، ثم فلسطينية ثانياً. وذلك، لأن التأسيس الفعلي لهذه الديانة تم في (بابـل) وان (التـوراة)، الكتـاب المقـدس اليهودي، قد كتبه فعليا اليهود المقيمون في بابل، حيث استلهموا تـراثهم الشـفوي الفلسطيني الذي جلبوه معهم من فلسطين، ومزجوه مـع تـراث الديانـة العراقيـة (البابلية) وأساطيرها المعروفة.[1] وكتابهم التشريعي (التلمود) كتبوه في بابل أيضـا مستلهمين معظم تشريعاته من الثقافة القانونية العراقيـة ومـن أهمهـا (شـريعة حمورابي).[2] وفي بابل ظهر نبيهم حزقيال المعروف باسـم (ذي الكفـل) والـذي يزور قبره المسلمون واليهود في المدينة المسماة باسمه إلـى اليـوم فـي جنـوب عراق.[3]

وفي العراق جمع (عزرا) أسفار - أجزاء كتب- التوراة، ومات فيه، وقبـره في المدينة المسماة على اسمه وهي (العزير) في الجنوب العراقي.[4] وإن (التلمـود البابلي) الذي كتب بمدينة بابل العراقية يعد الأكثر صحة مـن التلمـود المقدسـي، والتي تشكلت فيها كبريات المدارس اليهودية منذ بدايات القرن الثـاني للمـيلاد.[5] وفي العراق أيضا تأسست المعابد وبنيت المراقد اليهودية كحال قبر (النبي نـاحوم) في قرية (القوش) المجاورة للموصل و(الكاهن يوشع) في الكرخ ببغداد.[6]

تعد الطائفة اليهودية في العراق من أقدم الطوائف اليهودية في العالم ككل، إذ يرجع تاريخها إلى سبي اليهود من قبل الآشوريين ومن ثم البابليين.[7] وقد حـدث هذا السبي في ثلاثة مواقع شهيرة, وهي:

1. سبي السامرة (721 ق.م.) ، إذ هاجم الآشوريون بقيادة الملك سـنحاريب المملكة اليهودية وسبيا أكثر من ثلثي سكانها.

2. سبي يهواخن (597 ق.م.) ، إذ سبى الملك البابلي نبوخذ نصر 10 آلاف يهودي من مدينة القدس إلى بابل.
3. سبي زدقيا (586 ق.م.)، وهو ثاني سبي لليهود يقوم به الملك البابلي نبوخذ نصر ,وفي ذات الوقت كان علامة حقيقية لنهاية المملكة اليهودية، كما شهد تدمير شبه كامل لمدينة القدس وسبي ما يقرب أربعين ألف يهودي إلى بابل.(8)

قام الآشوريون بتوزيع اليهود في المناطق الجبلية والتي تقع الآن ضمن حدود العراق وإيران وتركيا، وهي سياسة اتبعها الآشوريون في تشتيت أسراهم في أماكن عدة للحيلولة دون تكتلهم وقطع الطريق عليهم إن حاولوا العودة إلى الأماكن التي أجلوا عنها. وبما إن اليهود يرجعون نسبهم إلى نبي الله إبراهيم, لأنهم عدو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم هو جدهم الأول, وبما إن نبي الله إبراهيم ولد و بعث في العراق فقد عد اليهود سبيهم إلى العراق هو أمر صدر من الرب لأعادتهم إليه, لان أرض العراق هي في الأصل ارض جدهم وان هذه الأرض هي من ضمن ما أراده الرب لهم إلى جانب ارض الميعاد(9)! واثر مجيئهم للعراق أسس لهم نبيهم حزقيل أول كنيس (معبد يهودي) فيه, وفي بابل برز أهم علمائهم كعزرا ونعوم ودانيال وكوهين, والذين ابتدأ بهم العمل لوضع التلمود اليهودي, والذي يعد الأساس للديانة اليهودية, إذ انه تراكم الخبرات الشفوية للعلماء اليهود والمحافظة عليها بشكل مدون.(10)

وتأقلم اليهود مع مختلف التطورات والتغييرات وبمختلف إشكالها التي مرت على الأراضي العراقية, ومع قيام الملك الفارسي كورش بالقضاء على دولة (بابل) سنة 538 ق.م والتي كانت بقيادة ألسلاله الكلدانية, فقد أصدر بعدها بعام مرسوم اسماه (مرسوم العودة) والذي سمح فيه لليهود المنفيين في بابل بالعودة إلى فلسطين.(11) وقد يأتي موقف كورش هذا تجاه اليهود لعدة أسباب, قد يأتي بمقدمتها تعاون اليهود مع كورش في فتح بابل من جهة وتحريض زوجته اليهودية الجميلة

من جهة ثانية, يضاف إلى ذلك رغبته في مد رقعة الدولة الفارسية وتكوين إمبراطورية مترامية الأطراف من جهة ثالثة.(12)

ومع ذلك فقد اتسمت الموجة الأولى لعودتهم في عام 538 ق.م بفشل ذريع إذ أبى معظم اليهود الرحيل من الأراضي العراقية, مما دفع كورش إلى المحاولة ثانية مع مطلع عام 536 ق.م عبر استخدامه لإستراتيجية مغايرة إذ قام بتعيين شخصية يهودية مواليه له كملك على اليهود وتابع للدولة الفارسية وهو – زربابل– وقدم له مساندة ودعم مالي وعسكري كبير, فلهذا كله جاءت الموجة الثانية مؤلفة من حوالي 42360 شخصاً و7337 عبداً تقريبا, وتبعهم بعد ذلك موجتين كبيرتين بزعامة –عزرا الكاهن– و–نحميا– في عامي 528 و525 ق.م وبتأثير وضغط عسكري من قبل السلطات الفارسية, إلا أن العائدين لم يكونوا كل اليهود، إذ فضل غالبيتهم الاستقرار في العراق بعد أن تيسر لهم رغد العيش,(13) كما أنها ارض إبراهيم, وبالتالي عدوها بأنها أرضهم, فكيف يتركونها ببساطة!.

وهكذا أصبح العراق المركز الروحي للديانة اليهودية بالإضافة إلى المركز الرئيس للشتات اليهودي والملجأ الدائم والعام لكافة الجاليات اليهودية, وفي ذات الوقت أضحى العراق حاوياً لأهم المدارس والأكاديميات اليهودية والتي كانت تمتهن تخريج اكبر عدد ممكن من رجال الدين اليهود ليتولوا شئون أفراد الجالية اليهودية في العراق والمناطق المجاورة له والتي اخذ عدد أفرادها بالتضاعف والازدياد.(14) ونتيجة لسوء الوضع العام في فلسطين فقد التجأ ابرز علماء اليهود إلى العراق وبذلك أصبح المركز الرئيس لدراسة الديانة اليهودية وتطويرها, ومنه أيضا قام اليهود بتقديم مساعدات عدة للقلة القليلة التي بقيت منهم في فلسطين.(15) ولهذا يمكن القول أن يهود العراق تألفوا من أسرى أولاً ومهاجرين طواعية ثانياً، ثم أخذ عددهم, حتى بعد عودة قسم منهم لفلسطين في عهد كورش، يزداد مع مرور الزمن ومما ساعد على ذلك ما كانوا يتعرضون له من اضطهاد في فلسطين على يد القوات الرومانية فكانت بيئة العراق بمثابة متنفس لهم يفدون إليها من وقت لآخر

فراراً من ظلم الرومان وطمعاً في حماية وهكذا تزايدت إعداد جاليتهم, وأصبح لهم مكانة وحضور في ابرز واهم المدن العراقية.

وما إن جاء عهد الدولة العربية الإسلامية حتى لقي اليهود فيه كل اهتمام وتقدير وعوملوا معاملة جيدة بل أن بعضهم ارتقى مناصب مرموقة في عهد الدولة العباسية, فقد عد الإسلام, (اليهودية) ديانة توحيدية نبيها موسى المرسل إلى بني إسرائيل،[16] والذي هو كليم الله في طور سيناء، وأوحيا له بالتوراة والتي حرفها اليهود في وقت لاحق. وأصبح زعيم الطائفة اليهودية العراقية والملقب بـــ(رأس الجالوت) بفضل أهمية العراق ومكانته وموقعه, زعيماً للجاليات اليهودية في العالم أجمع, واستفاد اليهود من جو التسامح والرعاية، فلمع منهم العديد من العلماء والأطباء والحرفيين ورجال المال، وكان منهم الطبيبين (فرات بن شحناثا وحسداي بن أسحق), كما ازدهرت معابدهم في عهد الخليفة المعتضد ولاسيما أكاديمية سورا التلمودية، ولمع من الأحبار والعلماء سعديا بن يوسف المعروف (بسعديا الغيومي) وهارون بن يوسف وغيرهما.[17]

وقدر عدد اليهود في عهد الخليفة المستنجد العباسي عند زيارة الرحالة اليهودي (بنيامين القطيلي) لبغداد سنة 566 هـــ - 1170م بعشرات الآلاف في بغداد وحدها إذ كانوا يعيشون بأمان وعز ورفاهية، وكسبوا مركزاً مالياً ممتازاً وكانوا يتمتعون بالحرية الاقتصادية وحرية الدين فكانت لهم مدارسهم وكنسهم, ولقي حاخامهم الأكبر كل تعظيم واحترام.[18] لذا يمكن القول بأنهم تمكنوا في العهد الإسلامي من اكتساب ثقة الخلفاء والقادة العرب ونالوا حقوقهم المدنية والدينية ومارسوها بحرية مطلقة. وقبيل انتهاء الدولة العباسية كان لليهود في بغداد وحدها, أكثر من عشرين كنيس (مكان للعبادة اليهودية), وعشرات المراكز التي مارسوا فيها الطب والصيدلة وبيع وصياغة الفضة والذهب والجواهر الكريمة.[19]

ما إن زالت الخلافة العباسية باحتلال المغول الأراضي العراقية, تولى اليهود في السنين الأولى للاحتلال المغولي الإدارة المالية عن طريق الطبيب اليهودي (سعد الدولة), ألا إن الأمر لم يعمر هكذا, فقد ذاق اليهود كما ذاق كل العراقيين الأمرين على يد الغزاة المغول, واستمرت أحوال اليهود وغيرهم من العراقيين تسوء خلال العهد المغولي، إذ واجه اليهود البؤس والاضطهاد،[20] إلى إن جاء العثمانيون، وبدأت أوضاع اليهود العراقيين تسير في طريقها إلى الأفضل.

وقد عد اليهود دخول السلطان العثماني إلى بغداد ((يوم معجزة)) أو كما أسموه ((يوم نيس)), لإنقاذهم مما كانوا فيه من أوضاع مزرية.[21] واستطاعوا خلال فترة الحكم العثماني للعراق أن يستأنفوا حياتهم بحرية تامة، وأصبح لهم ممثلين في مجلس المبعوثان العثماني , أي كان لهم نواب يهود يمثلونهم في البرلمان العثماني, كما اتسعت طائفتهم وتعاظمت وعاش أفرادها جنباً إلى جنب مع مسلمي العراق الذين كانوا يرون أنفسهم مسئولين عن حماية جيرانهم وأصدقائهم من اليهود.[22] وقد برزت مكانة خاصة لليهود خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني, وذلك في مجال التجارة والأعمال، وكان رئيس صيارفة الوالي المعروف باسم" صراف باشا " يهودياً، واشتهر من بين هؤلاء الصيارفة ساسون بن صالح بن داود الذي تقلد هذه الوظيفة أعواما طويلة.[23]

وانتشر يهود العراق في المدن والقرى العراقية المختلفة ولاسيما في بغداد والموصل والبصرة وكركوك وتكريت وعانه وغيرها، وكانوا يقومون بالأعمال الاقتصادية المختلفة، وكانت لهم علاقات تجارية وثيقة في الهند وإيران وسوريا وجنوب شرق أسيا, إضافة إلى الدول الأوربية وخصوصا بريطانيا والنمسا. وفي عام 1863م سمح لليهود باستيراد أول طابعة عبرية مما يدل على نجاح اليهود بالتمتع بأبرز المنتجات العالمية إضافة إلى السماح لهم بطبع الجرائد والمجلات والكتب باللغة العبرية مما شكل تقدماً كبيراً لهم.[24]

ازدهر دور اليهود التجاري إثر افتتاح قناة السويس في مصر عام 1868م، إذ استفادوا كثيرا من افتتاحها لأنها كانت من أهم المرافق الدولية التي سهلت لهم الاتصال بتجار العالم وتعزيز مكانتهم المالية, إلى درجة أنهم سيطروا بشكل أشبه بالكامل على تجارتي العراق الداخلية والخارجية, وتعاظم دورهم هذا في أعقاب الاحتلال البريطاني للعراق بعد الحرب العالمية الأولى.(25)

وما إن أتم العراقيين تشكيل نظامهم الملكي في 23 أب 1921م حتى سمحوا لليهود بالمشاركة بشكل حقيقي وفعلي فيه, إذ اشتركوا في الوزارة عن طريق تبوئهم لمنصب وزير المالية الذي شغله (ساسون حزقيل), وبموجب قانون انتخاب النواب لسنة 1924، أصبح من حقهم التمثيل النيابي وخصصت لهم أربعة مقاعد، اثنان لبغداد وواحد لكل من البصرة والموصل، فيما كان لها ممثل واحد في مجلس الأعيان.(26) وقد تمتعوا بأوضاع جيدة إلى درجة إن ملك العراق (الملك فيصل الأول 1921–1933) قام في عام 1924م بزيارة تفقدية لأهم كنيس يهودي في بغداد وبرفقته طاقم كبير من المسئولين العراقيين.(27) وقبيل نهاية عهده, وبالتحديد في عام 1931م أعاد اليهود تشكيل مجلسهم الدنيوي والديني والذي تمثل فيه عشرون رجل دين وستون رجل مدني كما اعدوا قانونهم العبري ليحتكم إليه اليهود.(28) وكل هذا كان بعيدا عن قوانين الدولة العراقية, أي أنهم ما عادوا خاضعين لقانون الدولة التي هم فيها على الرغم من تمتعهم بخيراتها, مما يدل وبشكل واضح عن المدى الكبير من الحرية والنفوذ الذي كان يتمتعون به على الأراضي العراقية.

ومع كل ما قيل عن تعرض اليهود لتيارات عديدة اتخذت من معاداة السامية محورا لها, ومعاداة السامية هذه تدل على معاداة اليهود والعمل ضدهم, ألا إن الدلائل التاريخية التي تؤكد ذلك لم نستطع إيجادها على الرغم مما شاع عن الأحداث المنافية للمنطق والتي أعقبت إحداث حركة الضباط الأربعة ورشيد عالي الكيلاني في شهر أيار 1941م (حركة مايس) والكثير من الكلام الذي تردد عن

علاقة هذه الحركة بألمانيا النازية وما أعقبها من تعرض المناطق اليهودية إلى السلب والنهب الذي اشتهر باسم (الفرهود), أو هو بالأحرى (الفرهود الأول).

واثر قيام الصهيونية العالمية وبمساعدة الدول الكبرى بتأسيس دولة لليهود في الأراضي العربية الفلسطينية المحتلة وأسموها دولة (إسرائيل) في عام 1948, كرر اليهود بأنهم تعرضوا إلى الكثير من المضايقات والاعتداءات في العراق إذ عدهم بعض العراقيين متآمرين ومتفقين مع الصهيونية العالمية في ذلك.[29] إما فيما يتعلق بهجرة أو تهجير يهود العراق[*] إلى (إسرائيل) في خمسينيات القرن العشرين وان كانت الهجرة أو التهجير لأسباب داخلية أو خارجية فأننا عقدنا العزم على عدم التطرق لهذا الموضوع لان الكلام يطول فيه إضافة إلى وجود العديد من المصادر والرسائل والاطاريح الجامعية والدراسات والبحوث التي تناولته تفصيلا.

وبهذا نصل إلى وضع اليهود في الفترة الجمهورية أي خلال الأعوام 1958-2003م, فما إن شهد العراق قيام ثورة 1958 ضد النظام الملكي في صباح يوم 14 تموز حتى شعر ما تبقى من يهود العراق إن أحوالهم ستسوء كثيرا ولزموا بيوتهم لعدة أيام إذ تصوروا إن الثورة العراقية قامت بالتعاون مع جمال عبد الناصر والذي كان يشغل منصب الرئيس المصري, وكانت علاقته بـــ(إسرائيل) كما أشيع ويتردد إلى ألان بأنها كانت سيئة للغاية ويعده اليهود بأنه ضد السامية وسيعمل على قتل اليهود أو مطاردتهم.[30] لكن الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم عامل اليهود بشكل جيد وتمتع اليهود طوال عهده بالسلام والازدهار الثقافي والاقتصادي كما وفر لهم الدعم المالي والذي سهل لهم الإكثار من مرافقهم التعليمية وزاد من فرص توظيفهم في الدولة, أي بعبارة أخرى عاملهم على أنهم مواطنين عراقيين عاديين.[31] لكن ما إن انتهى عهد عبد الكريم قاسم, حتى أكد اليهود بأنهم وطوال عهده قد تعرضوا إلى أسوء أنواع المعاملة مما اضطر من تبقى منهم إلى ذلك الحين في العراق إلى اللجوء إلى (إسرائيل), و يؤكدون إن لجوئهم إليها ما هو ألا أمر مؤقت, لان العراق وطنهم ويأملون تحسن الظروف فيه للعودة إليه.[32]

وخلافا لكل ما قيل ويقال عن الحرب الشعواء التي تعرض لها اليهود على يد الحكومات العراقية المتعاقبة فأن هذا الكلام يتقبل الأخذ والرد, ولعل بقاء الكنيس اليهودي (مير تويج) في بغداد والى نهاية النظام ألبعثي عام 2003 واحتلال العراق,[33] لدليل على إن كل ادعاءاتهم بسوء المعاملة فيها كثير من الشك.

وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق بعدة أشهر قامت الطائرات الأمريكية بنقل تسعة يهود عراقيين إلى إسرائيل بحجة إن هؤلاء تجاوزت أعمارهم السبعين عاماً لذا فهم بحاجة ماسة للرعاية في المستشفيات الإسرائيلية, وبعدها بأشهر نقلوا أيضا سبعة عشر آخرين,[34] ويبدو انه لم يتبقى في العراق غير ثلاث وعشرين يهوديا والى يومنا هذا, وهؤلاء يتمتعون بكامل الحماية والنفوذ من قبل كلا من القوات الأمريكية والحكومة العراقية.

كما يراها اليهود: (Judaism) اليهودية:

مثلما تسعى (إسرائيل) التعريف لنشأها الجديد بديننا وتاريخنا وآدابنا وثقافتنا العربية وتدريس اللغة العربية في معاهدها وكلياتها, والإلمام بمختلف عاداتنا تقاليدنا واحتفالاتنا بأعيادنا الدينية والقومية, بالمقابل أرى وللحفاظ على حقوقنا أن نكيل لـــها بالمكيال نفسه وأن نطبق عملياً مقولة: ((اعرف عدوكَ)), من خلال معرفة وفهم واستيعاب ثقافته وتاريخه ودينه وواقعه وسياسته وإن أمكن النفوذ حتى إلى حياته الاجتماعية الخاصة.

وبناء على ذلك فأن كلمة اليهودية مشتقة من اسم يهوذا وهو احد أبناء نبـــي الله يعقوب, ويعبر هذا الاسم عن مدح يهوا, وهم يقولون أنهم ليسوا يهود بـــل هـــم شهود يهوا على الناس في الدنيا والآخرة. وهنالك ثلاث ركائز مؤصلة في كتـــابهم المقدس (التوراة) تعبّر عن الدين اليهـــودي وهـــي: الشـــعب، التـــوراة، الأرض. فيؤكدون إن يهوا قد اختار شعباً وقطع معه عهداً كي يعبر له عـــن محبـــة العهـــد والذي أراد به إن يحبه من دون جميع الشعوب, وقد أعطى يهوا هذا الشعب التوراة

ليبيّن له كيف يجب إن يسير حسب ما يقتضي العهد, وأخيرا هبة الأرض والتي هي عبارة عن عطية مميزة يعيش فيها الشعبُ متطلّبات العهد.[35]

التوراة:

أن الكلمة العبرية توراة تعني التعليم وتُترجم عـادة بالقـانون أو الشـريعة. وبشكل أدق تعني الكتب الخمسة الأولى المنسوبة إلى النبي موسـى.[36] إمـا فـي المعنى الواسع، فان التوراة تشتمل على قصص الأنبياء وأمور أخرى, وهذه هـي التوراة المكتوبة, إما الغير مكتوبـة فالمعروفـة بـالتوراة الشـفوية آو التلمـود (الدراسة).[37]

الوصايا:

"الميتسيفوت" كلمة عبرية تعني وصايا, تُعير الديانة اليهودية انتباهـا كبيـراً لدراسة التوراة والعمل بوصاياها.[38] وهي تتيح كما يؤمنون, لمن يمارسها في أدق تفاصيل حياته اليومية، أن يعيش حب يهوا وحـب القريـب.[39] ويحمـل اليهـود المحافظون أهدابا (تسيتست) تساعدهم على تذكر هذه الوصايا.[40]

نمط حياتهم الدينية:

الصلاة اليومية ثلاث مرات في اليوم:

1- صلاة الفجر، ويسمونها صلاة السحر (شحَاريت)، ووقتها حسب مـا قررتـه المشنا منذ أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأزرق إلى ارتفاع عمود النهار.
2- صلاة نصف النهار أو القيلولة وتجب منذ انحراف الشمس عن نقطة الـزوال إلى ما قبل الغروب.
3- صلاة المساء، ويسمونها صلاة الغروب "عَربيتْ" ووقتها من غروب الشـمس وراء الأفق إلى أن تتم ظلمة الليل الكاملة، أي ما يقابل وقت العشاء.

وتبدأ الصلاة بشيء يقابل الوضوء وهو غسل اليدين فقط، ثم يوضع الشـال الصغير على الكتفين، أو الشال الكبير في الصلوات التي تتم جماعة فـي المعبـد

كصلاة السبت والأعياد وهذا الشال يكون من نسيج أبيض مستطيل أو مربع وفي كل زاوية من زواياه، حلية مؤلفة من ثمانية أهداب من الخيط، أربعة بيضاء وأربعة زرقاء للتعرف على طلوع الفجر بتمييز الخيط الأبيض من الخيط الأزرق.[41] وعمل التقوى (افودة) المميز هو خدمة الهيكل مع تقديم الذبائح المختلفة, ومع غياب الهيكل، أصبحت الصلاة (الخدمة الصادرة عن القلب) هي تتبع نمط عمل الهيكل، أي ثلاث مرات يومياً.[42] وأيام السبوت والأعياد تضاف صلاة, وتشمل الصلاة تلاوة المزامير وقراءة صفحات من التوراة والتلمود, ويجب إن يرتدي من يقوم بالصلاة (شماع إسرائيل). كما تعلّق فوق ركائز الأبواب خشبة، بشكل مائل، مكتوب عليها (اسمع يسرائيل)، وعندما يدخل اليهود المتدينون البيت يلمسونها بكل احترام.[43]

الحجاب:

إن الأحجبة (تفيليم) التي يحملها اليهود خلال صلاتهم الصباحية هي عبارة عن علب صغيرة تحوي مقاطع من التوراة، مع حبال جلدية طويلة توضع على الجبين وعلى اليد اليسرى دلالة على أن كلمة يهوا لابد إن تتغلغل في الروح والقلب والعمل.[44]

عيد السبت:

خلال يوم السبت يتوقف كل عمل للاحتفال بخالق جميع الأشياء, ويبدأ يوم السبت مساء يوم الجمعة.[45] وقبل غروب الشمس تقوم ربة البيت بإشعال الشمعتين التقليديتين, ثم يبدأ احتفال استقبال يوم السبت، تتبعه صلاة المساء عندما تغيب الشمس, ويوم السبت صباحاً، يقرأ في الكنيس مقطع من التوراة, ويعدون الوجبات الغذائية التي تتخللها طقوس خاصة ثم صلوات وأناشيد, ومساء السبت، يتم فصل يوم السبت عن باقي الأيام العادية التي يتم الدخول فيها مجددا, وهكذا يُطلب من كل شخص أن يستنشق أنواعا من (البهارات) كي يحفظ طيلة الأسبوع رائحة السبت الطيبة، وخلال الأسبوع يبدأ التحضير للسبت القادم.[46]

عيد القمر:

يستقبل اليهود القمر الجديد وهم يتلون صلاة (هاليل), ويحتفل اليهود بـــالقمر الكامل, إما الأشهر اليهودية فهي قمرية.[47]

أعياد الحج:

((ثلاث مرات تعبّد لي في السنة)), وهي أعياد وجود الهيكل, والصعود إلـــى القدس للالتقاء بيهوا في مقرّه، ولتقديم بواكير إنتاج الفصل.[48]

الفصح:

يذكّر هذا العيد بمرور الملاك على منازل العبرانيين ليخلصهم من الموت قبل خروجهم من ارض مصر, كما يذكّر بالعبور من العبودية إلى الحرية.[49] يدوم هذا العيد 7 أيام، ابتداءً من 15 نيسان، ويقع في موسم حصاد الشعير في الربيـــع. وإن أقوى لحظة في الفصح هي (السيدر)، وهو عبارة عن وجبة عائلية تشـتمل علـــى صلوات وتراتيل طقوس يأكل اليهود فيها الإعشاب المرّة والخبز والفطير ويشربون أربع كؤوس من النبيذ, ثم يتم فيها سرد بعض القصص من التوراة.[50]

شفوعوت:

عيد الأسابيع (شفوعوت) يأتي بعد خمسون يوماً بعد الفصح، في أيام حصاد القمح، يحتفل اليهود، في يوم واحد، بعطية التوراة أثناء الخروج.[51] ويتم الاحتفال بهذا العيد من خلال أهازيج فرحة تعيد إلى الأذهان تقديم البواكير أيام الهيكل.[52]

السوكوت:

عيد الأكواخ (السوكوت), ويدعى أيضا عيد المظلة ويتم في نهاية الصـــيف خلال فترة قطف الفاكهة والعنب وتخزينها.[53] وهو يقضي ببقائهم سبعة أيام تحت خيم مصنوعة من سعف النخيل ويذكّرهم هذا العيد بأيام خـــروجهم مـــع نبـــي الله موسى من مصر ومرورهم بالصحراء.[54] يحتفل بهذا العيد بفرح من خلال طقوس تشير إلى العناية الإلهية التي يعبّر عنه بأشكال مختلفة من النباتات عندما يلوّحـــون

بها أثناء إقامة الصلوات في الكنيس، ويضاف لأيام العيد السبعة يوم ثامن وهو يوم الختام ويتم فيه حسب التقليد الاحتفال بالتوراة خلال احتفالهم بهذا العيد يدعون يهوا أن يغيثهم بهطول المطر لسقاية الزرع وإرواء الضرع.[55]

أعياد التوبة:

يّطلق اسم أعياد التوبة على عيدين يذكران بالرجوع إلى يهوا روحيا وأدبيا في بداية السنة المدنية.[56]

رأس السنة:

يقع في الأول من شهر أيلول أو تشرين أول إذ يتم حساب السنة السبتية كل سبع سنين وسنة اليوبيل كل خمسين سنة اعتماداً على هذا العيد. ويحتفل بيهوا في هذا العيد كملك وخالق وقاض.[57] ويدعو في هذا اليوم صوت ألبوق (صوفار) اليهود إلى العودة إلى يهوا للحصول على مغفرته.[58]

الكيبور:

عيد يوم الغفران (الكيبور) يحل في يوم 10 تشرين الثاني.[59] وكان الكيبور في أيام الهيكل اليوم الوحيد الذي يدخل به عظيم الكهنة (قدس الأقداس) ويلفظ اسم الله الذي لا يلفظه أحد أبدا سواه، وكان يقوم بطقس رش دم الثيران والتيوس علامة على التكفير, وكان يعترف بخطاياه وبخطايا اليهود ويلقيها على كبش (كبش فداء) ويرسله إلى الصحراء ثم يعلن صوت ألبوق (صوفار) فرح المغفرة. ومما يتميز به هذا اليوم هو الصوم، ولبس الثياب البيض تعبيراً عن الطهارة، وارتداء أحذية من القماش بدلا من الجلد، علامة على التوبة, وإن هذا اليوم، حسب التقليد اليهودي، هو الأكثر فرحا في السنة, لإيمانهم بان يهوا قد غفر لهم وعفا عما مضى من ذنوبهم.[60]

اسم الرب:

اسم الرب السامي هو الذي أوحيا به إلى النبي موسى في سيناء و يتكوّن من أربعة أحرف ويكتب (يهوا).[61] لا يلفظ أبدا علامة على الاحترام، لان التلفظ بهذا الاسم يعني إن للإنسان سلطة على يهوا, ويستعمل اليهود للكلام عنه تعابير وجمل أخرى منها القدوس المبارك.[62]

وهناك أعياد دينية أخرى كا حانوكة, وتويشفات ويتم الاحتفال فيه في 15 من شهر شباط, وبوريم وتيشاباف واللذان يحتفل بهما بمطلع آب, كما إن السلطات اليهودية الدينية اضافت عيدين هما (هعآتسموت) أي يوم الاستقلال وفيه تحتفل (إسرائيل) بقيامها، و(الهولوكوست) يوم الكارثة، الذي فيه يتذكرون فيه ملايين اليهود الذين ادعوا بان النازيون أبادوهم خلال الحرب العالمية الثانية في ما أسموه بالمحرقة النازية أو الهولوكوست.[63]

الأماكن المقدسة:

لا يوجد مكان مقدس بالمعنى الحرفي في اليهودية, والمكان الوحيد المقدس كان الهيكل, والحائط الغربي (المبكى) هو أقرب الأماكن إلى هذه التسمية, لذا هو مكرّم لأنه أقرب ما يكون إلى مكان الهيكل الذي كان يشكّل الحضور الإلهي، وكان الكهنة في الهيكل يقدمون الذبائح كفارة عن الخطايا، وكان اليهود يقدمون إلى يهوا، خلال رحلات الحج السنوية الثلاثة بواكير الحصاد.[64]

يرغب بعض اليهود في إعادة بناء الهيكل وتقديم الذبائح, لكن أغلب اليهود يظنون أن مكانه تعبير عن عودة الحضور الإلهي الذي يتزامن مع مجيء المسيح, والصلاة فيه عميقة، بالنسبة للفرد كما هي بالنسبة للجماعة.[65] ويعبّر عن ذلك بأوراق الصلاة الصغيرة الموضوعة داخل الحائط, والحركة الخارجية التي ترافق الصلاة هي تعبير عن مشاركة الجسد في الصلاة.[66]

وهنالك أماكن أخرى مكرمة بسبب ما تحمله من ذكريات وهي القبور, التي هي في الواقع أنصبة تذكارية, لأنبياء يهوا كإبراهيم واسحق ويعقوب في الخليل، ويوسف في نابلس، والأمهات سارة ورفقة وليئا في الخليل، وراحيل في بيت لحم، والملك داود في القدس على جبل صهيون.(67)

إما (بيت كنيست), فيعود أصلها إلى أيام الهيكل الثاني ولكنها لا تحل محل الهيكل وكونها موجهة إلى القدس، فهي تُعتبر أماكن لتجمع اليهود بغرض الصلاة والدراسة، شريطة أن تكون هذه الجماعة مكونة 10 أشخاص على الأقل.(68) وأهم مالديهم هي كتب التوراة الخمسة، وكتب الأنبياء وبعض الكتب الأخرى، والتي تُقرأ من المقرأ. مكان آخر مقدس هو (جنتسا) أي المخبأ، وفيه يحتفظ اليهود بالكتب والملفات التي لا تُستعمل والتي لا تُحرق ولا تُرم.(69)

وأخيرا هناك المينوراه وهي شمعدان بسبع فروع، وهو رقم الكمال اليهودي، وقد كان جزءاً من أثاث الهيكل, يوضع فيه زيت الزيتون ويبقى مضيئا باستمرار علامة على الحضور الإلهي, ومنذ دمار الهيكل لم تعد المينوراه أداة دينية إنما أضحت أداة زينة, واختيرت رمزاً لدولة (إسرائيل).(70)

المسيح المنتظر:

يعتقد معظم اليهود إن المسيح المنتظر هو عهد مسيحاني أكثر منه شخص محدد. ومع ذلك، فمن خلال تاريخ اليهود جسّد هذا الانتظار أشخاص كانوا رؤساء روحيون اعترفت بهم الجماعة، وامتازوا بغيرتهم على دراسة التوراة.(71) ومنهم من يؤمن بظهور المسيح , على أن يقود الشعب اليهودي في طريق الوصايا، ويبدأ عهدا سلام جديد يمهّد السبيل أمام جميع شعوب الأرض إلى الإيمان بيهوا الواحد الأحد وحسب تعاليم الديانة اليهودية.(72)

الحياة اليهودية:

الطفولة:

ختان الصبي في يومه الثامن أمر ورد في الكتاب المقدس، ويدل على دخول الطفل في عهد إبراهيم. ويعطى اسما, ولا يوجد طقس خاص للبنات، لأن البنـــات، حسب التقليد، يُعتبرن داخل العهد.[73]

البارميتسفاه:

البارميتسفاه تعني (ابن الشريعة), فعندما يصل الشاب إلى عمر البلوغ الديني (13 سنة)، يُعطى مسؤولية حفظ شرائع التوراة، ويقرأها لأول مرة في الكنيس.[74]

الزواج:

يدعى (الهوبا)، والاحتفال به يتم تحت غطاء كبير على شكل شـــال صــــلاة، بحضور رجل دين، وبمقايضة الحملان بين الزوجين، ومشاركة في كأس من النبيذ يُكسر فيما بعد كذكرى على دمار الهيكل, ويتلو العريس صيغة الزواج التي هـــي: (ها قد تكرستي لي بهذا الحمل حسب شريعة موسى وشعب إسرائيل), ويّكتب عقـــد الزواج بخط اليد المزخرف ويُحفظ بعناية.[75]

الموت:

الكلمات الأخيرة التي تهمس في إذن المحتضر هي: (أسمع يا إســـرائيل، إن الرب إلهك واحد).[76] يدفن الموتى ويُلفون بشال الصلاة، وعادة في بطن الأرض, وفي حالة الدفن خارج (إسرائيل) يتم وضع تراب منها بقرب رأس الميت, وأمـــام الجثمان، يتلو أقرب الأهل صلاة قاديش (تقديس اسم يهوا), ويمزّق إفــراد العائلـــة طرفا من ثيابهم علامة على الحداد، ثم يبقون مدة أسبوع في البيت ,جالسين يتلـــون الصلاة ويتقبلون التعازي.[77]

المرأة اليهودية:

المرأة معفية من كل الوصايا المتعلقة بالوقت لأنها يجب أن تكون جاهزة لأشغال البيت. لها يعود تقديس الحياة العائلية بالسهر على تعليم الأولاد، والمحافظة على الطهارة الدائمة للبيت, ومعبد المرأة هو بيتها وهي بشكل خاص ملكة يوم السبت.[78]

التقويم اليهودي:

يتألف التقويم العبري من 12 إلى 13 شهراً , ويجعلون من سنتهم العبرية في أحد الأعوام (13 شهراً) بعد أن كانت في سنة سابقة (12 شهراً فقط) ويكون عادة الشهر المضاف بعد الشهر السادس أي (آذار) ويسمون الشهر الذي أضافوه (شهر آذار الثاني), والجدير بالذكر أن أشهر التقويم العبري تتراوح بالتناوب من حيث عدد أيامها بين 30 والـ 29 يوماً علماً أن الشهر الأول تعداده 30 يوماً والشهر الأخير 29 يوماً.[79] ولمعرفة السنة العبرية ومعادلتها بالسنة الميلادية التي نمر بها فيكفي أن نضيف الرقم (3761) إلى السنة الميلادية التي تمر علينا ليتضح فارق السنين الزمني بين التقويمين اليهودي والميلادي.

ويستند التقويم العبري من الناحية الجغرافية على المبدأ الشمسي لكن يجب الأخذ بعين الاعتبار أن السنة العبرية تبدأ من شهر (تشري) والذي يقابله شهر تشرين الأول في السنة الميلادية, واختار اليهود أول يوم فيه لبدء السنة العبرية استنادا على انه هو اليوم الذي قرأ فيه نبيهم عزرا منذ ما يقارب /3761/ سنة قبل الميلاد, شريعة موسى (هالاخاموشيه) ولدى سماعها بكوا نادمين على ما ارتكبوا من خطايا بحق الرب حينما عصوا أوامره ونهيه وأعلنوا توبتهم أمام النبي عزرا واعتبروا رأس السنة العبرية في اليوم الأول من شهر تشرين عيداً لهم وأطلقوا عليه (روش هشَنَه عفريت).[80]

الأشهر العبرية:

تحمل الأشهر العبرية أسماء معربنة [81], وهي:

(تشري)، (حشوان)، (كسليف)، (طيبيت)، (شفاط)، (آدر1)، (آدر2)، (أبيب)، (زيو)، (سيوان)، (تاموز)، (آف)، (أيلول).

اللغة العبرية:

لم يرد مسمى (عبرية) في العهد القديم للإشارة إلى لغة العهد القديم, واللغة العبرية هي من بين اللغات السامية القليلة المتبقية والموجودة إلى يومنا هذا, وتنتمي اللغة العبرية لأسرة اللغات السامية التي اصطلح العالم الألماني شلوتسر على تسميتها باللغات السامية عام 1781، لما لاحظه من خصائص وسمات لغوية مشتركة بينها، وتسمى اللغات السامية بهذا الاسم نسبة إلى سام بن نوح.[82] وتذهب أرجح الآراء إلى أن موطن اللغة السامية الأم هو شبه الجزيرة العربية، وبأن اللغة السامية الأم هي اللغة العربية، التي كانت تتحدث بها قبائل شبة الجزيرة العربية قبل الهجرات السامية، ولما استقرت هذه الهجرات في أماكنها استقلت بلغاتها وبدأت تختلف عن الأصل السامي الأول في بعض مفرداتها وتراكيبها اللغوية وبناء جملها، مع الاحتفاظ بين ثنايا لغاتها الفرعية بأصول لغوية تتشابه مع ذات الأصل السامي الأول (اللغة العربية)، ولم يبق من اللغات السامية مستخدم حالياً سوى ثلاث لغات هي: العربية والعبرية والحبشية.[83]

ويرجع الفضل في استمرار اللغة العبرية على مدى سنوات الشتات الطويلة لليهود، إلى الديانة والأدب الديني الذي تبلور وتقدس على مر الأجيال, وقد استمر وجود اللغة العبرية على مر الأجيال بصور مختلفة, فكانت اللغة العبرية بلهجاتها وروافدها المختلفة، لغة الحديث والكتابة والإبداع، في فترتي الهيكل الأول والثاني، واستمرت كلغة للكتابة والأدب وبدأ تدريسها في المعاهد الخاصة في الجاليات المختلفة.[84] أما في العصر الحديث، فقد تحولت اللغة العبرية تدريجياً إلى لغة كتابة وإبداع أدبي وحوار على السواء مثلما كان في فترتي الهيكل الأول والثاني.[85]

لم تكن اللغة العبرية، على مر الأجيال، اللغة التي حافظت على نفسها فقط, بل اتضح تأثيرها وتأثرها باللغات المختلفة التي اتخذها اليهود لأنفسهم إثناء تنقلهم.(86) كما يُعتقد أن أسباط إسرائيل عند دخولهم أرض كنعان وأثناء احتلالهم للأرض تبنوا لأنفسهم اللهجات الكنعانية التي تحدثت بها المناطق التي استوطنوها ولم يكن هناك فرقاً جوهرياً بين تلك اللهجات, واستخدمها الأسباط في عصر القضاة وبداية عصر الملكية.(87) وبعد تولى نبي الله داود الحكم أصبحت أورشليم عاصمة المملكة الموحدة وأهم مركز ديني فيها، فزاد تأثير اللهجة اليهودية التي تحولت من خلال الاحتكاك بلهجات سبطية أخرى إلى اللغة الرسمية للملكة ولغة كتابتها.(88) وبهذه اللغة بدأ تدوين الإنتاج الديني، الذي قدسه الآخرون, وأدى استخدامها بكتابة الأدب المقدس إلى صقلها وزيادة تأثيرها بين دوائر الكتاب ورجال الدين, لكن يبدو أن كل ذلك لم يؤد إلى تحويلها إلى لغة عامة الشعب الذي استمر في استخدام اللهجات التي تبناها من قديم الزمن.(89)

ونميز في تاريخ اللغة العبرية في العصر الحديث ثلاث فترات رئيسية يصعب تحديد تواريخ فاصلة ودقيقة بينها وهى: فترة التنوير (الهسكالاة) والتي حدث فيها تطور للغة العبرية لكنها بقيت لغة للكتابة فقط, والفترة الوسطى والتي تحولت فيها اللغة من لغة كتابة إلى لغة حديث, والفترة الحديثة التي تحولت فيها اللغة إلى لغة كتابة وحديث.(90)

وعلى مر السنين، أصبحت اللغة العبرية اللغة الرسمية في (إسرائيل)، إذ اعترف باللغة العبرية كلغة رسمية إلى جانب اللغتين الإنكليزية والعربية.(91) وساهم تحول اللغة العبرية إلى اللغة الرسمية للاستيطان اليهودي في التطور السريع لها وأدت الاحتياجات السكانية في مجال الكهرباء والجيش والعلم والصناعة إلى أيجاد واستيعاب آلاف المصطلحات.(92)

وتؤكد الحكومة (الإسرائيلية) لمواطنيها إن الرباط اللغوي يكاد يكون الرباط القومي الوحيد بينهم وليس التوراة، وذلك لأن التراث الحضاري للجماعات اليهودية متنوع، كما أن الكتب اليهودية متنوعة وبعضها مكتوب بالآرامية، ولا يؤمن به كثير من الإسرائيليين، وتحاول الحكومة (الإسرائيلية) استخدام اللغة كأداة لتذويب الفوارق القومية الدينية،[93] فالعبرية هي أحد أسس أسطورة (بوتقة الصهر) الصهيونية. وقد جعلت (إسرائيل) المشاركة في الأعمال ذات المهمة والحساسة في الدولة مقصورة على من يجيد العبرية، كما أن الجيش وهو من أهم عناصر التكامل الاجتماعي فيها, يعمل على تقديم العبرية للمجندين القادمين من أطراف العالم وعبرنة أسمائهم ليتم صبغهم بالصبغة القومية، كما يتعين حتى على كبار موظفي الدولة أن يعبرنوا أسماءهم[94]. ورغم كل هذه المحاولات فيبدو أن عملية الدمج لم تنجح بعد تماماً، ويتضح هذا من عدد الصحف التي تظهر بلغة البلاد الأصلية التي هاجروا منها، كما أن الإعلام (الإسرائيلي) يقدم بلغات عديدة، ومعظم الصهاينة يتحدثون العبرية خارج منازلهم ، أما داخلها فإنهم يتحدثون إما لغة الموطن الذي جاءوا منه وإما العبرية باللهجة التي يعرفونها[95].

ولا تزال العبرية هي لغة القلة من اليهود، إذ يتحدث أعضاء الجماعات اليهودية لغة أوطانهم بما في ذلك ما يكتبونه عن أنفسهم وعن اليهودية، فيتحدث أكثر من عشرة ملايين يهودي الإنكليزية، ويتحدث مليونان الروسية وعشرات آلالاف يتحدثون العربية وأكثر من مليون ونصف المليون يتحدثون لغات أخرى مثل الفرنسية أو الأسبانية أو البرتغالية، ولا يتحدث العبرية سوي 30% منهم، ويبدو أن لغة الغالبية العددية من أعضاء الجماعات اليهودية في العالم وفي (إسرائيل) هي الإنكليزية، وأن أضحت في الوقت الحاضر العبرية والعربية هما اللغتان المعترف بهما رسميا في (إسرائيل) وبحسب قانون الدولة الصهيونية.[96]

ومما لاشك فيه أن أهم مرحلة أدت إلى إحياء ونشر اللغة العبرية هي أقامة (إسرائيل) باحتلال عسكري لفلسطين، مما جعلها لغة رسمية في بقعة جغرافية

تتداول فيها من خلال مؤسساتها المختلفة، وتتوالد الأجيال متوارثة تلك اللغة مما حمى هذه اللغة من الاندثار، وجعلها تتحول من لغة مقدسة قاصرة على الكتب الدينية والصلوات اليهودية إلى لغة حية ، وتبدأ حاليا مرحلة من الترجمات من وإلى العبرية واسعة النطاق، كما يوجد إنتاج عبري في كافة المجالات، مما أدى إلى انتعاش اللغة العبرية في العصر الحالي.

اللهجة العراقية وإثرها باللغة العبرية:

لقد تبادر إلى ذهني هذا الموضوع لأنه كلما تباحثت أو تناقشت مع أساتذة اللغة العربية فأنهم يؤكدون لي وبحزم وجزم كبير إن اللغة العبرية هي التي أثرت وغيرت وأضافت العديد من الكلمات والمصطلحات إلى اللهجة العراقية وتكرر الأمر في عدة مناطق كبغداد والموصل وتكريت وعانه وفي ذات الوقت يرفضون بشكل كبير إن يكون للهجة العراقية أي تأثير باللغة العبرية وكأنهم نسوا أو تناسوا إننا فعلا إثرنا باليهود واقله عن طريق لهجتنا العراقية العامية وها نحن نقدم المثال التالي كبرهان مدعم لرؤيتنا ومثبت لكلامنا.[97]

الكلمات العربية ومقابلها الكلمات المتداولة في اللغة العبرية وهي ذات أصول لهجوية عراقية:

لا يساوى شيئاً: معفن

فتوة: صايع

هيا: يالا

حسنا: ماشى الحال

هادئ: مرتاح البال

غضب جدا: تحمس

أبصر: رأؤو

أبطل: بطل

اجل (زمان): زمان

اجل (وقت): ياعود

احتراق: مقلية

اخترق: كصر

اخرق: بعر

احذر: دير بالك

مزيف: ابو كريفه

ارتعش: راعوش

ارتفع: عالو

أرخ: كتوب تأريخ

ازدراء: بوز

استجواب: هتمعنى[98]

إسراع: حفز

اطل: تقرب

البس: ستر دابار

التباس: هتمزكت

املح: مالوح

أمريكي: امريكاني

أنا: أني

انتحب: شهق

انجح: هصلح

اندهش: تموه

أوشك: هتقرب

إيمان: امونا

باميا ء: باميا

بعوض: بقا

بناء: بنيان

بنان: اصبعوت

صحن: ماعون

تجميل: هتقشط

احدب: تكبن

تحطم: تتبص

دائري: تعكل

ترشح: بخيخ

تسخين: حم

تشهى: اوه

تعب: ياكيع

تقصير: قصور

تكحيل: تكحلت

تلقب: تكنى

تمرغ: تقلش

تمشى: اروح

حذاء: نعل

جف: يبش

جهوري: عل

حساء: ماراق

خبا: هستر

خطوة: بسيع

خف: قلل

دنى: كرب

رج: نعنع

رد على: حزر

رشوة: شحد

سماد: زبل

شجر: شاتل

ضفيرة: كديلة

طبيعة: طبع

طبيعي: طبعي

طلع: برح

عصارة: معصارا

عوى: نابوح

غراء: دبق

قرأن: قورأن

قرنفل: كرنفول

كاكاو: ككاو

لاصق: دبق

مدلل: مدلع

أوساخ: مزبالا

هز: نعنع

.... الخ.

الهوامش

1- ينظر: جوستاف لوبون, اليهود في تاريخ الحضارات الاولى, ترجمة عادل زعيتر, القاهرة 1950.

2- وليم مكنيل وآخرون, شريعة حمورابي واصل التشريع في الشرق القديم, ترجمة أسامة سراس, دار علاء الدين, القاهرة, ص ص 23-92.

3- Sassoon, David Solomon, A History of the Jews in Baghdad, London 1949.pp.21-28.
4- Saggs, H.W.F., The Babylonians, The Folio Society, new York 1988,p.16.
5- ibid,pp.36-37.
6- Rejwan Nissim, The Jews of Iraq, Weidefeld and Nicolson, London 1985,p.6
7- Saggs, H.W.F.,op ,cit, p.39.
8- Stillman Norman, The Jews of Arab Lands, Jewish Publication Society, 1979,pp.46-87.
9- Rejwan Nissim , op, cit,p.24.
10- ibid, p.28.
11- Stillman Norman, op, cit, p.92.
12- ibid, p.94.
13- ibid, pp.96_103.
14- ibid, p.105-109.
15- Rejwan Nissim , op, cit,p.53.
16- ibid, pp.57-66.

17- ينظر: د.احمد سوسه, العرب واليهود في التاريخ, وزارة الثقافة والإعلام, بغداد 1972.

18- Sassoon, David Solomon, op, cit, pp.30-34.
19- ibid,p.38.
20- ibid,p.51.
21- Stillman Norman, op, cit, pp.114-117.
22- ibid,pp. 120-124.
23- ibid,pp. 126-140.

24- Sawdayee, Maurice, The Baghdad Connection, London 1991,p.15.

25- ينظر: د.خلدون ناجي معروف,الأقلية اليهودية في العراق بين سنة 1921 و1952, مركز الدراسات الفلسطينية, بغداد 1975; علي عبد القادر ألعبيدي, النشاط الصهيوني العراق 1921-1952, رسالة ماجستير (غير منشورة), كلية الآداب, جامعة بغداد, 1994.

26- Sawdayee, Maurice, op, cit,p.17.

27- Moshe Gatt, The Jewish Exodus from Iraq 1948-1951, Ramat Gan 1996,p.28.

28- Rejwan Nissim , op, cit,p,85.

29- ibid,p.93.

* تفيد الإحصاءات (الإسرائيلية) إن عدد من اليهود العراقيين الذين عادوا إليها في خمسينات القرن العشرين كانوا 124,673 إلف... , أكرم لمعـي, الاختـراق الصهيوني للمسيحية, دار الشروق,ط2, القاهرة 1993, ص101.

30- Walid khaddori, the Jews of Iraq in the ninetieth century: study of social harmony in Zionism, imperialism and racism, London: crom-helm 1979,pp.14-39.

31- Maurice Shohet, The Children of the Community of Moses (The History of the Iraqi Jewish Community) 1958-1975, Jerusalem, 1975,pp. 7-38.

32- Dexter Filkins, Nimble Exile, Searches for Role in Iraq, New York 2004,p.34.

33- ibid,p. 43.

34- ibid, p. 47.

35- ينظر: محمد خليفة حسن, تاريخ الديانة اليهودية, مطبعة قباء, القاهرة 1998; إسرائيل شاحاك, الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود, ترجمة حسن خضر, سينا للنشر 1994.

36- e. m. roth, Jews, new York, p. 18.

37- ibid, p.26.

38- a. l. sacher, a history of the Jews, new York 1953,p. 37.

39- ibid, p.40.
40- e. m. roth, op, cit, p.31.
41- s. d. goitein, Jews and Arabs, their contacts trough the ages, new York 1955, pp.74_75.
42- ibid, p.76.
43- ibid, pp.78-82.
44- e. m. roth, op, cit, p .45.
45- ibid,p.49.
46- ibid,p.54.
47- s. grayzel, a history of the Jews from the Babylonian exile to the Israeli, Jewish usa, Philadelphia 1996, p.35.
48- ibid,p.42.
49- ibid,p.51.
50- ibid,p.53.
51- ibid, p.58.
52- ibid,p.59.
53- a. m. stillman, the Jews and Arab, London 1977, p.124.
54- ibid, p.128.
55- ibid,p.130.
56- ibid, p.163.
57- s. grayzel, op, cit, p.167.
58- ibid, p.169.
59- m. udovtich ,the last Arab Jews, Bernard marten, London 1984, p. 47.
60- ibid, p.48.
61- s. grayzel, op, cit, p.173.
62- ibid, p.175.
63- ibid, p.198.
64- m. udovtich , op, cit, pp.50-56.
65- ibid, p.59.
66- ibid, p.60.
67- ibid, pp.82-85.
68- ibid, p.89.
69- ibid, p.94.
70- s. grayzel, op, cit, p.210.

71- محمود ثابت الشاذلي, شالوم عليحم_السلام عليكم_دراسة في أدبيات السلام الإسرائيلي,مكتبة وهبه, القاهرة 1992, ص ص26-115.

72- s. grayzel, op, cit, p.213.
73- tom Hirschberg, Jews family, Paris 1988. p.26.
74- ibid, p.29.
75- ibid,p.35.
76- ibid,p.38.
77- ibid,p.41.
78- ibid, p.47.
79- ibid, pp.49-58.
80- i. s. zinberg, a history of Jewish literature, vol1,translated: Bernard lutes, London 1972,p.18.
81- ibid, p.21.
82- ibid, p.25.
83- a. m. stillman, op,cit,p.168.
84- ibid,p.170.
85- ibid, p.177.
86- e. m. small wood, the Jews in England, London 1978, p.63.
87- i. s. zinberg, op, cit, p.27.
88- ibid, p,32.
89- ibid, p.45.
90- e. m. small wood, op, cit, pp.84-93.
91- Maurice Shohet, op, cit, p.171.
92- ibid, p.174.
93- tom Hirschberg, op, cit, p.67.
94- ibid, pp.69-71.
95- m. udovtich, op, cit, p.112.
96- s. grayzel, op, cit, pp.217-220.

97- اعتمدنا في هدا الجانب على مجموعة كبيرة من المعاجم العبرية-العربية, ومنها: د. محمد التونجي, معجم الطلاب المزدوج-عبري عربي-, دار الكتب العلمية, بيروت 2002.

98- ملاحظة: (أن حرف الهاء في الكلمات العبرية لا يلفظ حينما يكون في بداية الكلمة لأنه بمكانة إل التعريف).

المواقف السياسية لبعض القوى الدينية والإقليمية والدولية تجاه سياسة أتاتورك إزاء الكرد 1923-1938

يمكن تقسيم تاريخ الأكراد في تركيا من خلال علاقتهم بالدولة المركزية إلى ثلاث مراحل, فقد بدأت المرحلة الأولى عام (1514م) حين استولت الدولة العثمانية على الجزء الأكبر من (كردستان) اثر معركة (جالديران) الشهيرة واستمرت حتى نهاية القرن الثامن عشر, إما المرحلة الثانية فامتدت طوال القرن التاسع عشر وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى في العقد الثاني من القرن العشرين, كما ومثلت نهاية الحرب العالمية الأولى الانطلاقة الحقيقية لبداية المرحلة الثالثة.

وقد بدأت المرحلة الأولى بخضوع الجزء الأكبر من (كردستان) للحكم العثماني لأول مرة عام (1514م) بعد تقسيمها بين الدولتين العثمانية والصفوية. وقد مرت علاقة الأكراد بالدولة العثمانية طوال هذا التاريخ بفترات عمد فيها العثمانيون إلى توظيف وتسخير القدرات الكردية في حروبهم المختلفة.

ففي بداية عهد السلطان (سليم الأول) بعد انتصاره على الصفويين أعطى الأكراد العهود باحتفاظهم باستقلال إماراتهم القائمة وتوارث الحكم فيها من الآباء للأبناء مقابل مساعدتهم للدولة العثمانية في حروبها, ثم تغير الحال بعد وفاة السلطان فقد بدأت السلطة المركزية تحكم قبضتها على الإمارات الكردية.

استمر ذلك الحال طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر, واستمر الأكراد طوال تلك الفترة بأداء الخدمة العسكرية الإجبارية ودفع الضرائب الباهظة, غير إن مقاومة الأكراد للسلطنة العثمانية لم تتصف بالروح القومية الانفصالية وإنما كانت بغرض الحفاظ على الهوية وممتلكات الزعماء وشيوخ القبائل والمصالح العشائرية, وذلك لأن السلطان ظل في نظر

الأكراد حتى ذلك الوقت هو خليفة المسلمين الذي يجب طاعته والولاء لـــه, لكــن الاستبداد العثماني فاق حدود الصبر والطاعة فعانى الأكراد من الاضطهاد ولم يكن أمامهم إلا الثورة والانتفاض على السلطان نفسه.

وخلال تلك الفترة كانت كردستان مقسمة إلى جزأين اثنين فقط الأكبر منهما خاضع للعثمانيين والأصغر للصفويين, ولم تكن حدود التقسيم الذي صنعته الدولتان العثمانية والصفوية في كردستان قد ترسخ وإنما كان مفتوح لكل الأطراف, لـــذلك فإن الأكراد كانوا على علاقة بالدولتين ولم يثبتوا على حال واحد في علاقتهم بهما فكانوا إذا اصطدموا بالعثمانيين استنجدوا بالصفويين والعكس كذلك. وقد كان حــال أمرائهم في فرقة وتشرذم, وكانت حروبهم فيما بينهم تتصف بالقبليـــة والعشـــائرية وانحياز بعضهم إلى إحدى الدولتين لتنصره على خصمه من أبناء قومه بينما ينحاز الآخر إلى الدولة الأخرى لنفس الغرض, وبالطبع استغلت الدولتان ذلك لتضـــعفهم وتفت قوتهم وتستنزف طاقتهم.

إما المرحلة الثانية فقد شهدت بدايتها بمنتصف القرن التاسع عشر وبالتحديـــد بما يقرب من عام (1850م) إذ بدأ الوعي بالقومية الكردية يتبلـــور فـــي عقـــول الأكراد والرغبة في الاستقلال تنمو بقلوبهم, وتجسد ذلك بحدوث التمـــردات ضـــد الدولة العثمانية. وفى ذلك الوقت كانت هناك عدة عوامل ساعدت على نمـــو هـــذا الشعور منها ازدياد الظلم والقهر والاضطهاد ضد الأكراد، إضافة إلـــى الضـــعف المتزايد للدولة العثمانية وهزائمها العسكرية المتكررة.

وثالث المراحل التي مر بها كرد تركيا كانت في أوائـــل القـــرن العشـــرين وبالتحديد مع تقارب نهاية الحرب العالمية الأولى, ففي أثنائهـــا تحولـــت المنـــاطق الكردية إلى ميدان للحرب والقتال نتيجة لدخول الدولة العثمانية الحرب متحالفة مع دول الوسط المتمثلة بألمانيا والنمسا ضد دول الوفاق والتي مثلتها روسيا وبريطانيا

وفرنسا, وكان الدافع لمشاركة الأكراد في تلك الحرب هو تلبية نداء الجهاد ضد الكفار الذي أطلقه الخليفة العثماني.

وبانتهاء الحرب وهزيمة العثمانيين كانت روسيا قد احتلت المناطق الكردية, ثم تخلت عنها بسبب قيام الثورة البلشفية فيها والتي كانت ببدايتها ترفض مبدأ احتلال أراضي الآخرين. وبذلك ظل الأكراد على تبعيتهم وولائهم للدولة العثمانية التي عملت جاهدة على الاحتفاظ بثقتهم ووعدتهم بتحقيق أمانيهم وطموحاتهم القومية.

وبانتهاء الحرب كانت الدولة العثمانية قد خسرت أجزاء أخرى في غرب البلاد ووقع قسم من أراضيها تحت احتلال اليونانيين والوفاق, وبدأ (مصطفى كمال أتاتورك) ما يسمى بحرب التحرير لاستعادة تلك الأراضي, وهنا وقف الأكراد معه وقفة صادقة وألقوا بكل ثقلهم في المعارك التي دارت بينه وبين اليونانيين. وشكلت القطاعات الكردية المسلحة ركناً أساسياً في الجيش التركي لمحاربته البريطانيين واليونانيين وقد أشاد (أتاتورك) نفسه بدور الأكراد البطولي في حرب التحرير والاستقلال.

ولكن بعد إعلان الانتصار تغيرت الأحوال، وأظهر (مصطفى كمال) للأكراد وجها آخر, فبعد أن ظل طوال حرب التحرير يخطب ودهم ويقدم لهم الوعود بتحقيق أمانيهم القومية فإنه ما كاد ينتهي من معاركه حتى انقلب عليهم وأنكر كل حقٍ لهم بإقامة حكم ذاتي في مناطقهم. فحرَّم استخدام اللغة الكردية وقام بتهجير مئات الألوف من الأكراد من شرق تركيا إلى غربها, ونقل زعماءهم إلى أماكن بعيدة عن مناطق نفوذهم وأطلق على الأكراد اسم (أتراك الجبل). كذلك فقد نص الدستور التركي على أن "جميع سكان تركيا بغض النظر عن دياناتهم وقومياتهم هم مواطنون أتراك" وعلقت الصحف التركية على هذه المادة صراحة فقالت: ((أنه يجب على غير الأتراك إما أن يندمجوا في المجتمع التركي أو يرحلوا)).

ومع إن الموقف التركي إزاء الحركة الكردية قد بحث من قبل العديد من الباحثين الأتراك والغربيين والعرب والذين انقسموا ما بين مؤيد ومعارض لمجمل تلك السياسات, إلا إن بيان حقيقة الموقف الدولي تجاه السياسة الكمالية إزاء كرد تركيا فنراه _حسب اطلاعنا_ غائبا من مجمل الدراسات التي حاولت ونوت معالجة القضية الكردية في تركيا, ومن هنا جاءت محاولتنا هذه لبيان ولإيضاح وتفسير اتجاهات مواقف بعض القوى الدينية التركية إضافة إلى المواقف الإقليمية والدولية إزاء سياسة الرئيس التركي مصطفى كمال أتاتورك تجاه الكرد في سنوات حكمه 1938.-1923

1- مواقف الحركات الإسلامية التركية من سياسة أتاتورك تجاه الكرد:

الأتراك شعب يتكلّم اللغة التركية ويعيش في تركيا, وهم لوحدهم من يعيش ويحكم تركيا, للوهلة الأولى لا تؤخذ الفكرة كمضمون ثوري مبتكر، ومع هذا فإنّ تقديم هذه الفكرة في تركيا وقبولها من الشعب التركي لإيجاد هويته ووطنه من الأسباب الرئيسية في ثورات العصر الحديث المتضمّنة التغيير في النواحي الاجتماعية والثقافية والسياسية التقليدية التي كانت سائدة مسبقا.[1]

ولفهم القومية التركية وكيفية إسهامها في قيام السياسة المعادية للأقليات الغير تركية فيجب مقارنتها مع العثمانية, وفي القرن التاسع عشر كانت العثمانية هي الأيديولوجية المهيمنة في فترة الإصلاح أو (عهد التنظيمات)،[2] ولقد حافظت الإيديولوجية العثمانية على وحدة أراضي الدولة عن طريق السماح للأقلّيات بالاستقلالية الذاتية، وبتقديم بعض الإصلاحات التحرّرية لجميع العثمانيين ، بغضّ النظر عن انتمائهم الديني والقومي في ظلّ (نظام الملّة).[3]

لقد نجح السلطان عبد الحميد في محاولة الحفاظ على الدولة بالدعوة إلى الخلافة الإسلامية والتي راجت شعبياً حتى بعد ثورة 1908,[4] ولكنّ نجاح الثورة وانفصال أقاليم إسلامية، وخصوصاً في ألبانيا ومقدونيا بدّد الأمل في الحفاظ على

وحدة الدولة العثمانية,[5] وما إن دخل العثمانيين الحرب العالمية الأولى حتى اتضح أن الوحدة الإسلامية أضحت في طي النسيان.[6]

وقد أكد ذلك وزير الدفاع العثماني- أنور باشا- بقوله: ((إن هــذه البدعــة الخيالية المخيفة التي يسمّونها الأمّة الإسلامية، والتي ظلت سدّاً يحول دون تقــدّمنا وتحقيق الوحدة الطورانية، في طريقها إلى الــزوال والتفكّــك)),[7] إذاً فالمــذهب الطوراني يتعارض مع ما تمثّله الدعوة الإسلامية, ولذا فقد عارضه شريف مكّة في 5 آذار سنة 1917 ودعا مسلمي الدولة العثمانية,وخاصّة الجيش للانتفاض ضدّ ما سمّاهم (جماعة الطورانيين الكفّار).[8] ولقد أثبتت وبشكل لا يقبل الشــك السياســة التركية في ما بعد تناقضها والرسالة الإسلامية، فقد تــم الارتكــاز علــى الفكــر الطوراني المصحوب بالعدوانية التي تم انتهجها تجاه الدين الإسلامي[9].

لقد بدت القومية التركية كعقيدة متمرّدة لها تعاليم ثوريــة ومبــادئ تركيــة محضة، ونظرياً فقد طمح الطورانيين إلى أن تصبح دولتهم التركية من دون مشاكل الأقلّيات ومضايقاتها.[10] وكانت الغاية الرئيسية التي صبوا إليها هي زيادة الشعور القومي عند الأتراك، والعمل على إضعاف هذا الشعور عند الأقلّيــات، وإشــعارها (أي الأقلّيات) أنّه لا مكان لأفرادها في العــيش ضــمن حــدود الدولــة الجديــدة, والإيضاح لها بأن إفرادها هم أتراك الهويّة فقط، لا في الانتماء القومي التركي، وقد كانوا وسيبقون عضواً غريباً في جسد الأمّة التركية.[11]

إنّ مصطفى كمال أتاتورك ومن دون تردد، قد استبعد جميع الأقلّيــات مــن رؤيته المستقبلية لتركيا وأصر على معاملتهم بسياسات بعيدة كل البعد عن المفاهيم الأخلاقية، وأكد أنّ مفهومه للقوميــة ومنطلقاتــه الفكريــة مختلفــة كثيــراً عــن الإيديولوجية العثمانية التي وإن كانت قد قامت بمضايقات محدودة لهــم، إلاّ أنهّــا منحت الأقليات مكاناً في الدولة وحدّدت بعــض الســلوك الأخلاقــي والواجبــات السياسية التي على المسؤول الحكومي الالتزام بهــا فــي معاملاتــه مــع أبنــاء الأقليات.[12]

وبينما أكد المجتمع الدولي على الحكومة التركية ضمان حماية الأقليات التي هي تحت حكم الأتراك وعدم مضايقتهم في تطوير فرص استقلالهم ونموّهم,[13] ولكنّ مصطفى كمال أتاتورك تحدّى علناً المجتمع الدولي والدول الكبرى، واستطاع أن يقنع ويستميل إلى حد ما الدول الأوروبية في تأييد اغلب سياساته التي اتبعها ضد الأقليات،[14] وقد يرجع ذلك إلى إن مصالح الغرب الحيوية اقتضت التحالف مع الأتراك على حساب حقوق الأقلّيات.[15]

في أعقاب ذلك تم إهمال قضيّة الأقليات، كما تم التعتيم على حقوقها في الأوساط الغربية، والتي اقتضت مصالحها وإستراتيجيتها المرحلية التقرّب من تركيا كحليف جديد لها, وحتى وسائل الإعلام الغربية تفادت الخوض في هذا الأمر لدرجة انهّ صار أمراً منسياً[16]. ورغم أنّ إثارة الغرب لمشكلة حقّ الأقلّيات في الاستقلال، كان متماشّياً مع روح الاستقلال القومي العامّ آنذاك،[17] إلاّ أنّ الغريب في الأمر أنّ الغرب الأوروبي الذي طالب الترك رسميّاً بمنح الاستقلال للأقلّيات لم يحرّك ساكناً إزاء المعاملة السادية التي تعرضت لها الأقليات في تركيا.[18]

ومع كل ذلك فقد تم إصدار أول دستور جمهوري للدولة التركية في عام 1924،[19] والذي نص في مادته الثانية على أن الدين الإسلامي هو الدين الرسمي للدولة، هذا النص الذي بدا بأنه نص رمزي يشير إلى أن الإسلام دين الدولة الرسمي دون أن يعكس ذلك النص أي أثر ديني على مكونات الدولة وسلطاتها[20]. وفي ظل هذا الدستور الذي اكتفى بالإشارة إلى الإسلام، تم اعتماد القانون السويسري كأساس لقانون الأحوال المدنية التركي، بديلاً عن القانون المبني على الشريعة الإسلامية الذي كان يعرف بـ (مجلة الأحكام العدلية),[21] ومن ثم أصدر القانون المدني والذي اغفل ذكر نص المادة "الرمزية" التي تشير إلى كون الإسلام هو دين الدولة, ثم سرعان ما عدل الدستور وغير المادة التي يذكر فيها إن الإسلام هو دين الدولة, وعدلت بمادة أكدت إن الدولة هي جمهورية قومية وعلمانية وإصلاحية.[22] فأضحت بهذا الإيديولوجية الكمالية المرتكزة على المفهوم العلماني هي المرجع الأساسي للسياسة التركية.

واستهل مصطفى كمال أتاتورك عمله بإلغاء الخلافة الإسلامية في 3 آذار 1924، [23] وفي أعقاب ذلك أصدر قانون توحيد التعليم، فأغلقت المدارس الدينية، كما ألغى وكالة الأوقاف الشرعية.[24] وبهذا لم تكن العلمانية التي انتهجها أتاتورك هي فصل للدين عن الدولة، وإنما إدارة الدين عن طريق الدولة.[25]

ولقطع كل صلة تربط تركيا بالإسلام، قرر مصطفى كمال أتاتورك انتهاج كتابة الألفاظ التركية بالحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية، وأُصدر بذلك قانوناً عُرف بقانون الحروف اللاتينية، حُرم بموجبه استعمال الحرف العربي، كما شُكلت لجان مهمتها تنقية اللغة التركية مما بها من ألفاظ عربية,[26] ففتح هذا باب إلى كتابة القرءان الكريم باللغة التركية، ورفع الأذان بها وتلاوة الصلاة بها أيضا[27], بل وتعقبت السلطات كل من سعى إلى تعليم القرءان أو تعلمه باللغة العربية، حتى إذا ما ضُبط متلبسًا أُحيل إلى المحاكمة بتهمة مخالفة قانون الحروف اللاتينية.[28]

ثم جُعل يوم الأحد عطلة الأسبوع بدلاً من يوم الجمعة والذي يعد عطلة إسلامية، فتوجب على موظفي الدولة الذهاب إلى أعمالهم،والحرمان من أداء صلاة الجمعة.[29] أما المساجد والجوامع فقد شهدت أسوأ الممارسات فبعضها قد تعرض للإغلاق، وبعضها تحول إلى مراكز لحزب الشعب، وبعضها تم تأجيره للبنوك والشركات، والأكثر من ذلك تحول بعضها بتأييد من السلطات إلى أماكن لتقديم الخمور ولعب الميسر.[30]

ويبدو واضحًا من التجربة ذاتها أن الحكم العلماني الذي انتهجه مصطفى كمال أتاتورك لا يوصف كما هو الحال في الدول الغربية بأنه حكم لا ديني، لإن الذي قام به أتاتورك كان مناهضا للدين ومعادى له، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، تفرضها طبيعة الدين الإسلامي الذي يتجاوز حدود الوجدان التي حددتها علمانية أتاتورك والتي عادت الإسلام دينا وفكر وعقيدة، بما فرض هذا صدامًا حتميًا بينهما.[31]

وهذه الأمور كلّها مجتمعة, تمدّنا بمعرفة شمولية وواقعية لطبيعة تلك السياسات وخلفياتها التاريخية وتحرّرنا من النظرة الضبابية والمجتزئة التي راجت لفترة طويلة نتيجة غياب الفكر والوعي التاريخي، ومما لا شكّ فيه أنّ بروز الوعي القومي الكردي كظاهرة سياسية ومطالبته بالاستقلال في مطلع القرن العشرين قد قدم لمصطفى كمال أتاتورك الحجج والدوافع على انتهاجه سياسته العدائية تجاههم, والتي أغمض الغرب عينه عنها فما كان من معارض لهذه السياسات المقيتة ألا الحركات الإسلامية التركية.[32]

حاول أتاتورك في بداية حكمه إن يسبغ على جمهوريته طابعا إسلاميا لنيل تأييد الشعب التركي فقام بالتحدث بلغة إسلامية في أكثر من مناسبة, وقد أشاع بين مواطنيه بأنه سيعيد للخلافة مجدها وقوتها ونفوذها إلا انه نفذ أهدافه ببطء ودراية كاملة بعقلية الشعب الذي عمد على تغييره, حتى إن المعاصرين له أعجبوا بخدماته وتفانيه من اجل الوطن.[33]

كان رد الحركات الإسلامية والتي تمثلت آنذاك بالحركات الصوفية (النقشبندية–القادرية–النورسية–التيجانية–الرفاعية...),[34] هو مجابهة سياسة العنف والقسوة التي انتهجها مصطفى كمال أتاتورك تجاه الأقلية الكردية وزاد معارضتهم لسياسته هذه, النهج الكمالي الذي انتهجته سياسته بمعاداة الإسلام فكرا وعقيدة, إضافة إلى الإجراءات العنيفة التي جوبهت بها الطرق ومشايخها فكان لكل ذلك اثر كبير في تحفيز شيوخ وإتباع الطرق على استنكار سياسات مصطفى كمال أتاتورك والعمل على مجابهته.[35]

ولقد كان للطرق الصوفية التركية تنظيماتها وتشكيلاتها ومصادر تموينها وتمويليها, وان أكثر هذه الطرق انتشارا كانت الطريقة النقشبندية إذ كان لها إتباع ومريدون في معظم المدن التركية.[36] وكان شيخ هذه الطريقة في شرق تركيا هو الشيخ الكردي –سعيد بيران–,[37] والذي دفعته السياسات الكمالية ضد الإسلام

والكرد إلى قيامه بقيادة حركة عسكرية معارضة لسياسات مصطفى كمال أتاتورك ونجحت حركته أول الأمر وقدمت له معظم المناطق الدعم والتأييد مما دفع أتاتورك إلى استخدام معظم الجيش التركي للقضاء على هذه الحركة.[38]

وفي شهر نيسان 1925 تم إلقاء القبض على الشيخ سعيد وبعض رفاقه وتـم إعدامهم وعلقت جثثهم إمام الجامع الكبير في منطقة ديار بكر,[39] واثر ذلك فرض مصطفى كمال أتاتورك حكما عسكريا في المناطق الكردية ومنع فيها التحدث باللغة الكردية ومنع التعليم بها أيضا إذ تم غلق جميع المدارس الكردية, كما منع الكــرد من اعتبار أنفسهم قومية أو أقلية متميزة.[40]

وقد عدت الحركات الإسلامية التركية بان الأسلوب الذي تتعامل به حكومـة مصطفى كمال أتاتورك مع الكرد لهو من اشد الأساليب التـي يعارضـها الـدين الإسلامي ويحرمها ويقف بالضد من هذه الصيغ القاسية حتى في التعامل مع أهـل الذمة أو غيرهم فكيف إن كان الأمر مع جماعة تـدين بالإسـلام وتنتهجـه فكـرا وعقيدة.[41]

فقدمت الطرق الصوفية مساندة كبيرة لحركة الشيخ سعيد, والتي عرفت حينها باسم حركة سعيد الكردي, فتم تشكيل ما يقرب من مجلس لقيادة الثورة كما أشـيع وقتها,[42] وتشكلت تنظيمات عسكرية من قبل شيوخ وإتبـاع الطـرق القادريـة و التيجانية والرفاعية حتى إن العمليات العسكرية تواصلت اثر إعدام الشـيخ سـعيد وتولى قيادتها الشيخ احمد النقشبندي الذي استطاع السـيطرة علـى منطقـة ارض روم,[43] كما كان للنورسيين دور كبير في مقاومة القوات الحكومية في أكثر مـن مدينة, لكن الجيش التركي وظف كافة إمكانياته للقضاء على مجمل من شارك بهذه الحركة واستطاع في نهاية الأمر إن يرجح الموقف لصالحه.[44]

وما إن تم تشكيل أول حزب معارض في التاريخ التركـي الحـديث وهـو (الحزب الحر الجمهوري),[45] والذي تشكل بأوامر مباشرة من مصـطفى كمـال

أتاتورك حيث استدعى لتولي زعامته سفير تركيا في فرنسا-فتحي بك- وأراد أتاتورك من وراء ذلك تنظيم معارضة محددة لاحتواء المعارضين للإيديولوجية العلمانية وامتصاص النقمة الشعبية التي كانت تواجه نظامه وإجراءاته المستحدثة,[46] حتى انظم إليه إتباع الطريقة النقشبندية في محاولة منهم للتخلص من سياسات الحزب الحاكم المعادية للإسلام والكرد فعلت وشاعت شعبية الحزب وأصبح أنصاره بكل المدن التركية, وإزاء ذلك اصدر أتاتورك أوامره بحل الحزب.[47]

وما إن قامت الحركة الكردية الثانية (اجري داغ Agri Dagh)، وقد نظمت تحت إمرة المركز الوطني (خويبون) الذي كان يخطط وينظم لتنفيذ الأهداف المطلوب تحقيقها, حتى اشترك بها إتباع الطريقتين التاجية والرفاعية, فقد قام إتباع الطريقة التيجانية وتضامنا مع الكرد بتحطيم صور مصطفى كمال أتاتورك وتماثيله وإنكارا لسياساته أقاموا صلواتهم في الشوارع العامة ورفعوا الأذان باللغة العربية.[48] كما اشترك في هذه الحركة ولجانب الكرد إتباع الطريقة القادرية ووفروا لهم التموين والتمويل واستندوا بذلك على تكفير مصطفى كمال أتاتورك وعززوا مساندتهم للكرد بالمساعدات الكبيرة التي كانت تصل إليهم من قبل الحركات الإسلامية في الدول العربية القريبة والمجاورة, كما أنهم اشتركوا عمليا في القتال وشكلوا عدة تنظيمات فدائية شعبية كما حاولوا استمالة إفراد الجيش التركي ولكن نتيجة هذه الحركة كانت الفشل.[49]

وعلى الرغم من القسوة الشديدة التي عامل بها النظام الكمالي الحركات الإسلامية التركية والتي كانت آنذاك متمثلة بالطرق الدينية فقد تواصل مشايخ وإتباع هذه الطرق بمعارضة النهج الكمالي والأساليب المعيبة التي يتم التعامل بها مع الأقلية الكردية المسلمة, ونلحظ تواصل هذا الدعم إبان الحركة الكردية الثالثة (درسيم الثانية 1937-1938) فقد قام الشيخ سليمان حلمي ورغم العقبات والمخاطرات السياسية بتقديم مشروع إصلاحي للحكومة الكمالية, قائم على إحياء

علوم القران الكريم وإحياء العلوم الإسلامية ونشر اللغة العربية بين الترك ومعاملة الأقلية الكردية معاملة إسلامية الطابع.[50]

لكن هذا المشروع الإصلاحي قوبل برفض قاطع من قبل مصطفى كمال أتاتورك وصدرت أوامر بإلقاء القبض على الشيخ سليمان حلمي في ذات الوقت الذي اندلعت فيه حركة درسيم الثانية فقام الشيخ بالانضمام إليها وجند كل إمكانياته وجميع إتباعه وكافة علاقاته واتصالاته الداخلية والخارجية في سبيل إنجاح هذه الحركة لتكون البداية الأولى للتغيير المنتظر في تركيا وإعادتها للصف الإسلامي, غير انه تم إلقاء القبض عليه في الأيام الأولى للحركة وأودع السجن.[51]

وان تمعنا بالموقف الذي انتهجته الحركات الإسلامية التركية لمجابهة السياسة التي انتهجها مصطفى كمال أتاتورك تجاه كرد تركيا سيستبان لنا قدارة موقفهم هذا وبسالته فعلى الرغم من إمكانياتهم المحدودة وعداء الحكومة لهم إلا أنهم امتازوا ببسالة كبيرة وصمود واضح وقدموا المساندة لجميع الحركات الكردية, وموقفهم مختلف بالكامل عن المواقف المائعة للأنظمة العربية والغربية.

2- موقف العراق من سياسة أتاتورك تجاه الكرد:

فرض الوجود السلطوي للدولة العثمانية في العراق، الطابع ألاحتلالي على العلاقات التركية -العراقية، على الرغم من مساعي الدولة العثمانية ومؤيديها في العراق وخارجه، لإضفاء الصبغة الدينية على هذه العلاقات، بهدف تبريره أحيانا، والدفاع عنه أحيانا أخرى، ولكن هذه التبريرات لم تكن تكفي لإخفاء واقع أربعة قرون مظلمة عاشها العراق محتلاً تحت مظلة الخلافة الإسلامية للسلطنة العثمانية.[52]

انهارت الدولة العثمانية اثر انهزام المعسكر(دول الوسط) الذي انضمت إليه في الحرب العالمية الأولى، مما اخرج العراق من مظلتها، ليوقعه تحت الاحتلال ثم الانتداب البريطاني المباشر، وإخراج تركيا من مظلة الخلافة الإسلامية بوجهها

العثماني،[53] ليدخلها في فراغ إيديولوجي انشغلت القـوى السياسـية والعسـكرية والفكرية التركية عنه بحرب استقلال قادها مصطفى كمال، لتنتهي بتخليص تركيـا من المخاطر الخارجية، ورسم حدود جديدة لها كونت في محصلتها جمهورية تركيا الحديثة عام 1923،[54] والتي باستقرارها بدأ أتاتورك برسم سياسة خارجية جديدة قائمة على أسس علمانية الدولة والتقرب إلى الغرب، عبر ربـط تركيـة بجـذور أوربية غربية،[55] مع العمل على إنهاء إي أثر لإيديولوجية الدولة العثمانيـة مـن خلال التوجهات العلمانية للمدينة التركية الحديثة،[56] ولغوياً باسـتبدال الحـروف العربية للغتها العثمانية بحروف لاتينية للغة تركية حديثة, ودينياً بإلغـاء الخلافـة الإسلامية[57]، وتغيير قانون الأحوال الشخصية بقانون مدني حديث[58].

وقد سيطرت بريطانيا على فحوى العلاقات العراقية- التركية منـذ تأسـيس المملكة العراقية عام 1921، حتى إعلان استقلالها وانضمامها إلى عصـبة الأمـم عام 1932،[59] وذلك برسمها وتوجيهها لسياسة العراق الخارجية وعلاقاته الدولية وبما يخدم مصالحها.[60]

وقد تزامن هذا التوجه مع توجهات تركيا الحديثـة للتقـرب إلـى الغـرب الرأسمالي وعلى رأسه بريطانيا وفقاً لإيديولوجية أتاتورك.[61] واسـتندت سياسـته الخارجية على أساس البحث عن امن تركيا ضمن نطاق توازن ثابـت، وتنميتهـا اقتصادياً، والاندماج مع المجموعة الغربية، فكان إن شـبكت مصـالح بريطانيـا والمعسكر الغربي العلاقات العراقية_ التركية.[62]

وفي الوقت الذي كانت فيه حكومة أتاتورك تواجه الحركـات الكرديـة فـي تركيا قامت حركة جديدة ولكنها في الأراضي العراقية وعرفـت باسـم الحركـة البارزانية 1931-1932 ولان القوات البريطانية ساندت الجيش العراقي فقـد تـم إنهائها سريعا,[63] وهرب معظم من اشترك بها من الكرد إلى تركيا إذ سمحت لهم السلطات التركية بدخول أراضيها غير أنها سرعان ما اعتقلتهم ونفتهم إلى مدينـة

أدرنة على الحدود مع بلغاريا لإبعادهم عن كرد تركيا وبعد اقل من عام سلمتهم إلى السلطات العراقية ووقعت مع العراق اتفاقية تقضي بعدم السماح للكرد بإخلال امن البلدين.[64]

استمرت العلاقات العراقية- التركية على هذا النهج الذي رسم لها إلى مرحلة ما بعد إعلان استقلال العراق في عام 1932، ولتستمر العلاقات في ذات القوة الدافعة للتفاعل والتطور بما يخدم مصالحها المرتبطة بخدمة المصالح الغربية.[65]

وقد أستغل السياسيين الترك الضباط العراقيين الذين عملوا إلى جانبهم في عهد الدولة العثمانية, ومن ثم أصبحوا على رأس الحكومات العراقية أمثال نوري السعيد وجعفر العسكري وياسين الهاشمي وغيرهم للتدخل في الشؤون الداخلية للعراق لتأمين جانب هذا الجار الجديد الذي أراد له مصطفى كمال أتاتورك إن يؤدي دوراً بارزاً في مساندته لمواجهة الحركات والتمردات الكردية,[66] إضافة إلى التنكر للوعود التي قطعتها الحكومة الملكية العراقية لعصبة الأمم بشان مسألة الأقلية الكردية.[67]

ويبرز ذلك لما التقى مصطفى كمال أتاتورك عام 1934 في أنقرة مع السياسيين العراقيين نوري السعيد وناجي شوكت,[68] فقال لنوري السعيد: ((إن ياسين حلمي (ياسين الهاشمي) أقدم منك فهل تقبل بزعامته؟ فأجابه نوري نعم، أقبل, فقال له سأبعث برسالة إلى ياسين حلمي مع ناجي شوكت، لينقل الحديث الذي دار بيننا اليوم، وعندما تعود أنت إلى بغداد، تشرعون بالعمل المشترك)).[69] ولذلك كله فإن تسمية الهاشمي مرشحاً لأتاتورك، كان أمراً مفروغاً منه، ولم يكن اقتراحاً آنياً حين تقدم به أتاتورك إلى نوري السعيد وناجي شوكت في اجتماعه بهما,[70] ومما لاشك فيه عند قراءة مثل هذه الحقائق، تدل وبشكل لا يقبل الجدل دور تركيا, كلما سمح لها الظرف, في رسم السياسة الداخلية والخارجية للعراق و وفقاً لمصالحها، والتي انعكست بشكل سلبي على سكان العراق من الكرد.[71]

إلا إن العراق تشابكت سياسته اثر ظهور أول انقلاب عسكري في المنطقة وعلى يد ضابط كردي هو بكر صدقي. وقد كان الفريق بكر صدقي قائد الفرقة الثانية قد انضم إلى جماعة الأهالي لتنظيم حركة انقلابية وإقالة وزارة ياسين الهاشمي وفي شهر تشرين الأول عام1936م عندما كان بكر صدقي وكيلا لرئيس أركان الجيش طه الهاشمي والذي كان في إجازة خارج العراق وفي مهمة لشراء السلاح للجيش العراقي وحضور المناورات العسكرية التي تجري في بريطانيا أصبح بكر صدقي رئيسا للأركان العامة بالوكالة[72], فاستغل بكر صدقي الفرصة وقام في ليلة 28-29 تشرين الأول عام 1936م وبمساعدة مجموعة من الضباط منهم الفريق عبد اللطيف نوري قائد الفرقة الأولى ومحمد علي جواد آمر القوة الجوية بتنفيذ الخطة المرسومة للانقلاب وأطلقوا على أنفسهم أسم -القوة الوطنية الإصلاحية-,[73] وعندما نجح الانقلاب تم تشكيل الوزارة برئاسة حكمت سليمان والذي كان أيضا عضوا في تنظيم جماعة الأهالي وأصبح الفريق عبد اللطيف نوري وزيراً للدفاع والفريق بكر صدقي أصبح رئيسا لأركان الجيش.[74]

عرف عن بكر صدقي انه كثير الطموح وادعى البعض انه سعى لتأسيس دولة كردية[75], ويقول (فرتز غروبا) السفير الألماني في بغداد أيام الانقلاب أن بكر صدقي كان يبغي إنشاء كردستان مستقلة ولهذا كان يعمل على تشكيل جيش يحتوي على عناصر كردية قوية[76], وأكد ذلك بقوله: ((لما فاتحني بكر صدقي في خططه في الدفاع عن كردستان، اخبرني أيضا ولكن بصورة سرية انه كردي وانه يهدف إلى تأسيس دولة كردية تضم سكان الأكراد في العراق وإيران وتركيا، وان هذه الدولة يجب إن تكون قادرة على صيانة استقلالها من اعتداء جيرانها, وإن هذه القضية مهمة عنده لأنها في قلبه وربما كانت هي السبب في رغبته في الحصول على تقرير من احد الخبراء حول موضوع الدفاع عن كردستان أما تصريحه بأنها يجب إن تكون قادرة على الدفاع عن نفسها ضد بغداد في حالة احتلال الانكليز

إياها فكان من قبيل التغطية فقط, ويبدو إنه صرح بهذه الفكرة ليس لي فقط وإنما صرح بها للآخرين أيضا))[77].

وكان بكر صدقي يزور السفارة الألمانية ويلتقي بالسفير الألماني كل يوم تقريباً, ليبحث معه إمكانية استقدام ضابطاً ألمانيا من ضباط الأركان ليعهد إليه مهمة وضع خطة للدفاع عن كردستان في حالة احتلال الانكليز لبغداد, وعلى اثر ذلك حضر إلى بغداد الكولونيل ((هاينتز)), وهو ضابط كبير متقاعد منتحلاً صفة جيولوجي وقد وضع خطة سرية للدفاع عن الحدود الشمالية الشرقية وعن بغداد إزاء هجوم انكليزي عليها بعد أن ذهب للكشف على الحدود من راوندوز إلى خانقين,[78] كما سافر إلى إيران لتكوين فكرة عن العدو المحتمل وتحادث في كردستان مع شيوخها حول موضوع الدفاع عن كردستان وكيفية بناء الاستحكامات وأماكنها، وأبدى مقترحاته بشان فتح الطرق الإستراتيجية, كما تباحث مع بكر صدقي في كيفية تأسيس جيش كردي والاستعدادات اللازمة لتسليحه وتموينه وقد جمع كل ذلك في تقرير بالألمانية مترجما للانكليزية وأعطى نسخة منه إلى فرتز غروبا والأخرى لبكر صدقي أما نسخة بكر فقد بقيت عنده بصورة شخصية وسرية واخذ التقرير معه عند سفره لتركيا[79].

إن بكر صدقي كان يسعى باتجاه تشكيل كيان قومي للأكراد ويتضح هذا بالقيام بالمساعدة على طبع كتاب يتعلق بقيام وحدة كردستانية ومن ثم تأليفه لكتيب تحت اسم مؤلف وهمي أكد فيه على اقتراب قيام الدولة الكردية, والكتاب الأول هو من الأمور التي يبدو أنها فات ذكرها على معظم المؤرخين, إذ إن بكر صدقي قد قدم دعم مالي كبير ليساعد بطبع كتاب المؤلف التركي ذو الأصول الكردية زكي محمد والذي حمل كتابه عنوان (كردستان), وقد تم طبع الكتاب في نهاية عام 1936 في مدينة القاهرة, وبالاتفاق مع بكر صدقي فقد أمعن المؤلف في التأكيد على حق الكرد بإقامة دولة كردستان وان الأوان قد حان لذلك, وقد جلب بكر صدقي نسخ عديدة من هذا الكتاب وقام بتوزيعها وإهدائها لأصدقائه.[80]

إما الكتيب الذي ألفه فتكون من -28- صفحة حمل عنوان (الأكراد والعرب) صدر باسم مستعار (فريق من شباب) وطبع في مطبعة (النجاح) ببغداد سنة 1937, وناقش الكتاب مسالة القومية الكردية في تركيا وما تعرض له الأكراد من الاضطهاد والتشرد والتهجير والأفكار الشوفينية التي جاء بها أتاتورك ضد القوميات التي تعيش في ظل حكومات تركية من العرب والكرد[81].

وقد تطرق فيه للإخوة العربية الكردية، وأكد إن الشعب الكردي، كالشعب العربي شعب مجزأ الأوصال مشتت الكلمة، يناضل في سبيل حقوقه المقدسة ويسعى للتعاون والتفاهم مع الشعوب لكي ينال نصيبه من الحياة والحرية حتى يستطيع إن يساهم في بناء المدنية العالمية كما قد ساهم في بناء المدنية الإسلامية في السابق,[82] وان الكرد كالعرب يسعون وراء غاية شريفة يسعى إليها كل إنسان ذي مرؤة وشرف, وان الثورات الكردية كالثورات العربية وليدة شعور عام لأمة حية ركبت الإخطار لتحي حياة حرة سعيدة، وأنه ككردي يريد ان يعامل على قدم المساواة، ولا يريد أن يكون الكرد أسيادا ولا عبيدا، ولا يريدهم ان يكونوا تحت الشعوب ولا فوقها وإنما يريد إن يعاملوا معها في سبيل الإنسانية وإسعادها، كي تستبدل مفاهيم الحرب بالحكمة والمساواة.[83]

وأكد في هذا الكتيب ان الأكراد يريدون الاحتفاظ بلغتهم وثقافتهم وعنصرهم لان هذا الاحتفاظ لا يضر بمصلحة شعب من الشعوب بل يفيده وينفعه ((لأننا نعتقد ان مصلحة الشعوب هي واحدة في كل حال ولذا فعليها ان تتعاون فيما بينها في سبيل الوصول إلى ألأهداف المشتركة, ولننظم جهودنا للنضال ضد الاستعمار مهما كان نوعه وشكله ونكافح في سبيل أهدافنا المشتركة))[84].

ما دونه بكر صدقي كان دعوة للتكاتف وتوحيد الصفوف للوقوف ضد مخططات الاستعمار والسياسة الكمالية ضد الكرد, وان انقلاب عام1936م كان له تأثير معنوي كبير على نمو الشعور القومي لدى الكرد حيث قاد بكر صدقي وهو

رجل عسكري من أصل كردي أول انقلاب عسكري وسياسي في المنطقة ضد النظام الملكي وان الإحداث أثبتت إن هذه الفترة كانت دفعة قوية لصالح الحركة الكردية[85].

ان الانقلاب قدم خدم القضية الكردية مع انه لم يكن مسموحاً للأكراد بممارسة الحرية في مجالات الأنشطة الثقافية والسياسية الخاصة الا إن الشعور القومي تقدم بخطوات مهمة خلال هذه الفترة القصيرة وان السياسيين الذين وقفوا ضد بكر صدقي ساعدوا على نمو الشعور القومي لدى مثقفي الكرد من خلال تصريحاتهم بأنه يحاول تأسيس دولة كردية.[86] وانعكس ذلك سلباً على القوميين الكرد مما أثار حفيظتهم ودفع بالقوميين الكرد إلى تنظيم أنفسهم في جمعيات سياسية وثقافية والوقوف ضد معارضيهم, وفعلا تم تأليف جمعيات ثقافية في بغداد وفي المدن الكردية. منها على سبيل المثال((جمعية الأخوة الكردية_برايتي_ تأسست عام1937م برئاسة الشيخ لطيف الابن الثالث للشيخ محمود الحفيد واقتصر إنشاء هذه الجمعية في داخل السليمانية حيث كان من أهدافها جمع شمل الأكراد والقيام بالثورة ضد الانكليز))[87].

ونقطة أخرى لا تقل أهميتها عن الأولى هو التعليم الرسمي الكردي, ورغم قلته في المناطق الكردية وطبيعته المسيسة والمؤدلجة فتح عيون العديد من الكرد على جملة حقائق تتعلق بحالة الا مساواة السياسية في الحقوق الثقافية والقانونية التي كان يعاني منها الشعب الكردي في كلا من تركيا والعراق وإيران وبدأت الفئة المتعلمة الكردية وفي محاولة منها للتصدي للسياسات الرسمية التربوية والتعليمية والثقافية القائمة على إعطاء اهتمام ملحوظ بقضايا الثقافة القومية[88], من خلال إصدار المطبوعات بما في ذلك المجلات والجرائد والكتب والنشرات منها على سبيل المثال (بيشكه وتن، وئوميدى ئيستقلال), والعمل على إيصالها للكرد في تركيا وتوزيعها عليهم، لأن المطبوعات هي الوسيلة لنشر الثقافة بين الناس وتنوير أفكارهم بما يجري حولهم وإيقاظ عقولهم وفتح عيونهم على الإحداث والتطورات

السياسية والاقتصادية والظواهر الاجتماعية, والعمل على بلورة فكرة قيام الدولة الكردية لتظم كرد العراق وتركيا على الأقل.[89]

وعندما أعلنت الوزارة الجديدة منهاجها في بيان رسمي صدر في 8 كانون الأول 1936 والذي أكد على تعزيز التعاون بين العراق وتركيا, أراد بكر صدقي منه إن يؤدي إلى كسب مصطفى كمال أتاتورك في مسألة تخليصه من التمردات الكردية المستمرة عبر إقناعه بمنحهم الحكم الذاتي وقد عد بكر صدقي هذا الأمر إن نجح, خطوة أولى في سبيل قيام دولة كردية كبيرة.[90]

وفي الحقيقة أن بكر صدقي أعجب بالنموذج السياسي الكمالي في بناء الدولة التركية الحديثة وأراد تطبيق ذات السياسة في دولته الكردية القادمة, ومع كل ما كان يطمح إليه بكر صدقي لكنه لم يجازف بتعكير علاقة العراق مع الحكومة الكمالية التركية بما يتعلق بامتناعه عن تقديم أية مساعدة لكرد تركيا وترجم ذلك بتوقيعه لميثاق سعد آباد لأنه كان يأمل إن يحظى بموافقة مصطفى كمال أتاتورك في سبيل التمهيد لإقامة دولة كردية والتي طمح بكر صدقي بإنشائها وتولي قيادتها[91].

وما إن زال عهد بكر صدقي وحكمت سليمان باغتيال الأول فلم تبادر الحكومات العراقية اللاحقة على تقديم أية مساعدة لكرد تركيا بل تم التزام الحياد لان كلتا الدولتين كانتا تعاني من الحركات الكردية و نلحظ ذلك بموقف العراق بفترة حركة درسيم الثانية إذ لم يسمح مطلقا بوصول الإمدادات من كرده إلى كرد تركيا كما لم يسمح بان تكون أراضيه مخابئ وملاجئ لكرد تركيا وقد استمرت السياسة العراقية هذه وحتى وفاة الرئيس مصطفى كمال أتاتورك.[92]

3- موقف إيران من سياسة أتاتورك تجاه الكرد:

يتركز الأكراد في إيران بالجزء الشمالي الغربي من البلاد في مناطق (أذربيجان وهافاري وكردستان وكرمن شاه) والمناطق الجنوبية لجبال

زاجروس,[93] وهذه المنطقة يطلق عليها الأكراد اسم (كردستان الشـرقية) وأهـم المدن التي تقع فيها هي (مها باد وكرمن شاه وسنندج), وتتميز هذه المنطقة كبقيـة مناطق كردستان بأنها جبلية وعرة ومنعزلة في كثير من أجزائها.[94]

وغالبية أكراد إيران من المسلمين السنة (75%) بينما يتبع البـاقي (25%) المذهب الشيعي.[95] ويعتبر المجتمع الكردي الإيراني من المجتمعـات الزراعيـة والغالبية العظمى فيه من الفلاحين الفقراء، وهم يمثلون أكبـر أقليـة قوميـة فـي البلاد.[96]

عاش الأكراد طوال تاريخهم تحت ظل القوى التي حكمت المنطقة مثلهم مثل غيرهم من شعوب المنطقة إلا أنه كان هناك اختلاف جوهري بينهم وبين غيـرهم وهو أن الأكراد لم يؤسسوا دولة خاصة بهم تجمعهم جميعـاً كمـا فعـل العـرب والأتراك والإيرانيين, وكان أقصى ما استطاعوا إقامته هو بعض الإمـارات التـي كانت تضعف وتقوى تبعاً لقوة وضعف السلطة المركزية الحاكمة.[97]

وفى عام (1898م) تبلور أول شكل من أشكال الشعور القومي للأكراد عندما أصدر أحد أبناء (بـدرخان) أول جريـدة قوميـة كرديـة فـي القـاهرة باسـم (كردستان)،[98] وبعدها شارك أكراد تركيا في جمعية الاتحاد والترقي.[99]

أتيح لأكراد إيران في عام (1917م) فرصة الحصول على كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر, وذلك لما انسحبت القوات الروسية التي كانت تحتل شمال إيران تاركة وراءها كميات ضخمـة من الأسلحة والعتاد استولى عليها الأكراد وساعدتهم في القيام ببعض الحركات المسلحة ضد الحكومة المركزية في طهران بهدف إقامة حكم ذاتي في المناطق الكردية الإيرانية.[100]

وقد قاموا بعدة حركات مسلحة تراوحت ما بين حركـة أعلـن فيهـا قيـام جمهورية كردية إلى تمردات قُضي عليها بسـرعة,[101] وكـان أبرزهـا حركـة (إسماعيل أغا سمكو 1920م – 1925م) والتي تزامنت مـع انسـحاب القـوات

الروسية من شمال غرب إيران بسبب قيام الثورة البلشفية الشيوعية في عام (1917م) فنتج عن انسحابها فراغاً عسكرياً, أدى إلى تسخيره وتوظيفه من قبل (إسماعيل أغا سمكو) رئيس قبيلة (الشيكاك) ليفرض سيطرته على الإقليم بمساندة حوالي أربعين ألف مقاتل من أبناء قبيلته ويعلن الانقسام عن إيران,[102] ونتيجة لضعف الحكومة الإيرانية فقد بادرت إلى منحه الاستقلال الذاتي وعينته حاكماً على المناطق الكردية للبقاء ضمن إيران وقد وافق هو على ذلك.[103]

وفي عام 1921م وقع انقلاب في إيران قاده (رضا بهلوي) الضابط في فرق القوزاق الإيرانية والذي أصبح فيما بعد وزيراً للحربية ثم رئيساً للوزراء ثم شاهنشاه لإيران عام 1925م.[104] وكانت له سياسة صارمة تجاه الأقليات العرقية في إيران تهدف إلى صهرها جميعاً في القومية الفارسية الإيرانية بما فيهم الأكراد.[105]

وإثناء مداولات عقد معاهدة لوزان طالبت الحكومة الإيرانية في نهاية شهر كانون الأول عام 1922 من بريطانيا و فرنسا و ايطاليا إن تراعي في هذا المؤتمر مصلحة إيران في مسألة حدود المناطق الكردية بين إيران و تركيا، وقد أعلن وزير خارجية بريطانيا حول هذا الموضوع ((لم يعد قائماً مسألة تكوين دولة كردية أو منطقة حكم ذاتي كردية في تركيا مثلما تم تحديدها في سيفر)).[106]

ونتيجة للصعوبات الكثيرة التي واجهت الشاه الإيراني من الكرد وأهدافهم الاستقلالية ومحاولاتهم الدائبة للحصول على الحكم الذاتي فقد أراد إن يجد حليفا دوليا أو إقليميا ليسانده في القضاء على الأحلام الكردية وتحجيم دورهم, فحاول مع بريطانيا لكنه لم يجد نفعا نتيجة لانشغال البريطانيين بالوقائع الجسيمة للحرب العالمية الأولى وما جرته على الاقتصاد والسياسة البريطانية إضافة إلى محاولتهم كسب الجانب الكردي لصفهم في محاولة كسب مسألة الموصل من الجانب الكردي.[107] ولم يحاول الشاه مع الحكومة الملكية العراقية لان العراق كان تحت الانتداب البريطاني وسياسته بالتالي ستكون حسب ما يريده الجانب البريطاني.[108]

ولانشغال السوفيت بثورتهم الشيوعية رأى إن أفضل حليف له ضد الكرد هو الرئيس التركي مصطفى كمال أتاتورك لذا قام بإرسال عدة وفود سياسية لتأصير الروابط بين البلدين والاتفاق على إنهاء وإجهاض الأهداف القومية للكرد والعمل على تبادل المساعدات العسكرية للقضاء على أي حركة كردية تجري في البلدين.[109]

لذلك فقد قاد حملة عسكرية كبيرة في مطلع عام 1925 ضد الأقاليم الكردية وبسط السيطرة الإيرانية عليها مجددا وقام بملاحقة الزعيم الكردي سمكو,[110] إلا إن الأخير تجاوز الحدود الإيرانية التركية وفلت من مطاردة القوات الإيرانية غير انه وقع تحت رحمة القوات التركية, وبالمقابل قدم الشاه مساندة كبيرة للترك وذلك في سبيل القضاء على حركة الشيخ سعيد بيران كما قام بغلق الحدود الإيرانية بوجه كرد تركيا لمنعهم من استغلال الأراضي الإيرانية كمناطق للالتجاء أو الاختباء.[111]

وهكذا تفاعلت العلاقات الإيرانية التركية فهدفهما واحد ويستلخص بالقضاء على الأهداف والأحلام القومية الكردية والعمل على صهر الكرد بالقوميتين الإيرانية والتركية, وقد استمر التشابك السياسي المهدف ما بين إيران وتركيا فنلحظ ذلك إثناء قيام الحركة الكردية الثانية في تركيا وهي حركة (أغري داغ Agri Dagh)، وقد كان للتعاون العسكري التركي الإيراني دورا كبيرا في إنهاء الحركة بسرعة, إذ دخلت القوات الإيرانية الأراضي التركية وكان لها الأثر الأكبر في القضاء على الحركة الكردية.[112]

وتواصل الدعم الإيراني للسياسات الكمالية المتبعة تجاه الكرد اثر قيام تركيا بمساندة الحكومة الإيرانية بالقضاء على الحركة الكردية الإيرانية والتي تزعمها سلطان اورمان في عام 1932,[113] ويضاف لذلك اقتناع الشاه بأن الحركة الكردية إذ تحركت في تركيا فأنها سرعان ما ستلقى الإجابة من كرد إيران فلهذا لابد من

تقديم أتم المساعدة للترك في سبيل القضاء على أية حركة كردية ولذلك قدمت إيران مساعدات كبيرة لتركيا إثناء قيام الحركة الكردية الثالثة وهي حركة (درسيم الثانية).[114]

ولم يتغير الموقف الإيراني المساند لسياسة مصطفى كمال أتاتورك تجاه الكرد بل كان يشهد ومع مرور الوقت تعاونا اكبر وعقد اتفاقيات لمواجهة أية حركة كردية قائمة إضافة إلى تبادل الخبرات والسياسات التي اتبعت تجاه الكرد, واستمر هذا الحال حتى وفاة الرئيس التركي مصطفى كمال أتاتورك.[115]

4- موقف الاتحاد السوفيتي من سياسة أتاتورك تجاه الكرد:

كان الكرد منذ القرن الرابع عشر وحتى القرن الثامن عشر خاضعين للنفوذ العثماني والإيراني,[116] وفي القرن التاسع عشر وأثناء توسع النفوذ الروسي خضعت بعض المناطق التي يقطنها الكرد للنفوذ الروسي,[117] وقد أفرزت بعض المعاهدات الروسية العثمانية لتحول جزء من أملاك الدولة العثمانية فيما وراء القوقاز إلى السلطة الروسية, كما جاء تعيين الخط الحدودي بين روسيا وإيران عام 1893 لصالح روسيا أيضا، وقد كان سكان معظم هذه المناطق والتي ألحقت بالقيصرية الروسية من الكرد.[118]

ويرجع أول اتصال للروس بكرد تركيا عندما ذهب احد القادة الكرد إلى روسيا في عام 1912 لطلب الدعم والمساندة من الحكومة القيصرية, وهناك تلقى وعدا إذ ما قام قادة التشكيلات القتالية الكردية في جبهة قوقاز بالانسحاب من الجبهة في ولايات وان وموش وأرضروم وهكاي, فأن الجيش الروسي سيقوم بتسليم تلك المناطق إلى الكرد بعد إن يسيطر عليها.[119]

ونتيجة لرفض الكرد التعاون مع الجيش الروسي فما إن احتل الروس عام 1916 ولايات موش ووان وأرضروم وبدليس وجزء من هكاري حتى استعانوا بالأرمن لتحجيم الدور الكردي في تلك المناطق.[120]

في عام 1917 انسحب الجيش الروسي من المناطق الكردية بعد قيام الثورة البلشفية بقيادة لينين وسلمت المناطق إلى المليشيات الارمنية, فدعا الجنرال خالد جبري قائد إحدى الفرق العسكرية في الجيش العثماني السابق ذو الشخصية الأكثر شعبية في كردستان الشمالية آنذاك زعماء الكرد بتحرير مناطق الكرد من الأرمن بعد انسحاب الجيش البلشفي الروسي من تلك الولايات.[121]

لقد منح الاتحاد السوفيتي الاستقلال الشكلي لكل من بولونيا وفنلندا، وتمتعت العديد من المناطق التي تضم تجمعات عرقية بالحكم الذاتي بطريقة اسمية، وربما من هذا المنطلق جاء قرار لينين عام 1923 باستحداث إقليم للحكم الذاتي للكرد في البقعة الأكثر كثافة بالكرد بين جمهوريات الاتحاد السوفيتي، فكانت (كردستان الحمراء).[122]

وتزامن الإعلان عن منطقة الحكم الذاتي للكرد في أذربيجان مع إعلان الحكم الذاتي لمنطقة (قره باغ الجبلية) التي كانت مثاراً للعديد من النزاعات,[123] فقد جاء في بروتوكول جلسة اللجنة المركزية التنفيذية الأذربيجانية في 7 تموز سنة 1923 ثمة اقتراح حول تسيير ذاتي لكردستان، إي تأسيس حكم ذاتي، وتمت الموافقة على هذا الحكم على ضوء الحكم الذاتي لـ(ناكورنو قره باغ – قره باغ الجبلية-) وهكذا تم تأسيس منطقة الحكم الذاتي لكردستان وفي الوقت نفسه أسس الحكم الذاتي في منطقة ناكورنو قره باغ.[124]

وعلى الرغم من ندرة المعلومات المتوفرة عن (كردستان الحمراء) او كما كانت تسمى بالسوفيتية (Kurdiisransk), فتتفق كل المصادر على ان تأسيس منطقة الحكم الذاتي للكرد جاء بناء على طلب لينين نفسه واثر التغييرات الكبيرة التي حصلت في روسيا بعد ثورة اكتوبر, وبعد الكثير من الاجتماعات والمحادثات المتواصلة بين الإطراف المعنية في اذربيجان وارمينيا وروسيا،[125] أرسل لينين برقية الى (نريمان نريمانوف) رئيس جمهورية اذربيجان في العام 1923 يحثه فيها

على الاهتمام بشؤون الكرد في اذربيجان, فيقول: (ان حالة شعب كردستان سـيئة جداً، وان الشعب هناك يفنى من الجوع ويندثر لذلك يجـب ان تقـدموا لهـم يـد المساعدة)[126].

إن قيام لينين بتأسيس منطقة حكم ذاتي للكرد في اذربيجان لم يأت من منطلق أنساني بل كان يخشى من الكرد، لخوفه من أن يتجسسوا لصالح الدول المجاورة أو الكبرى، و لكون الكرد من العرق الآري و الألمان هم من العرق الآري, كما انـه اخذ بنظر الاعتبار الكثير من العوامل التاريخية والجغرافية للمنطقة التي كان الكرد فيها يشكلون نسبة كبيرة من مجموع الكرد الموجودين في الاتحاد السوفيتي.[127]

وعلى ضوء برقية لينين قرر برلمان اذربيجان توحيد ست مقاطعـات مـن مناطق اذربيجان التي كان سكانها من الكرد باسم منطقة الحكم الذاتي للكرد وتسمى بكردستان السوفيتية والمناطق الكردية الست هي :قره قشلاق، كل بازير، كوتولـه، كوباتلين، كرد كارص ومراد خانلي, وبذلك تأسست منطقة الحكم الذاتي اعتباراً من 7 تموز 1923 وشملت تلك المنطقة الضيقة الممتدة مـن قـره بـاغ الـى نهـر اراس[128].

وتحسنت أوضاع الكرد في أذربيجان بعد إعلان منطقة الحكم الذاتي وانتقلت العاصمة من شوشه الى لاجين بعد أشهر من الإعلان عن تأسيس المنطقة، وتشكلت المؤسسات الإدارية للدولة والنظام البرلماني في كردستان وانتخب (كوسي حجييف) وهو من سكان المنطقـة كـأول رئـيس للبرلمـان وكـأول رئـيس لكردسـتان السوفيتية.[129]

إن كل ما ردد وتردد عن إحساس لينين المفرط تجاه سوء الأوضاع الكردية في الاتحاد السوفيتي ومحاولته تحسين سبل عيشهم ما هو الا كلام دعائي, اذ إننـا نلحظ إن السياسة السوفيتية الخارجية كانت تفرز عن نفسها بشكل أوضح في تجـاه الكرد وبالأخص كرد تركيا, فحين ازداد نفوذ الكماليين وتغيـر مسـار الإحـداث

لمصلحتهم قامت حكومة انقرة لأجل زيادة تثبيت نفسها وخلق الشرعية لها بتوقيع معاهدة ثنائية مع روسيا في موسكو يوم 1921/3/16, وكانت المادة الأولى من تلك المعاهدة رفضت كل الإعمال والاتفاقيات الموجودة سابقاً، ويقصد بشكل رئيسي فيها معاهدة سيفر[130].

وأشير اليها بشكل غير مباشر نص تلك المادة: "لا يعترف الطرفان المتفقان بأي عمل او معاهدة صلح تستوجب طرف أخر عدا هذين الطرفين لتنفيذ قوة تلك المعاهدة, ولا تود الحكومة السوفيتية الاعتراف بأية وثيقة دولية لها علاقة بتركيا لا تعترف بها الحكومة الوطنية لتركيا التي يمثلها المجلس الوطني التركي الأعلى.[131] ويقصد بتركيا في هذه الاتفاقية تلك الحدود الموضحة في المعاهدة الوطنية التركية في 1920/1/28,[132] وحسب ذلك التحديد فان ولاية الموصل تعتبر جزءاً من أراضي تركيا.[133]

والمادة الثامنة من المعاهدة بين تركيا وروسيا تركز على عدم سماح أي طرف منهما لأي من المجاميع و الهيئات والمنظمات بالتكون او دخول أراضي الطرف الآخر للعمل ضد احد الطرفين, وهذا ضد الكرد الذين كانوا ضد نظام الحكم الطوراني التركي.[134]

ما إن تم التوقيع على معاهدة سيفر نلحظ كثرة الاتصالات السوفيتية مع مصطفى كمال لحمله على عدم الاعتراف بهذه المعاهدة التي سيتم على ضوئها قيام دولة كردية وساند السوفيت المطالب التركية بضرورة إلغائها وقيام معاهدة بديلة وأسفر ذلك عن عقد معاهدة لوزان التي أضاعت على الكرد حلم قيام دولتهم الموعدين بها على أساس معاهدة سيفر.[135]

وبعد وفاة لينين في سنة 1924 وسيطرة ستالين على مقاليد الحكم بدأت السياسة الداخلية للسوفيت تتشدد ضد الكرد وبحلول سنة 1929 لم يبق للكرد أية حقوق كمواطنين في الاتحاد السوفيتي وألغيت جمهورية كردستان الحمراء ذات

الحكم الذاتي, وخيم على الاتحاد السوفيتي جـو بوليسـي فتعـرض الكـرد فـي جمهوريات ما وراء القفقاس الى الترحيل ألقسري من ديارهم الى مناطق نائية.[136]

وفي عام 1930 عقد ستالين أتفاق ثلاثي للقضاء على حركـة أغـري داغ, وهي الحركة الكردية الثانية في تركيا, مع إيران وتركيا وقـد وعـدت الحكومـة الشيوعية السوفيتية الوفد التركي الذي زارها بالقضاء على كردستان الحمراء نهائياً وشارك ألجيش السوفيتي فعليا في القضاء على الحركة بقيادة نورالدين باشا و فـي نفس العام قضيت على جمهوريتهم وتم تشتيتهم على دول الاتحاد السوفيتي السـابق مثـل أوكرانيـا ومولـدافيا وقرقيزيـا وأزبكسـتان وطاجيكسـتان وتركمنسـتان وكازخستان.[137]

وتواصلت سياسة ستالين المعادية لكل ما هو كردي داخل الاتحاد السـوفيتي وخارجه وما ان قامت الحركة الكردية الثالثة والتي عرفت باسم (درسيم الثانية) في عام 1937 حتى سخر ستالين كل الإمكانيات السوفيتية العسـكرية والاسـتخبارية والإعلامية لمساندة تركيا في القضاء عليها وقد وصف هذه الحركة بأنهـا هجـوم البربرية على المدنية,[138] وهكذا استمر الدعم السوفيتي لسياسة أتاتورك تجاه الكرد وحتى نهاية حكمه.

5- موقف بريطانيا من سياسة أتاتورك تجاه الكرد:

أعلنت الحكومة العثمانية الجهاد خلال سـنوات الحـرب العالميـة الأولـى 1914-1918 لمقاومة دول الوفاق[139]. وقد تأثر عدد من زعماء الأكراد بفكـرة الجهاد فالتف الأكراد إلى جانب القوات العثمانية، وحاربوا تحت شعار الجهاد، لكن العثمانيين أساءوا معاملة القوميات الغير تركية, وتأثر الأكراد بذلك كثيـرا فعقـدوا العزم على الاتصال بالبريطانيين لتحقيق بعض المكاسب لصالح ضـمان حقـوقهم القومية.[140] كما حاولوا القيام بانقلاب على العثمانيين لإخراجهم مـن كردسـتان والمناداة بالاستقلال.[141]

وكان للدعاية البريطانية دوراً ملحوظا في تغيير موقف بعض الأكـــراد مـــن قضية الجهاد,[142] وبالرغم من هذا إلا إننا نرى فيه انطباعاً عـــن وجـــود بعـــض المواقف السلبية من قبل بعض الأكراد إزاء العثمانيين حتى في بداية الحـــرب[143]. ومن جهتهم فقد شرع البريطانيين في الاتصال بالأكراد خـــلال الحـــرب العالميـــة الأولى وبشكل جدي وكان ذلك جزءاً من خططهم لتقـــويض ســـلطة العثمـــانيين، وتبلورت هذه الاتصالات على شكل رسائل فيما بيـــنهم وبـــين زعمـــاء العشـــائر الكردية.[144]

وبعد احتلال بغداد في 11 آذار 1917 اصدر الجنرال مود بياناً لأهالي بغداد أعلن فيه إن –جيوشهم لم تأتِ البلاد فاتحة بل محررة–[145]. وقد اثر هـــذا البيـــان على العشائر الكردية عموماً فاعتقدت إن فرصتها حانت لتحقيق ذاتها القومية، وان فكرة الحكم الذاتي Autonomy[146], التي تجسدت إبان الحكم الدستوري قد انبعثت من جديد.[147]

ثم قامت بريطانيا بإرسال عدد من ضباطها القديرين إلى المنـــاطق الكرديـــة وذلك بقصد إقامة صلات مباشرة مع الأكراد وبشكل خاص مع زعمـــاء العشـــائر, ونجحوا بتشكيل قوة كردية بإمرة زعماء كرد, وبذلك قويت أمال البريطانيين فـــي احتواء كردستان.[148] وفي الواقع انه من الممكن اعتبار الفترة الأخيرة من سنوات الحرب العالمية الأولى نقطة البداية في العلاقات بين بريطانيا والأكراد حيث بدأت منذ تلك الفترة الاتصالات التي أجريت بين الطرفين وأراد الكرد منها التخلص من الحكم العثماني ومطالبتهم بحقهم في تقرير مصيرهم, بينما أراد البريطانيين منهـــا تحقيق أهدافهم الاستعمارية وإيجاد حليف دائم لهم ليضمنوا مصالحهم السياسية.[149]

وقد تأثرت بريطانيا كثيرا بالحرب العالمية الأولى وامتدت التـــأثيرات حتـــى على سياستها الداخلية والخارجية إذ تمحورت جهودها علـــى إصـــلاح أوضـــاعها الداخلية وانشغلت إلى حد ما عن جوانب كانت محورية ومركزية وأساســـية فيمـــا

يتعلق بسياستها ودبلوماسيتها الخارجية, ومن أبرزها سياستها ومصالحها في الشرق الأوسط إذ نلحظ إن أهدافها في التوسع بالأراضي العثمانية صحبها تغيير كبير ومع أنها حصلت على بعضها إلا أنها لم تستقر على شيء فيما يخص الأراضي التي عرفت في نهاية عام 1923 باسم الجمهورية التركية, بل أنها انتهجت سياسة تستحدث مع تطورات الإحداث وان كان هذا جيدا غير انه كان سابقة في السياسة الخارجية البريطانية.(150) ومع التطورات التي مرت بها تركيا نرى إن بريطانيا قامت بتوظيف واستغلال كرد تركيا في محاولة لتحقيق أهدافها عبر الضغط على الحكومة التركية بالورقة الكردية عن طريق إثارتهم عبر مسألة الحكم الذاتي وإمدادهم بالسلاح وفتح لهم الأراضي العراقية والتي كانت تحت الاحتلال البريطاني, عبر توفيرها لهم فيها معسكرات للتدريب ومخازن للأسلحة إضافة إلى ملاجئ للاختباء.(151)

ومع إن الكرد قد اثبتوا للبريطانيين بأنهم ذوو مراس وعناد وبخاصة إذ انتهجوا موقفا معاديا, وإنهم قد يحتاجون إلى سياسات خاصة تختلف نوعا ما عن السياسات الأخرى التي اتبعت مع غيرهم من الشعوب، وذلك نظرا للطباع الجبلية وما تعنيه من مزايا خوض الصراع والقدرة على مواصلة القتال من اجل الموقف الذي يتبنوه,(152) لكن مع ذلك كله فنلحظ إن بريطانيا ولأسباب عدة, سرعان ما انساقت خلف مطالب مصطفى كمال أتاتورك فألغوا معاهدة سيفر والتي كانت لدى الكرد تعد بأنها الحلم المنتظر, وتم الاستعداد لعقد معاهدة جديدة والتي توقع الكرد بأنها ستعمل على إضاعة مجمل التعهدات الدولية بإقامة دولة كردية أو على الأقل منحهم الحكم الذاتي.(153)

فأدى ذلك إلى شعور كرد تركيا بخيبة الأمل من جراء السياسة البريطانية التي أهملت مطاليبهم، وبدأت بإتباع سياسة المساومة على حساب المطالب الكردية خاصة بعد إن ظهرت بوادر ميل في سياسة بعض المسئولين البريطانيين إلى ربط المناطق الكردية ببقية أجزاء تركيا اثر تعالي قوة حكومة أتاتورك فيها.(154)

وفي خضم هذه الإحداث جاءت الحركة الكمالية لتتسلل عبر الحركة الكردية المتأججة في شمال العراق محاولة جعلها طريق يسهل عبره العـودة إلـى ولايـة الموصل وإضعاف شكيمة خصومهم البريطانيين في العراق.[155] وبالنسبة للحركة الكردية فإنها بدورها كانت بحاجة إلى قوة مساندة لتوازن بها الأمـور لصـالحها ولتضعف بها الجانب البريطاني، ففي شهر أيار 1921 وصلت مفرزة تركية إلـى رواندوز وبدأت بالتعاون مع العشائر الكردية الموالية لها والمعاديـة للبريطـانيين, القيام بإعمال عسكرية نشيطة في تموز من ذلك العام.[156]

ويبدو إن القوات البريطانية وبعد معارك بينها وبين القوات التركية والكردية قد استعادت حرير وباتاس,[157] واضطر الأكراد الانسحاب الى راوندوز في أواخر شهر كانون الأول 1921.[158] كما أرسل الأتراك الى كردستان العقيد علي شـفيق الملقب بـ (اوزدمير) في شهر حزيران 1922 وقد التف بعض زعمـاء العشـائر الكردية حوله.[159]

وعن الحالة العامة في هذه المنطقة فان الأوضاع كانت ما تزال مضـطربة وتمادى المسئولون البريطانيون في أساليبهم القمعية ضد هذه الحركـات المسـلحة المتصاعدة، ونتيجة لذلك تعـاون الكـرد مـع القـوة التركيـة علـى مشـارف السليمانية.[160] وأصبحت مناطق جمجمال وسن كاو وقره داغ, وهي مسنودة بدعم تركي كبير, تشهد صدامات بين الطرفين.[161]

ومنذ ظهور البوادر الأولى لتزحزح مكانة بريطانيا في كردستان العراق كان على الساسة البريطانيين ان يجدوا حلا ليحافظوا به على القليل الذي تبقى لهم فيـه ولاسيما وإنهم كانوا على مشارف انعقاد مؤتمر لوزان والمطالب التركيـة بولايـة الموصل في أوجها,[162] لذا وجدت سلطات الاحـتلال ضـرورة إيجـاد طريقـة لامتصاص النقمة الشعبية وإبعادها عن استقطاب الأتراك، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى, القضاء على نفوذ الترك وطردهم من المنطقـة الكرديـة لإعـادة الشـيخ محمود* ليتولى زمام الأمور مرة أخرى وليملأ الفراغ الذي استغله الأتراك.[163]

وقد اقترح المندوب السامي البريطاني (برسي كوكس) على الشيخ محمود مساندتهم في الوقوف ضد الأتراك وإخراج اوزدمير وقوته من كردستان العراق مقابل ضمان الحكم الذاتي لكردستان العراق وتحت زعامة الشيخ محمود الذي سيتولى منصب (حكمدار كردستان).[164]

إما الشيخ محمود فلم يكن يرضى ان يصبح مجرد وسيلة لطرد الأتراك وتحقيق مطالب وأهداف الحكومتين العراقية والبريطانية، ولم يكن يتأخر عن تلبية مطاليب سلطات الاحتلال ولكن من خلال ضمان الحرية والاستقلال للأكراد.[165] كما حاول كسب ود الاتراك بعد يأسه من التعامل مع بريطانيا,[166] وبهذا يكون الشيخ محمود قد أراد الاستفادة من عداء الاتراك للبريطانيين للحصول على مطالب من سلطات الاحتلال.[167]

ولجلب انتباه الأكراد وجدت السلطات البريطانية ضرورة إصدار تصريح يعزز من مكانتها بينهم ويقلل من انجذابهم إلى جانب الأتراك،[168] ففي برقية لكوكس الى وزارة المستعمرات بتاريخ 16 تشرين الثاني 1922، أوضح فيها ان هناك موجة من المشاعر القومية الكردية خاصة بعد نجاح المفاوضات مع الملك فيصل بخصوص المعاهدة العراقية البريطانية لسنة 1922، ولإظهار الاهتمام البريطاني بحقوق الأكراد ضمن الحدود العراقية فمن المستحسن يقول كوكس، إصدار بيان يضمن هذه الحقوق لكسب هؤلاء الأكراد الى الجانب البريطاني ولمحاربة النشاطات التركية.[169]

ويعترف الجانب البريطاني ان تعاون الشيخ محمود مع الاتراك وإعلانه عن حكومة مستقلة له ما يبرره خاصة، بعد إتباع السلطات البريطانية أساليب المماطلة والتسويف وتجاهلهم لمطالب الأكراد، ويبدو ان طموح البريطانيين كان يتمثل في ان يتم القضاء وبشكل نهائي على القوة التركية في رواندوز.[170]

ويبدو إن السلطات البريطانية بدأت تنظر الى الوضع بمنظار أخر خاصة وأنها تمكنت بعد ذلك بفترة وبالتحديد في 22 نيسان 1923 من احتلال راوندوز احتلالاً دائما وطرد الاتراك منها.[171] ان السياسة البريطانية الكرد كانت تتسم بالتذبذب بين المرونة والشدة فكانت تكيل الوعود وتطلق التصريحات والبيانات بين آونة وأخرى، ويبدو ان ذلك يرتبط الى حد ما بمسألة مشكلة الموصل أيضاً.[172]

وما ان حدثت حركة سعيد بيران في عام 1925, ويرجع اندلاعها إلى الغبن القومي الذي تعرض له الكرد من السياسات الكمالية المناهضة لحقوقهم, حتى نرى توظيف بريطانيا لهذه الحركة في سبيل استخدامها كورقة ضغط سياسي على تركيا لإنهاء مشكلة الموصل لصالح أهدافها السياسية.[173]

قابل نجاح بريطانيا في الاتفاق مع تركيا في 16 كانون الأول 1925 لضم الموصل إلى العراق احتجاجات كردية شديدة لإلحاق كردستان الجنوبية بالدولة العراقية الحديثة واكدوا بان ذلك جرى من دون استطلاع رأي سكانها وبأنه كان ضد احلام واهداف سكانها.[174]

وما إن وصلنا لعام 1926 حتى تشابكت السياسات البريطانية مع السياسات الشيوعية السوفيتية بوصول جوزيف ستالين إلى دفة الحكم في الاتحاد السوفيتي فأرادت تقوية جمهورية مصطفى كمال أتاتورك وزيادة نفوذه والعمل على عدم مساندة معارضيه الكرد وكل ذلك لتوظيف قدراته ليكون حاجزا حقيقيا وقويا بوجه الإيديولوجية الأممية الشيوعية والعمل بكل تركيز لإبعاد النفوذ الشيوعي عن منطقة الشرق الأوسط الذي مثلت ثرواته وموقعه مكانا في غاية الأهمية بالنسبة للإستراتيجية البريطانية, فلهذا كله لم تعني لها القضية الكردية في تركيا في تلك الفترة شيء يذكر.[175]

ويبدو إن الواقع والمتغيرات الدولية قبيل النصف الثاني من عقد الثلاثينات قد أخذت السياسة الخارجية البريطانية بعيدا عن أهدافها الكلاسيكية في الشرق الأوسط

فقد شكل بروز كلا من موسوليني في ايطاليا ومن ثم أدولف هتلر في ألمانيا وانتهاج الأول الإيديولوجية الشوفينية والثاني الإيديولوجية النازية قد ادخل بريطانيا في حالة انتظار فحوى واتجاه الصراع الدولي القادم مما أبعدها كثيرا عن قضية كرد تركيا ولم تتدخل لا في حركة درسيم الأولى ولا بالثانية ولما تدهورت صحة مصطفى كمال أتاتورك واقتربت وفاته كانت بريطانيا منشغلة تماما في تغيرات وتقلبات الظرف الدولي المعكر.[176]

6- موقف فرنسا من سياسة أتاتورك تجاه الكرد:

كان لمصطفى كمال دور مؤثر في معارك الحرب العالمية الأولى فقد كان يقود قوات (الصاعقة العثمانية) والتي قاتلت في الجبهة السورية وكان لدوره هذا اكبر الأثر في إعاقة تقدم قوات الحلفاء في سوريا[177]، وأدى احتلال الحلفاء لأجزاء كبيرة من سوريا ومنطقة الأناضول إلى التقارب, فيما بعد, بين المسئولين في البلدين فلقد عقدت اتفاقية سرية بين الأمير فيصل ومصطفى كمال في حلب بتاريخ 16 حزيران 1919 بوساطة متصرف الكرك الذي كان عضوا في جمعية الاتحاد والترقي, وتضمنت الاتفاقية 9 بنود أكدت على تشجيع الثورات ضد الفرنسيين في سوريا والأناضول ومدها بالدعم وإعلان الجهاد المقدس في المدن السورية, ونشرت بيانات موجهة من مصطفى كمال إلى السوريين بضرورة التعاون لمواجهة العدو المشترك.[178]

واتهمت السلطات الفرنسية معظم الضباط والموظفين العرب في الحكومة العثمانية السابقة، الذين أصبحوا ألان في حكومة دمشق، بموالاتهم على درجات متفاوتة للأتراك وعقدهم روابط وثيقة معهم، كما اتهمت الجمعيات القومية في حلب بتوزيع بيانات تدعو فيه أبناء الأمة العربية للقتال مع جيرانهم ضد الحلفاء وادعت إن معظم الاضطرابات في كيليكيا تدار وتنظم من حلب.[179]

وأكد ونستون تشرشل (وزير المستعمرات البريطانية)، وجود التعاون العربي–التركي, وبينه في مجلس العموم البريطاني بقوله بأن ((العرب الذين أثارهم احتلال سورية يحاولون ألان ولأول مرة وبعدة طرق إيجاد قضية مشتركة مع القوميين الترك، وبذلك يوحدون قوميتين كانت سياستنا قد نجحت إلى ألان في التفريق بينهما)).[180]

وكانت قوات مصطفى كمال قد حاصروا الحاميات الفرنسية في (اورفة وكلس وعينتاب) ولم تستطع السلطات الفرنسية إرسال النجدات عن طريق كيليكيا بسبب وعورة الطريق ولتخريب الخط الحديدي المتجه إلى كيليكيا من قبل الوطنين السوريين الذين كانوا يديرون إعمالهم من حلب.[181]

وقد أدى هذا إلى نقل الجيش الفرنسي بحرا إلى الاسكندرونة ثم برا إلى منطقة الحرب دون فائدة اذ تخلى الفرنسيون عن مرعش واورفة وعينتاب مما اضطر الجنرال غورو الى حل الخلاف سلميا وأملى الأتراك إرادتهم على فرنسا وعقدت هدنة في مطلع حزيران كانت مقدمة للصلح وامنوا بذلك الحدود الشمالية.[182]

وبموجب اتفاقية الهدنة التي عقدها الفرنسيون مع مصطفى كمال في 3 أيار 1920، فقد أوقف دعمه للوطنيين السوريين، إزاء ذلك استطاعت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال (غورو) من احتلال سوريا، في 24 تموز 1920, بعد أن طردت الملك فيصل بن الحسين وحكومته الموالية للإنكليز، و قضت على المقاومين السوريين في موقعة ميسلون, وما أن سيطر الفرنسيون على سورية، حتى قسموها الى أربع دويلات مستقلة، اثنتان على ساحل البحر الأبيض المتوسط هما لبنان وجبال العلويين واثنتان في سورية الداخلية هما دمشق وحلب, وأقيمت أيضا في 1921 دويلة جبال الدروز.[183]

وفي عام 1923، أقيم اتحاد فيدرالي بين دمشق وحلب وجبال العلويين، لكن في نهاية عام 1924، وحد المفوض الفرنسي دمشق وحلب ليشكلا الدولة السورية، وأكد استقلال دويلة جبال العلويين ودويلة جبل الدروز ومنح الحكم الذاتي للواء اسكندرون تحت اسم سنجق اسكندرون المستقل.(184)

السبب الرئيس لهذه السياسة الفرنسية كان لتجنب مواجهة مقاومة موحدة، ولتسهيل إدارة البلاد بالاعتماد على الوجهاء المحليين الذين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير بين السكان، ولإرضاء المشاعر الإقليمية تعويضا عن الشعور الديني المناهض للفرنسيين, ولم يلغ الفرنسيون الشكل الملكي للبلد إلا لتسهيل و تغيير وضع المؤسسات الإدارية.(185)

ولم تكن هذه السياسة فعّالة دوما، مثلما كان متوقعا, إذ زادت الانتفاضات الجماهيرية وغالبا ما كانت تنشب الخلافات بين مؤيدي السياسة الفرنسية من جهة، ومعارضيها من جهة أخرى، و علاوة على ذلك كانت تفتقر كل دويلة إلى مقومات استمرارية وجودها، من الناحيتين الجغرافية والاقتصادية، بالإضافة إلى افتقارها الى الكوادر والخبرات اللازمة لإدارة جهاز الدولة.(186)

إما حقيقة الموقف الفرنسي إزاء كرد تركيا فنرى انه كان متقلبا من التأييد الكامل لمنحهم الحكم الذاتي كما جاء بمعاهدة سيفر 1920 الى النقيض من ذلك, ونلحظ تقلب موقفهم وعدم اتخاذه سياسة ثابتة إذ ارتهن بتقلبات الظرف السياسي, ويتضح هذا التأرجح بانسياقه مع تغيرات الواقع السياسي كما جاء بمعاهدة لوزان اذ تمت موافقتهم الكاملة على إهمال الكرد والتنكر لحقوقهم والتي أقرت مسبقا بمعاهدة دولية كانت فرنسا الى جانب بريطانيا هما المشرعان لها.(187)

ولما كانت أوضاع تركيا غير مستقرة قام مصطفى كمال بإعطاء وعودا للأكراد بمنحهم الحكم الذاتي وبمساحة أوسع مما أكدت عليه معاهدة سيفر وأكد لهم ضرورة تأجيل القضية الكردية الى حيث تحرير الوطن من الاحتلال الأجنبي

وضرورة اتحاد الاكراد والاتراك في هذه الفترة التي تمر بها تركيا ، لكن معاهدة لوزان 1923، أوضحت لكرد تركيا انه لا مجال لتحقيق هدفهم وخصوصا بعد إن تنكر مصطفى كمال لوعوده السابقة لهم واتخاذه من سياسة إذابة القوميات غير التركية في القومية التركية أداة لصهرهم (كترك) في الوطن التركي الجديد.[188]

وعلى الرغم من عدم تطبيق معاهدة سيفر إلا إن أثرها المعنوي على كرد تركيا ظل كبيرا اذ أنها كانت المرة الأولى التي تنص على حقهم في امتلاك دولة خاصة بهم في اتفاقية دولية[189], ومن الطبيعي ان تكون ردة الفعل لدى الاكراد هي الشعور بان الجميع قد خانوهم وخصوصا دول الحلفاء بدئا بفرنسا, وقد تجلت ردة الفعل على شكل حركات تمرد متعددة[190].

واتبع مصطفى كمال سياسة العنف ضد الاكراد وأمر بحشد قوات عسكرية كبيرة في معظم المناطق الكردية, وتركزت في سنة 1924 ستة فرق مشاة جديدة في قارص وماردين ومديات وغيرها من المناطق[191], وعلى اثر ذلك عمد الاكراد الى عقد مؤتمر سياسي سري في كانون الاول 1924 خارج تركيا, في مدينة حلب السورية, لوضع الخطط اللازمة لمجابهة سياسة الحكومة التركية وإجبارها على التراجع عن مخططاتها الرامية الى تتريك الاكراد في تركيا ، وكانت من مقررات المؤتمر تحديد يوم (21 آذار 1925) بداية لقيام الحركة الكردية المسلحة.[192]

اندلعت الحركة الكردية في (13 شباط 1925) أي قبل موعدها المقرر وكان السبب المباشر لذلك حادثة افتعلتها الحكومة التركية التي كانت تتابع جولات الشيخ سعيد ونشاطه عن كثب فقد أرسلت الحكومة مفرزة عسكرية الى قرية بيران لاعتقال بعض إتباع الشيخ، فبدأت الحركة الكردية [193], و انضم إليها معظم الأكراد, وكانت الحركة رفضا لقرار مصطفى كمال لإلغاء الخلافة ولسياسة التتريك، وطالبت بتنصيب سليم أفندي ، ابن السلطان عبد الحميد الثاني خليفة وسلطانا، وكان شعار الحركة (إقامة كردستان مستقلة في ظل الحكومة التركية

وإعادة حكم السلطان) وادعى قادة الحركة أنهم ناقمون علـــى علمانيـــة الكمـــاليين وإلغائهم الخلافة الإسلامية.[194]

وأعلنت تركيا ان إثارة هذه المشكلة قد تم بتحريض فرنسي لإشـــغال كـــرد سوريا بما يجري بتركيا,[195] إلا إن فرنسا هي الأخرى قد اتهمت بريطانيـــا بهـــا, وأكدت ان ما يجري في تركيا ما هو إلا بتحريض ودوافع بريطانية وعدت السبب الرئيس في ذلك هو مشكلة الموصل التي كانت عالقة وبلا حل بين كلا من تركيـــا والعراق الواقع تحت الانتداب البريطاني.[196]

وكان الدعم الفرنسي لتركيا أملاه أمرين هما, محاولة لإثبات براءتها من أنها خططت لقيام الحركة الكردية في تركيا فتعاونت مع الأتراك بمـــنحهم التســـهيلات اللازمة لنقل الجنود والعتاد وحتى تزويدهم بالطائرات, كما سمحوا لتركيا بنقل أكثر من 35.000 جندي عبر سوريا بطريق الخط الحديدي المار في كيليكيـــا وشـــمال سوريا[197], ومن جهة أخرى لخشيتها من خطر الحركة الكردية من ناحيـــة ونـــذر قيام الثورة السورية الكبرى من ناحية أخرى[198].

إما الحركة الكردية الثانية ((اجري داغ Agri Dagh))، فتعد هذه الحركة من وجهة نظر الكرد ذات بعد قومي ذلك ان سبب اندلاعها (تحرير جميع كردســـتان) وقد قامت الحركة تحت لواء حزب سياسي جديد عرف باســـم حـــزب الاســـتقلال (خويبون) في سنة 1927، بعد دمج مجموعات عديدة من الجمعيـــات الاجتماعيـــة والسياسية الكردية داخل وخارج تركيا وتم تشكيل قيـــادة عســـكرية أوكلـــت الـــى الجنرال إحسان نوري باشا ، وتقرر القيام بحركة مســـلحة جديـــدة وكـــان الـــدافع الرئيسي وراءها هو عملية التنكيل والتهجير التي تعرض لها الاكراد بعـــد حركـــة 1925.[199]

وإثناء هذه الحركة قامت مجموعة كردية ســـورية وبـــدعم مـــن الســـلطات الفرنسية بالتوغل في أراضي كردستان تركيا لضرب القـــوات التركيـــة ومســـاندة

الاكراد هناك[200], وكانت فرنسا تسعى من وراء دعمها المحدود تحقيق هدفين، الأول كسب أكراد المنطقة الى جانب فرنسا، والثاني الضغط على تركيا التي كانت ترفض تخطيط الحدود بينها وبين سوريا.[201]

مما حدا بالحكومة التركية الى ان تقدم طلبا للمندوب السامي الفرنسي لإيقاف دعمها للكرد وإلا إن موقف فرنسا هذا سيدفع الترك لترسيخ علاقتهم مع السوفيت والذين كانوا آنذاك يعملون على أممية الحركة الشيوعية والعمل على إيصالها للحكم في دول أوربا الغربية وخصوصا فرنسا والتي خرجت من الحرب العالمية الأولى بآثار سياسية جسيمة, ولهذا كله قام مندوبها السامي بسوريا بتجهيز ونقل بعض القادة العشائريين الاكراد في سوريا من مناطق الحدود مع تركيا الى داخل سوريا والى إيقاف الدعم الفرنسي للكرد.[202]

وقد استقر الموقف الفرنسي على موقف محدد إزاء السياسة التي اتبعها مصطفى كمال أتاتورك تجاه الكرد ويظهر ذلك بصورة جلية اثر توقيعها معاهدة مع سوريا في سنة 1936 إذ إن المطالبة بالحقوق الكردية بدأت بالركود ثم الاختفاء، ونلحظ ذلك في حركة درسيم الثانية 1937-1938 إذ قامت سلطات الاحتلال الفرنسي في سوريا بترصين الحدود السورية مع تركيا ولم تسمح لكرد سوريا بتقديم أي عون لكرد تركيا كما أنها أغلقت الحدود السورية بوجه الآلاف ألاجئين الكرد.[203]

وبهذا يبان لنا الموقف الفرنسي إزاء سياسة مصطفى كمال أتاتورك تجاه الكرد فمع أنها حاولت توظيف التمردات الكردية في تركيا للضغط على الحكومة التركية واستغلال ذلك بتحديد الحدود السورية مع تركيا إلا إننا نلحظ إن مصطفى كمال أتاتورك استطاع كسب الموقف الفرنسي لجانبه وجعله يكون رديفا لسياسته المتبعة تجاه الكرد.

الخاتمة:

إن تمعنا بالمواقف السياسية التي انتهجتها القوى التي عملنا على بيانها في بحثنا, فسنرى إن موقف الحركات الإسلامية التركية لمجابهة السياسة التي انتهجها مصطفى كمال أتاتورك تجاه كرد تركيا نستبين منه قدارة موقفها وبسالته فعلى الرغم من إمكانياتها المحدودة وعداء الحكومة لها إلا أنها امتازت ببسالة كبيرة وصمود واضح وقدمت المساندة لجميع الحركات الكردية, وامتازت بموقفها هذا عن مختلف المواقف التي اتصفت بالميوعة للأنظمة العربية والغربية.

إما الوقف العراقي فقد كان متأرجحا لأسباب عدة قد يأتي بمقدمتها خضوعه للانتداب البريطاني والى مطلع شهر تشرين الأول 1932, ومن ثم نهاية حكم الملك فيصل الأول وتولي الحكم الملك الشاب غازي والذي لم يكن يتمتع بقدرات الحاكم الحقيقية, فلذا لم يتم توظيف القضية الكردية في تركيا لصالح السياسة العراقية, إذ لم تبادر الحكومات العراقية على تقديم أية مساعدة لكرد تركيا بل تم التزام الحياد لان كلتا الدولتين كانتا تعاني من الحركات الكردية. وقد استمرت السياسة العراقية هذه وحتى وفاة الرئيس مصطفى كمال أتاتورك.

بينما تفاعلت العلاقات الإيرانية التركية لاتحاد هدفهما بالقضاء على الأهداف والأحلام القومية الكردية والعمل على صهر الكرد بالقوميتين الإيرانية والتركية, وقد تواصل الدعم الإيراني للسياسات الكمالية المتبعة تجاه الكرد اثر قيام تركيا بمساندة الحكومة الإيرانية بالقضاء على الحركة الكردية الإيرانية, ولم يتغير الموقف الإيراني المساند لسياسة مصطفى كمال أتاتورك تجاه الكرد بل كان يشهد ومع مرور الوقت تعاونا اكبر وعقد اتفاقيات لمواجهة أية حركة كردية قائمة إضافة إلى تبادل الخبرات والسياسات المتبعة تجاه الكرد, واستمر هذا الحال حتى وفاة الرئيس التركي مصطفى كمال أتاتورك.

وعلنا لاحظنا الموقف السوفيتي المتباين بين عهدي لينين وستالين, فمع انه كان مقبولا إلى حد ما خلال سنوات حكم لينين, غير إن تولي ستالين السيطرة على مقاليد الحكم بدأت السياسة الداخلية للسوفيت تتشدد ضد الكرد ولم يبق للكرد أية حقوق كمواطنين في الاتحاد السوفيتي وألغيت جمهورية كردستان الحمراء ذات الحكم الذاتي, وخيم على الاتحاد السوفيتي جو بوليسي. وتواصلت سياسة ستالين المعادية لكل ما هو كردي داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه, حتى انه سخر كل الإمكانيات السوفيتية العسكرية والاستخبارية والإعلامية لمساندة تركيا في القضاء على الحركات الكردية فيها, وقد وصف تلك الحركات بأنها هجوم البربرية على المدنية. واستمر الدعم السوفيتي لسياسة أتاتورك تجاه الكرد وحتى نهاية حكمه.

ولان بريطانيا كانت مجاورة لتركيا من باب أنها احتلت العراق في نهاية الحرب العالمية الأولى ومن ثم أخضعته لانتدابها, فلذلك كان لعلاقاتها مع كلا من الترك والكرد تمر بعدة تنقلات في محاولة منها لتحقيق مصالحها عبر تضارب مصالح الإطراف الأخرى. إلا إن وصولنا لعام 1926 الذي شهد تشابك السياسات البريطانية مع السياسات الشيوعية السوفيتية بوصول جوزيف ستالين إلى دفة الحكم في الاتحاد السوفيتي فأرادت تقوية جمهورية مصطفى كمال أتاتورك وزيادة نفوذه لتوظيف قدراته ليكون حاجزا حقيقيا وقويا بوجه الإيديولوجية الأممية الشيوعية والعمل بكل تركيز لإبعاد النفوذ الشيوعي عن منطقة الشرق الأوسط الذي مثلت ثرواته وموقعه مكانا في غاية الأهمية بالنسبة للإستراتيجية البريطانية, فلهذا كله لم تعني لها القضية الكردية في تركيا في تلك الفترة شيء يذكر.

وأخيرا فان الموقف الفرنسي إزاء سياسة مصطفى كمال أتاتورك تجاه الكرد فمع أن فرنسا حاولت توظيف التمردات الكردية في تركيا للضغط على الحكومة التركية واستغلال ذلك بتحديد الحدود السورية مع تركيا إلا إننا نلحظ إن مصطفى كمال أتاتورك استطاع كسب الموقف الفرنسي لجانبه وجعله يكون رديفا لسياسته المتبعة تجاه الكرد.

وإن الواقع السياسي العالمي والمتغيرات الدولية قبيل النصف الثاني من عقد الثلاثينات قد أخذت السياستين الخارجيتين البريطانية والفرنسية بعيدا عن أهــدافهم الكلاسيكية في الشرق الأوسط فقد شكل بروز كلا من موسوليني في ايطاليا ومن ثم أدولف هتلر في ألمانيا وانتهاج الأول الإيديولوجية الشوفينية والثاني الإيديولوجيــة النازية, غربة سياسية لساسة بريطانيا وفرنسا وأدخلتهما في حالة انتظــار فحــوى واتجاه الصراع الدولي القادم مما أبعدهما كثيرا عن قضــية كــرد تركيــا, ولمــا تدهورت صحة مصطفى كمال أتاتورك واقتربت وفاته كانا منشــغلين تمامــا فـــي تغيرات وتقلبات الظرف الدولي المعكر.

الهوامش

1- Brass Paul R, Ethnicity and Nationalism: Theory and Comparison, London1991,p.23.
2- John Bullock, Harvey Morris, No Friends but the Mountains: The Tragic History of the Kurds, Oxford University Press, 1996,p.17.
3- Brass Paul R, op, cit, p.25.
4- Haldun Gulalp, Islamism and Kurdish Nationalism: Rival Adversaries of Kemalism in Turkey, In Islam and the Question of Minorities, ed. Tamara Sonn , Scholars Press, Atlanta 1996, p,5.
5- ibid,p.8.
6- John Bullock, op, cit,p.19.
7- Ernest Gellner, Nations and Nationalism. Oxford unversity, Blackwell 1983,p.6.
8- Haldun Gulalp, op, cit, p.11.
9- Milton J Esman, Ethnic Politics, Ithaca, Cornell University Press 1994, p.18.
10- John Bullock, Harvey Morris, op, cit, p.22.
11- Brass Paul R, op, cit, p.29.
12- Eric Rouleau , Turkey: Beyond Atatu¨rk, Foreign Policy 103 ,Summer 1996, p.84.
13- Milton J Esman, op, cit,p.21.
14- Eric Rouleau, op, cit, p.89.
15- Milton J Esman, op, cit,p.23.
16- Kemal aldin ali, Provide Comfort or Trouble: Kurdish Ethnicity and Turkish Foreign Policy (Istanbul 1994),p.69.
17- ibid, p.71.
18- ibid, p.74.
19- محمد حسين الطنوبي, الحركة الكمالية والعلمانية في تركيا, رسالة ماجستير غير مطبوعة, جامعة الإسكندرية 1989 وص43.
20- Haldun Gulalp, op, cit, p.19.

21- إبراهيم الدسوقي شتا, الحركة الإسلامية في تركيا, الزهراء للإعلام العربي, القاهرة 1986, ص41؛ القانون المدني التركي, مركز بحوث العالم التركي, القاهرة د ت, ص23.
22- Haldun Gulalp, op, cit, p.25.
23- مصطفى الزين, ذئب الأناضول, رياض الريس للكتب والنشر, لندن 1991, ص232.
24- محمد عزة دروزة, تركيا الحديثة, مطبعة الكشاف, بيروت 1946, ص72.
25- Eric Rouleau, op, cit, p.93.
26- Jorge blanco villalts, ataturk, Ankara 1982,pp.379-382.
27- الطنوبي, المصدر السابق, ص245.
28- دروزة, المصدر السابق, ص ص122-132.
29- فتحي رضوان, مصطفى كمال أتاتورك, دار ومطابع المستقبل, بيروت 1983, ص95.
30- هدى درويش, الإسلاميون وتركيا الحديثة- نموذج الإمام سليمان حلمي-, ط1, دار الأفاق العربية, القاهرة 1998, ص ص131-144.
31- Haldun Gulalp, op, cit, p.38.
32- ibid, pp.39-41.
33- هدى درويش, المصدر السابق, ص ص141-156.
34- Haldun Gulalp, op, cit, pp.39-42.
35- Jorge blanco villalts, op, cit, p.385.
36- إبراهيم الدسوقي شتا, المصدر السابق, ص52.
37- هدى درويش, المصدر السابق, ص144.
38- سليم الصويص, أتاتورك منقذ تركيا وباني نهضتها الحديثة, مطبعة شنقر, عمان د ت, ص ص 270-273.
39- Haldun Gulalp, op, cit, p.48.
40- سليم الصويص, المصدر السابق, ص272.

41- Michael Gunter, Kurdish Militancy in Turkey A Socio-Political Journal 29, 1989,pp. 43-59.
42- Haldun Gulalp, op, cit, p.51.
43- إبراهيم الدسوقي شتا, المصدر السابق, ص47.
44- Gulistan Gurbey, The Development of the Kurdish Nationalism Movement in Turkey since the 1925, Turkey and the Middle East, ed. Robert Olson, University Press of Kentucky, Lexington1996,p.47.
45- ibid,p.53.
46- ibid, pp.54-55.
47- Jorge blanco villalts, op, cit,p.392.
48- Haldun Gulalp, op, cit, p.55.
49- Gulistan Gurbey, op, cit, pp.60-64.
50- هدى درويش, المصدر السابق, ص ص158-159.
51- Haldun Gulalp, op, cit,pp.57-58.
52- Araf Hasan, The Kurds , An historical and Political study, London 1966,p.22.
53- Ibid,p.31.
54- Derk Kinnan , The Kurds and Kurdstan , London 1964,p.13.
55- Araf Hasan, op, cit, p.33.
56- Ibid, p.35.
57- Derk Kinnan , op, cit, p.16.
58- Eile Kedouri , England and Middle East , London 1956, p.143.
59- Majid Kedouri , Independent Iraq 1932-1958 , London 1960, p.24.
60- Ibid, p.27.
61- Peter Sluglett , Britain in Iraq and turkey, 1914-1932 , London 1932, p.159.
62- Ibid, p.161.
63- Derk Kinnan , op, cit, p.56.
64- Araf Hasan, op, cit, p.67.

65- Ronald Millar , the Kurd in middle east, London 1968, p,114.
66- Ibid, pp.118_120.
67- Ibid, p,125.
68- Derk Kinnan , op, cit, p.84.
69- Ibid, p.86.
70- Ibid, p.87.
71- Araf Hasan, op, cit, p,78.
72- نجدة فتحي صفوة، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب، بغداد، دار التربية ومكتبة التحرير، ط2، 1984م، ص117.
73- المصدر نفسه, ص118.
74- Peter Sluglett, policy uk toward iraq 1932-1958, London 1959, p.33.
75- ibid, p.37.
76- حامد محمود عيسى، المشكلة الكردية في الشرق الأوسط ، مطبعة أطلس، منشورات مكتبة المدبولي، القاهرة 1992، ص115.
77- نجدة فتحي صفوة، المصدر السابق، ص117.
78- سعد الدين خضر، أحداث وشخصيات من تاريخنا المعاصر، مكتب الفني، الموصل 2008، ص75.
79- Peter Sluglett, op, cit, p.70.
80- ibid, p.72.
81- حامد محمود عيسى، المصدر السابق، ص116.
82- Johan sermon, The Kurdish Question and Turkey: An Example of a Trans-State Ethnic Conflict , co-authored with G. Winrow, Frank Cass, London 1997, pp.164_166.
83- فريق من شباب الكرد، الاكراد والعرب، مطبعة، النجـاح، بغـداد 937، ص7.
84- فريق من شباب الكرد, المصدر السابق, ص23.
85- المصدر نفسه, ص25.

86- المصدر نفسه, ص31.

87- حنان اخميس، اصل الكورد، مطبعة الامل, القاهرة 2005, ص219.

88- Derk Kinnan , op, cit, p.84.

89- المحامي شعبان مزيري، التكوين السياسي والثقافي للاحزاب والجمعيات الكوردية من سنة1880- لغاية 1958م (مؤسسوها ونشاطاتها)، بغداد، 2005، ص38-39.

90- حميد عثمان، اراء في المسالة الكوردية، مطبعة دار السلام، بغداد 1970، ص9.

91- المصدر نفسه, ص12.

92- Derk Kinnan , op, cit, p.126.
93- ibid, p.128.
94- Derk Kinnan , op, cit, p.91.
95- marten astoman, Kurd Iran 1921-1979, London 1989,p.13.
96- ibid, p.15.
97- Haldun Gulalp, op, cit,p.46.
98- marten astoman, op, cit,p.21.
99- Michael Gunter, Kurdish Nationalist, new York, pp. 50–53.
100- Ibid, p.59.
101- John Bullock, Harvey Morris, op, cit, p.44.
102- Michael Gunter, The Kurdish Question and International Law, In The Kurdish Conflict in Iran, St Martin's Press 1999,p124.
103- marten astoman, op, cit, p.27.
104- Michael Gunter, op, cit, p.130.
105- Ibid, p.132.
106- Michael Boldery , Kurds in Iran, West view Press 1990, p.36.
107- marten astoman, op, cit, p.29.
108- Nezan Kendal, The Kurds and Kurdistan, Zed Press, London 1980, p.249.

109- Michael Boldery, op, cit, pp.42-45.
110- Ibid ,p.48.
111- marten astoman, op, cit, pp.31-35.
112- Michael Gunter, op, cit, p. 158.
113- Ibid, p.169.
114- Kevin McKiernan, The Kurds: A People in Search of Their Homeland. St Martin's Press 2006, pp.87-92.
115- Michael Boldery, op, cit, p. 72.
116- marten astoman, op, cit, pp.40-47.
117- Kevin McKiernan,, op, cit, p.112.
118- Michael Gunter, op, cit, p.176.
119- Nezan Kendal, op,cit,31.
120- Ibid,p.48.
121- Ali Kemal Ozcan, Turkey's Kurd, Madison 2006,p.76.
122- Robert Olson, The Kurdish between Turkish and Russian , Middle East Policy 4, no. 3 ,March 1996, pp.18.
123- Ibid, p.21.
124- Kevin McKiernan, op, cit, p.101.
125- Robert Olson, op, cit, p.24.
126- Roberto Romani, Kurdish history in world, new York 2007,p.169.
127- Robert Olson, op, cit, p. 25.
128- Ibid, p.27.
129- Roberto Romani, op,cit, p.172.
130- Anthony Smith, Kurdish in states linen, London 1987, p.46.
131- Ibid, pp.57-58.
132- Ibid, pp.64-65.
133- Robert Olson, op, cit, pp.32-35.
134- Ibid, p.38.
135- Anthony Smith, op, cit, p.71.
136- Ali Kemal Ozcan, op, cit, p.81.
137- Robert Olson, op, cit, p. 43.
138- Ibid, p.49.

139- Hazhir Teimourian, Russia and Kurdistan, Berlin 1974, p.58.

140- Ibid, p.63.

141- Robert Olson, op, cit, pp.89-108.

142- رثار سلوبي، في سبيل كردستان، ترجمة ر. علي، بيروت 1987، ص45.

143- ستورث ارسكين، فيصل ملك العراق، ترجمة عمر ابو النصر، بيروت 1934، ص162.

144- محمد رسول هاوار، ياداشته كاني شيخ له تيفي حه فيد، هه وليرر 1995، ص26.

145- ابراهيم خليل احمد, ولاية الموصل دراسة في تطوراتها السياسية 1908-1922 ، كلية الآداب ،جامعة بغداد 1975, ص191.

146- Civil Commissioner's Office, Notes on the Tribes of Southern Kurdistan between the Greater Zab and the Pialah, Baghdad 1919, P.22.

147- ستيفن همسلي لونكريك, اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ط6 ، بغداد 1985، ص33.

148- المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب ، ط2، بغداد 1971، ص103.

149- هو حكم الشعب للشعب عبر ممثلية بعيداً عن التدخل الاجنبي والاستعمار بشتى اساليبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهو ايضاً صلاحية لكل دولة او اقيلم في الدولة الاتحادية بحكم ذاته بذاته عبر حكومة ومجلس وقوانين لا تخضع لرقابة الحكومة المحلية. احمد عطية الله، القاموس السياسي، دار النهضة، القاهرة 1968، ص246.

150- احمد عثمان أبو بكر، كردستان في عهد السلام، السليمانية 1998، ص14.

151- Derk Kinnane, the Kurds and Kurdistan, (London 1964), P.26, Hassan Arfa, the Kurds, London 1960, P.26.

152- زبير بلال اسماعيل، اربيل في ادوارها التاريخية، مطبعة النعمان، النجف د ت) ، ص375.

153- Derk Kinnane, op, cit, p.43.

154- ibid, p.48.

155- Hassanpour, Amir.. The Pen and the Sword: Literacy, Education and Revolution in Kurdistan." In Knowledge, Culture, and Power: International Perspectives on Literacy as Policy and Practice, ed. Peter Freebody and Anthony R. Welch. London 1993,p.25.

156- ibid,p.30.

157- Derk Kinnane, op, cit, p. 57.

158- سي ج ادموندز، كرد وترك وعرب، ط2، اربيل 1999, ص222.

159- Kinzer, Stephen, Kurdish Rebels in Turkey Are Down but Not Out. New York 1997,p.13.

160- ibid,p.17.

161- Kinzer, Stephen, op, cit,p.22.

162- بيرسي كوكس وهنري دوبس, صفحة من تاريخ العراق الحديث من سنة 1914 الى سنة 1926 تكوين الحكم الوطني في العراق ، الموصل دت, ص61.

163- جريدة العراق، العدد 655، 13 تموز 1922.

164- Kinzer, Stephen, op,cit,p.25.

* هو الشيخ محمود بن سعيد حفيد كاكا احمد الشيخ، يرجع تاريخ هذه الاسرة بصورة خاصة الى عهد الحكومة البابانية، وقد ظهر نفوذ الشيخ محمود منذ حداثة سنه بين سكان القرى والعشائر الكردية بفضل نشاطه وشجاعته فضلاً عن كونه من اسرة دينية. رفيق حلمي، مذكرات رفيق حلمي، ترجمة جميل الروزبياني، بغداد 1975.

165- Kinzer, Stephen, op,cit,p.28.

166- محمد رسول هاوار , المصدر السابق, ص85.
167- Kinzer, Stephen, op,cit,p.29.
168- ibid,p.30.
169- البيرت.م منتشاشفيلي, العراق في سنوات الانتداب البريطاني، جامعة بغداد 1978، ص321.
170- ادموندز، المصدر السابق، ص ص283- 284.
171- وثائق سياسية وتاريخية عن القضية الكردية"، التاخي، العدد 457، 8 حزيران 1970.
172- منتشاشفيلي، المصدر السابق، ص327.
173- موقف الأحزاب السياسية العراقية من القضية الكردية 1946-1970"، جريدة خه بات، العدد 858، 9 كانون الثاني 1998.
174- جي. بي ماكلان، تعاون الطائرات في القتال الجبلي-كردستان سنة 1923-، المجلة العسكرية، العدد 4، 1 تشرين اول 1927، ص30.
175- موقف الاحزاب السياسية العراقية من القضية الكردية 1946-1970"، جريدة خه بات، العدد 858، 9 كانون الثاني 1998.
176- A.G. Gerrod, "Recent of oferations in kurdistan" , Journal of Roynl united service instiute, No; 510, may 1933, P.236 .
177- ibid, p.238.
178- Derk Kinnane, op, cit, p. 64.
179- ibid, p.79.
180- Yusuf Hikmet Bayar ,Turk Inklabi Tarihi. (1914-1918) Genelsavasi, Cilte: 3, Turktaihkur Umubasimevi, (Ankara, 1983), pp.16-431.
181- SUAT iLHAN,ATATURK VE ASKERlik, ataturk kultur basimeve, (ANKARA,1992), pp.170-171.
182- خيرية قاسمية, الحكومة العربية في دمشق 1918-1920، مصر 1971, ص ص186-187.

183- خيرية قاسمية, العلاقات العربية – التركية من خلال مذكرات واوراق فوزي القاوقجي 1912-1918"، جامعة الموصل، ارشيف مركز الدراسات التركية ، ملفة/32 ، ص ص19-20.

184- د . ك . و : ملفات البلاط الملكي، التصنيف 311/808، قضية الموصل 1921-1922، وثيقة 2 ، ص3.

185- عبد الكريم رافق, العلاقات السورية – التركية 1918-1926 "، بحث مقدم الى المؤتمر الثالث للعلاقات العربية التركية، الاردن ،نيسان 1985، جامعة الموصل، ارشيف مركز الدراسات التركية، البحوث التاريخية، ملفة/ 37، ص4.

186- فائز الغصين, مذكراتي عن الثورة العربية، مطبعة الترقي، دمشق 1956، ص292.

187- امين سعيد: ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم، مطبعة دار احياء الكتب العربية، القاهرة 1933، ص297.

188- عبد الكريم رافق, المصدر السابق, ص6.

189- د . ك و : ملفات البلاط الملكي، التصنيف 311/4840، مذكرة اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني الى عصبة الامم في جنيف في 10 / ايلول 1926، الثورة السورية والوحدة الجغرافية والاحتلال الفرنسي لسوريا، وثيقة 1، ص13.

190- عوني عبد الرحمن السبعاوي: تركيا وقضايا المشرق العربي 1945-1967، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل، 1991، ص9.

191- عبد الكريم رافق, المصدر السابق, ص7.

192- امل دوغرامه جي, نظرة عامة للعلاقات التركية العربية"، بحث مقدم للمؤتمر الثالث للعلاقات العربية التركية، الاردن، نيسان 1985، جامعة

الموصل، ارشيف مركز الدراسات التركية، البحوث التاريخية، ملفة / 35، ص1.

193- عوني عبد الرحمن السبعاوي, المصدر السابق, ص13.

194- احمد عبد الباقي, الدور السياسي للقوميات في تركيا "دراسة حالة"، رسالة ماجستير، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، 1989, ص60.

195- المصدر نفسه, ص62.

196- خليل علي مراد, القضية الكردية في تركيا 1919-1925"، ارشيف مركز الدراسات التركية، جامعة الموصل، ندوة الاكراد، خزانة (5)، بحث (2)، ص25.

197- علي سلطان, تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، دمشق 1991, ص402.

198- عبد الكريم رافق, المصدر السابق، ص38.

199- احمد عبد الباقي, المصدر السابق, ص66.

200- عبد الكريم رافق, المصدر السابق، ص 38.

201- احمد عبد الباقي, المصدر السابق, ص68.

202- مسعود ظاهر,العلاقات اللبنانية – التركية في عهد الانتداب الفرنسي 1920-1943"، جامعة الموصل، ارشيف مركز الدراسات التركية، البحوث التاريخية، ملفة/ 32, ص32.

السياستان الأمريكية والألمانية تجاه الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى.

المقدمة:

بدأت علامات الضعف تظهر في البنية الداخلية للدولة العثمانية منذ منتصف القرن السادس عشر, وقد انعكس ذلك بشكل خاص في تدهور النظام الزراعي واتساع الانتفاضات الفلاحية, واخذ نظام الإقطاع العسكري السائد في الدولة بالتردي ولم يعد ملائما لظروف العالم آنذاك.

إلى جانب ذلك كله, بان التدهور الكبير بأوضاع قوات الانكشارية ومن ثم تحولها إلى مصدر للاضطرابات والتدخل في شؤون الحكم. كما إن أغلبية كبار الإقطاعيين أصبحوا يتملصون من التزاماتهم تجاه الدولة, لاسيما العسكرية منها, واخذ قسم منهم بتشكيل قوات عسكرية خاصة به للاعتماد عليها في الخروج على سلطة الحكومة المركزية, كل ذلك كان من جملة العوامل التي أدت إلى تعميق الاضطرابات التي كانت تعاني الدولة العثمانية منها.ونتيجة لافتقار الدولة لعمليات إصلاحية حقيقية, أخذ ارتباك أوضاعها الداخلية إلى إضعاف سطوتها العسكرية, وجاء هذا في الوقت الذي أصبح فيه أعداء الدولة العثمانية من الأوربيين, منهمكين في تطوير ثقافاتهم وسياساتهم واقتصادياتهم وجيوشهم.

ومع النجاحات التي حققتها الدول الأوربية في تطورها السريع ومنذ القرن السابع عشر, أخذت الأقاليم الأوربية الرازحة تحت السيطرة العثمانية بالتطور أيضا, وبدا الشعور القومي يتبلور ويتعمق لدى شعوبها, وكل ذلك كان في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تعيش في ظل أنظمة اقتصادية واجتماعية وثقافية متأخرة في تطورها قياسا بما حققته هذه الشعوب من تطور.

ومع مطلع القرن التاسع عشر أخذت شعوب البلقان تسعى للتحرر من السيطرة العثمانية, فقامت بعدة ثورات, استغلتها بعض الدول الأوربية لتحقيق

مطامعها, فسبب ذلك الكثير من الأزمات والصعوبات للدولة العثمانية مما أسهم في تعميق ضعفها. ونتيجة لاستمرار تدهور أوضاع الدولة العثمانية الداخلية, وضعف قوتها العسكرية, أخذت تبعيتها لأوربا تزداد حتى انتهى بها الأمر إلى إن تكون أشبه بدمية بيد الدول الأوربية الكبرى, والتي اشتد الصراع فيما بينها على النفوذ فيها والاستحواذ على هذه المنطقة أو تلك من أملاكها.

إن إطماع وطموحات الدول الكبرى في أراضي الدولة العثمانية كانت متضاربة ومتناقضة إلى حد بعيد, فظهرت مشاريع وتعبيرات متعددة كمشاريع تقسم أملاك الرجل المريض و المشروع اليوناني, وتعبيرات المحافظة على الوضع القائم والحرص على كمال الدولة العثمانية. وقد جاء ذلك من انعدم الثقة بين الدول الكبرى وخشية كل واحدة من إن تنفرد الأخرى بحصة اكبر من غيرها من أملاك الدولة العثمانية, وان هذا التناقض العميق في مواقف ومصالح الدول الكبرى فيما بينها كان في كثير من الأحيان يصب في صالح الدولة العثمانية إذ أعطاها فرصا جديدة للاستمرار والبقاء لمدة أطول.

وفي كل هذه الاضطرابات والتقلبات السياسية التي كانت تمر بها الدولة العثمانية طرقت أبوابها كلا من الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا مما افرز علاقات سياسية واقتصادية جيدة إلى حد ما بين كلا الطرفين وهنا سنحاول إن نبين أهم ما جرى بينهما.

أولا- سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الدولة العثمانية:

تم اكتشاف أمريكا في عام 1492م وسرعان ما اتجه إليها المغامرون والمهاجرون والمنفيون ثم سرعان ما الحقوا بالزنوج الأفارقة كعبيد[1]. و ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية كدولة مستقلة بعد تخلصها من السيطرة الاستعمارية البريطانية عن طريق الثورة الأمريكية (1776-1783م) والتي قام بها المستوطنين

الأمريكان في الولايات المتحدة الأمريكية الثلاثة عشر والتي كانت تابعة للتاج البريطاني والتي عملت على تحقيق استقرار داخلي وتطور اقتصادي[2].

لقد واجه الاقتصاد الأمريكي منذ البداية صعوبات كبيرة بسبب منافسة الدول الاوربية والتي كانت تتبع (النظام المركنتالي) في اقتصادياتها, وهو نظام مخالف لنظام حرية التجارة الأمريكي مما اجبر التجار الأمريكان على الحصول على الامتيازات التجارية من بريطانيا فادى ذلك إلى احتكاكهم بعدة شعوب ودول وثقافات فأدى إلى وضعهم سياسة خاصة بهم ومختلفة عن السياسات الاوربية لإقامة علاقات سياسية واقتصادية مع هذه الدول, وأعقبت ذلك طفرة في تطور الإنتاج اثر انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية (1861–1865) والتي أدت إلى تحرير العبيد وهكذا لم يحل عام 1894م إلا وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تحتل المرتبة الأولى في العالم من حيث الإنتاج الصناعي.[3]

1– العلاقات السياسية بين الدولتين:

اهتمت الولايات المتحدة الأمريكية ومنذ ثمانينيات القرن الثامن عشر بتوجيه أنظارها نحو الخارج وكان من الطبيعي إلا تتعدى أنظارها حدود الدول المجاورة لكنها سرعان ما اتجه نظرها إلى الدولة العثمانية, فاهتمت بإقامة علاقات سياسية معها, الأمر الذي جاء متأخرا إذ ما قورن بعلاقات العثمانيين مع الأوربيين[4]. ويعود وسبب ذلك إلى إن الولايات المتحدة الأمريكية لم تفكر في بادئ الأمر بالتقرب من الدولة العثمانية وإقامة علاقات مهمة لعدم توفر مصالح أمريكية مهمة فيها ولبعدها عن أسواق الدولة العثمانية وعدم تطور وسائل النقل لدرجة تقلل من تأثير هذا البعد, وقد سعى الأميركيون بعد حرب الاستقلال الأميركية (1775–1783) لتوسيع تجارتهم الخارجية وذلك من خلال فرض اقل الرسوم الكمركية عن طريق هيئاتهم الدبلوماسية الناشئة لعقد اتفاقيات دولية ضماناً لمصالحهم.[5]

ومن الملاحظ أن أول الصعوبات التي واجهت الولايات المتحدة الأميركية بعد الاستقلال هي التجارة, إذ قبل الثورة الأميركية كانت معظم تجارتها بصورة طبيعية مع الدولة الأم (بريطانيا), على وفق سياسة الاحتكار التي كانت تتبعها بريطانيا على تجارة مستعمراتها, ولما حصلت هذه الولايات على استقلالها عن بريطانيا أغلقت تجارتها معها, مما دفعها للبحث عن منافذ تجارية أخرى خارج حدودها, لهذا دعت الإدارات الأميركية المتعاقبة إلى حرية الملاحة في البحار مثلما اتجهوا لعقد اتفاقات تجارية مع عدد من البلدان البحرية, مثل حوض البلطيق والشرق الأوسط والبحر المتوسط لتعويض فرصها التجارية الضائعة مع بريطانيا وفرنسا وأسبانيا.[6]

وترجع نقطة البداية بالعلاقات الأمريكية–العثمانية إلى عام 1784م عندما جعل ضغط التجار ومالكي السفن التجارية الامريكية, الكونغرس الأمريكي إلى دفعه لانتداب لجنة سميت بـ(لجنة مندوبي المعاهدات) وأوكلت إليها مهمة عقد الاتفاقيات بهدف توسيع التجارة الأمريكية, وأدرج اسم الدولة العثمانية ضمن قائمة الدول التي يمكن التعامل معها[7]. ويعود تأخر تطور المصالح الأميركية في الدولة العثمانية إلى حداثة التاريخ الأميركي, بظهور الولايات المتحدة الأمريكية كدولة مستقلة عن بريطانيا مع نهاية القرن الثامن عشر, والبعد الجغرافي بين البلدين وتأخر تطور المواصلات آنذاك بدرجة تسمح بالتقليل من تأثير هذا البعد, فضلاً عن الصعوبات التي واجهت التجار الأميركيين في البحر المتوسط من قبل قوى شمال أفريقيا, والسبب الأهم هو منافسة التجار الأوربيين لاسيما التجار الفرنسيين والبريطانيين على أسواق الدولة العثمانية وعدم سماحهم بظهور منافس جديد يهدد تجارتهم معها, وقد حاولت الحكومة الأمريكية عقد معاهدة تجارية مع الحكومة العثمانية وأوفدت لذلك مبعوث فوق العادة إلى الباب العالي في شهر شباط عام 1799م, إلا إن المعاهدة لم يتم الاتفاق عليها[8].

ومن الجدير بالذكر إن الولايات المتحدة الأمريكية كانت ترغب بعقد معاهدة تجارية مع الدولة العثمانية إضافة إلى محاولة الحصول على تمثيل قنصلي لهم فيها, وكل ذلك لضمان رعاية مصالحها التجارية هناك, فقامت في شهر نيسان عام 1802م بتعيين قنصلا لها في أزمير لكنه لم ينل اعتراف الحكومة العثمانية[9]. وفي عام 1805 وصل عدد السفن الأميركية التي وصلت لميناء سميرنة إلى ست سفن تجارية ارتفعت إلى أربع وعشرين سفينة تجارية عام 1809, إذ بدأ تجار فيلادلفيا وبالتيمور الاهتمام بتجارة الدولة العثمانية, لاسيما تجارة الأفيون[10].

وأدت الظروف الدولية الناشئة عن الثورة الفرنسية في عام 1789م وما أعقبها من الحروب النابوليونية 1798-1815[11], وما رافقها من إحداث الحرب الأمريكية_البريطانية 1812-1814, إلى حدوث نكسات في عرقلة نجاح وتطور وازدهار التجارة الأميركية مع الدولة العثمانية خلال هذه الحقبة, غير انه وبعد عودة السلام مباشرة استأنفت الولايات المتحدة الأميركية علاقاتها التجارية مع الدولة العثمانية.[12]

في هذه الأثناء نُقل الميناء الرئيسي لإدارة تجارة البحر المتوسط من نيويورك إلى بوسطن, ونجح البيت التجاري البوسطني James & Thomas Perkins House في إدارة التجارة مع الدولة العثمانية, وانضمت في عام 1816 إلى شركة اوفلي شركة أخرى هي Perkins Brothers Of Boston , فانعكس نمو التجارة الأميركية مع سميرنة باحتلالها المرتبة الرابعة عام 1820, وفي أحيان كثيرة المرتبة الثالثة بين الدول التي لها علاقة وطيدة مع سميرنة, وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا والنمسا[13].

ولان من أهم اولويات السياسة الأمريكية هي مصالحها التجارية فقد أدى ذلك وإبان الثورة اليونانية ضد العثمانيين إلى محاولة الأمريكان توظيف الحدث لتحقيق مصالحهم في محاولة كسب ثقة العثمانيين وولائهم لهم فتم إعلان مبدأ

مونرو في عام 1821, والقاضي بعدم تدخل الأمريكان مطلقا بالحروب والشؤون الاوربية ومعنى ذلك إفهام العثمانيين بعدم مساندة الولايات المتحدة الأمريكية للثورة اليونانية وعدم تقديم أي إسناد لها[14], وتم اتخاذ هذا الموقف على أساس إن مساندة الثورة اليونانية سيعرض المصالح الامريكية في الدولة العثمانية للخطر.

وانسجاماً مع هذه السياسة التي اتبعتها الحكومة الأميركية رفض الرئيس جيمس مونرو الطلب المرفوع من أحد الثوار اليونان, عن طريق السفير الأميركي في لندن ريتشارد رش Richard Rush في شباط عام 1823, والذي طالب فيه باعتراف الولايات المتحدة الأميركية بشرعية الثورة اليونانية ومد يد العون لها, إذ جاء الرد من قبل الرئيس الأميركي في 18 آب من العام نفسه ((مع إن الرئيس والشعب الأميركي يتعاطفان مع قضية الحرية التي يسعى لها اليونانيون, إلا إن حكومة بلاده بحكم التزامها بمبدأ عدم التدخل, فانه ليس بالإمكان التخلي عن موقفها المحايد من القضية اليونانية))[15].

ولقاء موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الثورة اليونانية حاولت الحكومة الأمريكية إتباع سياسة أكثر فاعلية تجاه الدولة العثمانية لمحاولة الحصول على مكاسب جديدة من الحكومة العثمانية, فنجحت بإقامة علاقات دبلوماسية معها في عام 1824م[16], كما وعملت الحكومة الأميركية على إتباع سياسة أكثر ايجابية تجاه الدولة العثمانية من اجل التمهيد لعقد المعاهدة عن طريق إقرار تعيين احد التجار الأميركيين وكيل لقنصل الولايات المتحدة الأميركية في سميرنة, فقام هذا بأداء دوراً كبيراً في تسهيل نشاط التجار الأميركيين في الدولة العثمانية أعقبه بمحاولاته في سنوات 1825 و1827 و1829 لعقد اتفاقية تجارية بين بلاده والدولة العثمانية ألا انه كانت تواجهها عقبات متعددة إلى إن تم توقيع المعاهدة في 7 أيار عام 1830م[17]. وقد أرادت الولايات المتحدة الأمريكية من عقد المعاهدة إن تمنح فيها مبدأ الدولة الأكثر حظوة كما أرادت منها إن تحدد هيكل علاقتها مع الدولة العثمانية[18].

ولقد عدت معاهدة أيار 1830م ذات أهمية كبيرة لأنها أول معاهدة رسمية بين الولايات المتحدة الأمريكية والدولة العثمانية وقد وضعت أساس العلاقات بين البلدين بحيث انه لم تكن هناك فترة محددة لها ولم يكن بأمكان أي من المتعاقدين إنهائها من دون موافقة الطرف الأخر, يضاف لذلك إن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تفسر المعاهدة حسب رغباتها ومصالحها الاقتصادية[19].

وتم افتتاح أول مفوضية أمريكية في اسطنبول 2 آذار 1831م ومثلها فيه وزير مفوض[20], وواجه في سنته الأولى هناك مشكلة التوسع العسكري للقوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا بن محمد علي باشا, وإزاء ذلك قدمت الولايات المتحدة الأمريكية الدعم للدولة العثمانية عن طريق قيام القوات البحرية الأمريكية بمظاهرة بحرية في البحر المتوسط, وعلى مقربة من السواحل العثمانية والمصرية لجعل شخصيتها الدولية معروفة لدى العثمانيين والمصريين[21].

واثر ذلك استعان العثمانيين بالمهندسين الأمريكيين لبناء الأسطول البحري العثماني والإشراف على الترسانات السلطانية في خليج القرن الذهبي, وقد جاء هذا القرار العثماني لانعدام الثقة العثمانية بالقوى الاوربية من جهة, ومن جهة أخرى فأن الولايات المتحدة الأمريكية لم تظهر أي دلائل على إن لديها طموحات سياسية في البحر المتوسط, يضاف لذلك ما كان يتمتع به الأمريكان من شهرة عالمية بنوعية وقوة سفنهم[22].

لذلك كله اتسع التمثيل الدبلوماسي الأمريكي في الدولة العثمانية, إذ تم افتتاح العديد من القنصليات الأمريكية لرعاية مصالحها في المدن العثمانية[23]. ونتيجة لتطور العلاقات السياسية بين البلدين فقد عملت الحكومتان على توقيع اتفاقية خاصة في 11 أب 1874م لاكتساب الجنسية لتسوية المشاكل بينهما فيما يخص المواطنين والرعايا الأمريكان[24]. وإزاء ذلك زاد التمثيل الدبلوماسي الأمريكي في الدولة العثمانية حتى وصل في عام 1906م إلى درجة سفارة[25].

وشهدت الدولة العثمانية الكثير من التطورات الداخلية السياسية, ففي تموز 1908م قامت جمعية الاتحاد والترقي بانقلاب سياسي أجبرت فيه السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1876-1909م) على إعادة العمل بدستور 1876م ثم سرعان ما عزلته ونصبت محمد الخامس محله[26].

وكانت الحكومة الأمريكية تراقب تطور الإحداث الداخلية في الدولة العثمانية ولما تأكدت من سيطرة الاتحاديين على مقاليد الحكم فيها أعلنت تأييدها للنظام الجديد[27], وأملت إن يؤدي هذا التغيير إلى فتح الباب إمامها لترسيخ سياستها وتحقيق مصالحها وطموحاتها في الدولة العثمانية.وأرسلت الحكومة الأمريكية بمناسبة افتتاح البرلمان العثماني وإقرار الدستور برقية تهنئة تم فيها نقل التبريكات والتحيات من قبل كلا من الحكومة والكونغرس مع التمنيات بالنجاح في ظل الوضع الدستوري الجديد ومؤكدين إن تشكيل حكومة دستورية في الدولة العثمانية هو حدث مهم للحكومة الأمريكية لأنها ستجنب الخلافات التي كانت لها مع الحكومة القديمة إضافة إلى أنها ستساعد في زيادة التبادل التجاري بين البلدين[28].

من الجدير بالذكر إن الولايات المتحدة الأمريكية كان فيها تفاؤل شعبي وتأييد واضح للانقلاب العثماني[29], وقد ارجع بعض المفكرين الأمريكيين إلى إن ما حصل في الدولة العثمانية يعود إلى تأثير المدارس الأمريكية المنتشرة فيها, والتي عملت على إنماء الأفكار التقدمية عند العثمانيين[30].

وسعت الحكومة الأمريكية إلى استغلال كل فرصة للتقرب من الحكومة العثمانية وتقوية نفوذها فيها, ومؤكدة للعثمانيين إن الولايات المتحدة الأمريكية تتميز عن الدول الاوربية بأنها ليس لها إطماع في الأراضي العثمانية وهي حليف ومساعد قوي لها, ولتأكيد ذلك قامت الحكومة الأمريكية في عام 1909م بتوجيه الدعوة لأربعة عشر ضابطا عثمانيا لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية لغرض الإطلاع على النهضة الصناعية والتقدم العسكري فيها[31], كما أرسلت الحكومة

الأمريكية وفدا خاصا إلى اسطنبول للمشاركة في احتفالية جلوس السلطان العثماني محمد الخامس (1909-1918م) على العرش, وأرسل الرئيس الأمريكي تيودور روزفلت (1901-1909م) مع هذا الوفد هدية عظيمة حينها وهي سيارة حديثة[32].

وقد انتشرت المؤسسات والجمعيات والبعثات التبشيرية الأمريكية في الدولة العثمانية وعملت بحذر ودقة في المجالات التي تتعلق بالتغلغل السياسي, لكن هذا لا يعني إن السلطات الأمريكية لم تحاول استغلال وتوظيف وجود هذه المؤسسات بما يتناسب مع مصالحها وتسهيل تغلغلها في الدولة العثمانية.

وأولت الحكومة الأمريكية في المرحلة التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1918م) المزيد من الاهتمام بالدولة العثمانية وشؤونها, إذ عملت وزارة الخارجية الأمريكية إلى إنشاء العديد من الدوائر المهتمة بشؤون الدولة العثمانية ولكن ذلك لم يدفعها إلى التدخل لجانب العثمانيين في كلا من الحرب العثمانية - الإيطالية (1911-1912م), والحرب البلقانية (1912-1913م) على الرغم من كثرة المطالبات العثمانية بالتدخل الأمريكي والتزمت بسياسة الحياد إلى حد ما[33]. وهكذا كان شكل السياسة الأمريكية تجاه الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين, ومع إعلان قيام الحرب العالمية الأولى واشتراك البلدين فيها وكل بلد بجانب إلا انه لابد من الإشارة إلى إن الولايات المتحدة الامريكية لم تعلن الحرب ضد الدولة العثمانية والى إن انتهت ولم تقطع علاقاتها الدبلوماسية معها إلا إن الدولة العثمانية هي التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة الامريكية وذلك تحت ضغط الألمان إلا إن الأمر لم يتعد الحدود الشكلية إذ لم يتم المساس بأي من المصالح والمؤسسات الأمريكية المنتشرة في الأراضي العثمانية.

2- العلاقات الاقتصادية بين الدولتين:

سعت الحكومة الأمريكية بعد استقرارها النسبي بعد حرب الاستقلال (1776-1783) وتخلصها من التبعية البريطانية إلى مد تجارتها إلى دول العالم, ومن هذه الدول الدولة العثمانية والتي تعود أولى العلاقات الاقتصادية الأمريكية معها إلى عام 1800م[34]. وقد شهدت السنوات القليلة اللاحقة نمو وتيرة العلاقة بين البلدين حتى وصل الأمر إلى وصول قافلة تجارية أمريكية في عام 1805م لميناء أزمير العثماني[35].

ولان التجار الأمريكان كانوا يعقدون صفقاتهم التجارية مع الحكومة أو التجار العثمانيين في ظل الحماية البريطانية, فقد أرسلت الحكومة الأمريكية وفدا سياسيا للتفاوض مع الحكومة العثمانية للبحث عن السبل الكفيلة لفتح قنصليات وتعيين وكلاء تجاريين, ونجحوا بتأسيس أول بيت تجاري امريكي في الدولة العثمانية وذلك بعام 1811م في أزمير والذي حمل اسم (البيت التجاري الأمريكي)[36]. وقد شمل عمل البيت التجاري الأمريكي نقل العديد من البضائع العثمانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية كالأفيون والصوف والصمغ وزيت الزيتون والفواكة والألبسة والأخشاب والتبغ وشمع العسل[37].

سببت الظروف الدولية التي نشأت نتيجة للحروب النابوليونية والحرب الأمريكية البريطانية (1812-1814م) في تأخير تطور وتيرة العلاقات التجارية بين البلدين, وبعد انتهائها استأنفت الولايات المتحدة الأمريكية علاقاتها التجارية مع الدولة العثمانية, وما إن تم توقيع معاهدة عام 1830م بين الدولتين حتى زاد حجم التبادل التجاري بينهما إلى عدة إضعاف مما كان[38].

ولأجل تنظيم العلاقات بين الدولتين تم عقد معاهدة مكملة للأولى عرفت باسم معاهدة التجارة والملاحة في 25 شباط 1862م[39]. وهنا لابد إن نوضح إلى إن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تعتمد أساسا على الاتفاقات المعقودة بين الدولة العثمانية والدول الاوربية لتقرير علاقاتها التجارية[40].

وكانت تجارة الأفيون في بداية الأمر العامل الـرئيس للاهتمـام الأمريكـي بالمنطقة, إذ قام التجار الأمريكان بنقل كميات كبيرة منه إلى الصين بعد اسـتيراده من الدولة العثمانية, وفي منتصف القرن التاسع عشر بدئوا بتصديره إلى الولايـات المتحدة الأمريكية بكميات كبيرة لدخوله في صناعة العقاقير الطبية الأمريكية وليعاد بعد ذلك تصديرها إلى الدولة العثمانية, ونؤكد كذلك على إن المهاجرين العثمـانيين والذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية كان لهم دور مهم في تطور العلاقة بين البلدين ولاسيما في الجانب الاقتصادي وذلك عن طريق الأموال التـي كـانوا يرسلوها إلى عوائلهم في الأراضي العثمانية, كما كان للأفكار الاقتصـادية التـي نقلوها اثر عميق في زيادة النشاطات التجارية بين البلدين[41].

وما إن وصلنا إلى الانقلاب العثماني عام 1908م حتى نلاحظ الذروة التـي وصلت لها العلاقات الاقتصادية بين البلدين إذ زاد التوجه الاستثماري الأمريكي في الدولة العثمانية نتيجة توجه وتبني الحكومة العثمانية الجديـدة لمشـاريع تنمويـة لإصلاح الوضع الداخلي فيها. ولأجل توسيع وترويج العلاقة الاقتصـادية سـعت إدارة الولايات المتحدة الأمريكية إلى ربط دبلوماسيها العاملين في الدولة العثمانية بمشاريع اقتصادية فعالة, حاولت الحكومة الأميركية الاستفادة من تأييدها للاتحاديين لتحقيق طموحاتهم الواسعة في الدولة العثمانية, عن طريق التقـرب مـن السـلطة العثمانية الجديدة بمختلف الوسائل, فقد أكدوا لها بان لـيس لهـم أي أطمـاع فـي الأراضي العثمانية وإنها ستجد في الولايات المتحدة الأميركية حليفاً قوياً لها بكـل معنى الكلمة, ومن اجل تأكيد النوايا الحسنة للحكومة العثمانيـة الجديـدة وجهـت الحكومة الأميركية الدعوة إلى أربعة عشر ضابطاً عثمانياً, عن طريق سفارتها في استانبول, لزيارة الأراضي الأميركية لغرض الإطلاع على النهضة الصناعية فـي الولايات المتحدة الأميركية[42].

كل هذه الإجراءات التي قامت بها الحكومة الأميركية انعكست إيجابياً علـى الموقف الودي من الحكومة العثمانية الجديدة على المواطنين الأميركيين التي كانت

لهم مصالح خاصة في الدولة العثمانية, من خلال ما منحتهم من تسهيلات لممارسة نشاطاتهم المختلفة في الدولة العثمانية, فضلاً عن انعكاسها الايجابي على العلاقات بين البلدين, ويبرز اثر ذلك في الارتفاع الكبير لحجم التبادل التجاري في السنوات القليلة التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الأولى, وفي هذه الفترة كانت معظم التجارة الأمريكية تنقل على متن السفن التجارية الأمريكية[43].

وقبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى تطورت العلاقات الاقتصادية الأمريكية مع الدولة العثمانية بحيث بلغت قيمة الصادرات الأمريكية إليها في عام 1910-1911م أكثر من نصف مليون ليرة عثمانية ثم سرعان ما تضاعف في السنة التالية. وتغلغلت بشكل كبير المؤسسات الأمريكية في الحياة الاقتصادية العثمانية في استثمار النفط والتبغ وعرق السوس, إضافة إلى بروز شركات الملاحة الأمريكية وقيامها بتنظيم النقل بين السواحل العثمانية وبقية البلدان وساهم كل ذلك إلى افتتاح عدة مصارف أمريكية في اسطنبول.[44] ويقدر مجموع أقيام مؤسساتها الاقتصادية مع اندلاع الحرب العالمية الأولى 1914م بحوالي عشرة ملايين دولار, لكن مع كل ذلك لم تبلغ العلاقات الاقتصادية بين البلدين مرحلة تصدير رؤوس الأموال الأمريكية إلى أي مكان بالدولة العثمانية, ويعطينا هذا تأكيدا بان الرأسمال الأمريكي كان بشكل عام اقل اهتماما من الرأسمال الأوربي بالدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى[45].

3- مشروع جيستر للسكك الحديدية:

اشتد الصراع الاستعماري بين بريطانيا وألمانيا وفرنسا مع بداية القرن العشرين من اجل الحصول على امتيازات البحث عن المعادن ومد شبكات خطوط السكك الحديدية في أراضي الدولة العثمانية, واشتركت في هذا الصراع الولايات المتحدة الأمريكية من خلال سعيها في الحصول على امتياز مشروع مد السكك الحديدية في الدولة العثمانية[46].

فسعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تدعيم نفوذها في الدولة العثمانية من خلال التوسع في مشاريع السكك الحديدية والتي ستوظفها في دعم مشاريعها الاقتصادية والتجارية في المنطقة, وقد واجه هذا المشروع سياسة ألمانية مضادة صعبت على الساسة الأمريكان الحصول على موافقة عثمانية للمباشرة به, ومن الطبيعي إن تعارض ألمانيا أو أي من القوى الاوربية الأخرى المشروع الأمريكي فلعقود طويلة كان الأوربيين يعدون الدولة العثمانية رجل أوربا المريض ويتنافسون فيما بينهم لتحسين مواقعهم داخل الدولة العثمانية لذلك لم يرحبوا بظهور منافس جديد لهم فيها وهي الولايات المتحدة الأمريكية[47].

ترجع فكرة المشروع إلى الأدميرال (كولبي جيستر) إذ وصل إلى اسطنبول عام 1900م وهيئت له إمكانياته الدبلوماسية ونفوذه العسكري, إذ كان ضابطا في البحرية الأمريكية, إن يكون معتمدا لدى السلطان عبد الحميد الثاني لإبداء الرأي في بناء أسطول بحري عثماني,[48] ومن ثم فسح المجال إمامه للحصول على امتيازات اقتصادية لبلاده في الدولة العثمانية, إذ انه كان مقتنعا بالفرص الكبيرة والمتاحة للمستثمرين الأمريكان في الدولة العثمانية وسرعان ما هيئ في عام 1906م مخطط شامل لإنشاء سكة حديد تمتد من حلب إلى ساحل البحر المتوسط قرب الاسكندرونة, وفي خلال عامين زار جيستر اسطنبول حاملا معه مخطط إنشاء مشروع سكة الحديد وحظي بمقابلة السلطان عبد الحميد الثاني وحصل منه على موافقة مبدئية لبناء شبكة من الخطوط الحديدية في الأناضول[49].

واثر الانقلاب العثماني في تموز 1908م ووصول الاتحاديين إلى الحكم فقد أكدوا أنهم وضعوا برنامج لقيام تنمية اقتصادية شاملة في البلاد, ولما كانوا لا يميلون إلى الدول الاوربية لخشيتهم من ازدياد النفوذ الأوربي في الدولة العثمانية فقد كانوا يميلون إلى الأمريكان لان الولايات المتحدة الأمريكية لم تظهر أي إطماع في الدولة العثمانية[50]. وقد وظفت الحكومة الأمريكية ذلك إلى إن رغب الكثير من العثمانيين في استخدام الرأسمال الأمريكي محل الرأسمال الأوربي, مما انعكس بالتالي على الترحيب بجيستر ومشروعه[51].

اثر ذلك قدم جيستر مشروعه والذي كان فيه من المقرر إن يمد 4800كم من السكك الحديدية مع حق التنقيب عن المعادن لمسافة عشرون كيلومتر على جـانبي السكة بالإضافة إلى استغلال الموارد الطبيعية مع إعفاء من الضرائب[52], وأسـس شركة لتنفيذ المشروع وترئسها واثر حصوله على دعم الرئيس الأمريكي روزفلت فاوض الحكومة العثمانية وبفضل ذلك إضافة إلى فضـل علاقاتـه بالشخصـيات العثمانية فقد حصل من الحكومة العثمانية على موافقة مبدئية على المشروع[53].

وفي 19 آذار 1909م حصل جيستر على اتفاقية تمهيدية قضت ببناء شـبكة من خطوط السكك الحديدية والتنقيب عن المعادن على جانبي الخط لمسافة عشرون كم ومدة الامتياز تسعة وتسعون عاما[54]. وكان كل شيء يسير مثلما أراد جيسـتر إلا إن الحكومة العثمانية غيرت رأيها اثر ممانعة رئيس وزرائها في التوقيع علـى المشروع ولما أراد جيستر إن يستعين بالإدارة الأمريكية للتدخل بإقناع العثمـانيين بالموافقة على المشروع إلا إن الإدارة الأمريكية الجديدة بزعامـة الـرئيس تافـت انتهجت سياسة مغايرة للادرة التي سبقتها بحيث لم تعمل عل تقديم السياسة الداعمة للمستثمرين الأمريكان[55].

وجوبه المشروع الأمريكي منذ ولادته بمقاومة عنيفة من جانب كل من ألمانيا وبريطانيا وفرنسا صاحبتا المصالح الواسعة والمهمة في الدولـة العثمانيـة[56], إذ كانت السفارة الألمانية في اسطنبول توظف نفوذها لدى الحكومة العثمانية لإفشـال المشروع وحجتها انه يتضارب مع مشروع امتياز سكة حديد برلين- بغداد[57], كما إن الحكومة البريطانية أصدرت بيانا أكدت فيه على معارضتها للمشروع, وفعلـت الحكومة الفرنسية ذات الأمر[58].

وهكذا فشلت الولايات المتحدة الأمريكية في توظيـف رؤوس أموالهـا فـي مشاريع بناء السكك الحديدية الأمر الذي يعكس فشل الأسـاليب التـي اسـتخدمتها الحكومة الأمريكية في دعمها لمشاريعها في الدولة العثمانية[60].

وهكذا نلاحظ التأرجح التي مرت به السياسة الأمريكية تجاه الدولة العثمانية ومع التطور الكبير والتقدم الذي شهدته هذه العلاقات إلا أنها لم تكن كما أراده العثمانيين صلبا ومستقرا لوخز التطرفات الأوربية تجاههم.

ثانيا: السياسة الألمانية تجاه الدولة العثمانية:

ظهرت ألمانيا اثر قيام وحدتها, والذي استطاع إن يوفر الظروف المناسبة لقيامها المستشار اوتو فون بسمارك (1871-1890), ونجح بتحويلها إلى قوة اقتصادية كبيرة اثر التطور الصناعي الكبير والنمو السريع للاقتصاد الألماني.(61) فأخذت الحكومة الألمانية تبحث لها عن موطئ قدم في مجال السياسة الدولية والصراع على المستعمرات ولذلك أبدت اهتماما بالدولة العثمانية.(62) وقد تمثل النفوذ الألماني في الدولة العثمانية قبيل قيام الوحدة الألمانية بنفوذ المملكة البروسية والتي كانت تعد أقوى و اكبر الإمارات الألمانية, ولم يتمثل النفوذ البروسي في الدولة العثمانية إلا بارتكازه على النشاطين التبشيري والثقافي وبعض الأنشطة العسكرية.(63)

1- العلاقات السياسية بين البلدين:

اتجهت الحكومة الألمانية بأنظارها إلى الشرق سعيا وراء أسواق جديدة لمنتجاتها الصناعية وبحثا عن مواد أولية لمصانعها, وطمعا في نفوذ سياسي تحتل به ((مكانها تحت الشمس)) على قدم المساواة مع الدول الاستعمارية الأخرى, وقد أصبح الشرق والأراضي العثمانية بوجه خاص ومنذ الحملة الفرنسية على مصر في عام 1798 مسرحا للصراع الدولي إذ تتسابق الدول الأوربية الكبرى في الحصول على المكاسب والامتيازات من الدولة العثمانية اثر إصابتها بالضعف العسكري والسياسي مع نهاية القرن الثامن عشر.(64)

وكانت الخطوة الألمانية على طريق ((الزحف نحو الشرق)) هي ما قامت به بروسيا في عام 1835 بإرسالها بعثة عسكرية لتتولى مهام تنظيم الجيش العثماني

واستمرت بمزاولة عملها إلى منتصف عام 1839.[65] وأعقب ذلك موافقة الحكومة الألمانية على استقبال الضباط الشباب العثمانيين للدخول في الأكاديمية العسكرية الألمانية, وهكذا تنامت العلاقات السياسية بين البلدين متناغمة مع الخدمات الألمانية العسكرية التي تقدمها للعثمانيين مما أدى إلى رفع التمثيل الدبلوماسي بينهما من مفوضية إلى سفارة وتم ذلك في مطلع عام 1876.[66]

وجاءت الجهود الألمانية في مؤتمر برلين عام 1878, للتوسط بين الدولة العثمانية والدول الأوربية, لتعطي دفعا كبيرا لترصين وتوطيد علاقاتها بالعثمانيين فقد أرادوا من موقفهم هذا إن تصبح بلادهم جسرا سياسيا لربط أوربا بالشرق.[67] وازدادت عرى التقارب الألماني العثماني ما إن انتهى المؤتمر لما قامت ألمانيا بتسليح البحرية العثمانية بمدافع (كروب), فضلا عن إرسالها ضباطا لتنظيم وتدريب رجال المدفعية العثمانية.[68]

وهكذا بدأت العلاقات الألمانية العثمانية تزداد رسوخا لاسيما في ثمانينات القرن التاسع عشر إذ زادت ألمانيا من تقاربها مع العثمانيين وقد يعود ذلك في محاولتها باستخدامهم كحليف وورقة ضغط ضد روسيا.[69] كما رحب العثمانيين كثيرا بالتقارب السياسي مع ألمانيا, وذلك لرغبتهم في استغلال التناقض فيما بين مصالح الدول الأوربية لتحقيق المصالح العثمانية, ولإدراكهم لقوة ألمانيا على الساحة الدولية يضاف لذلك كله إعجاب السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1876-1909)[70] بالتقدم العسكري الألماني والذي برز اثر انتصار ألمانيا على فرنسا في حرب السبعين 1870, فأراد تقوية الجيش العثماني عبر الاستفادة من التقدم الألماني في الجوانب العلمية والعسكرية والاقتصادية,[71] وأخيرا فان عبد الحميد الثاني كان مقتنعا بعدم وجود إطماع استعمارية للألمان بالأراضي العثمانية مقارنة مع الدول الأوربية الأخرى.[72]

وبناء على ما تقدم طلب السلطان عبد الحميد الثاني في نهاية عام 1880 من الإمبراطور الألماني وليم الأول (1871-1888)،[73] إرسال عدد من الضباط الألمان ليتولى تنظيم وتدريب الجيش العثماني، وقد استجاب الإمبراطور الألماني للطلب العثماني وقام بإرسال بعثة عسكرية لتتولى الأمر وقد وصلت العاصمة العثمانية في نهاية شهر نيسان 1882.[74] وقد اخذ بسمارك على عاتقه الإشراف على سير المباحثات الألمانية العثمانية لما تنطوي عليه من فوائد جمة لألمانيا.[75]

ثم جاءت زيارة الإمبراطور الألماني وليم الثاني (1888-1918) إلى العاصمة العثمانية في عام 1889 وهو العام التالي لاعتلائه عرش بلاده لتوضح وتأكد الأهمية الكبيرة التي تحظى بها الدولة العثمانية بتسلل قوائم المصالح الألمانية،[76] وما إن جاء عام 1898 حتى أعقب الإمبراطور الألماني بزيارة العاصمة العثمانية مجددا، وأسفرت زيارتيه عن إعطاء دفعة قوية لتمركز المصالح الألمانية في الدولة العثمانية.[77]

واثر الانقلاب الذي شهدته الدولة العثمانية في عام 1908 ازداد التعاون العسكري بين البلدين،[78] وما إن أحكمت عصبة الاتحاد والترقي سيطرتها على المناصب الحكومية العثمانية حتى عززت تعاونها العسكري مع الألمان، وقررت تحديث الجيش والإدارة العثمانية وفقا للأساليب والنظم العسكرية الألمانية، أعقبها تقدم الصدر الأعظم بطلب للحكومة الألمانية في 22 أيار 1913 لتزويده بمدربين عسكريين.[79]

وفي شهر تشرين الثاني من نفس العام تم التوقيع على عقد لبعثة عسكرية مؤلفة من 42 ضابطا وبرئاسة الجنرال (ليمان فون ساندرز) والذي تولى فيما بعد قيادة الجيش العثماني في فلسطين.[80] وقد كانت بعثة الجنرال ساندرز إحدى العوامل المهمة التي أسهمت في ترسيخ النفوذ الألماني في الدولة العثمانية بيد أنها لم تكن المتسببة باشتراك العثمانيين في الحرب العالمية الأولى وهي لم تتمتع بنفوذ

كبير إلا بعد الدخول الفعلي للقوات العثمانية في أتون الحرب العالمية الأولى ومـــع أنها قد منحت صلاحيات عسكرية وإدارية كبيرة إلا إن الجدير بالـــذكر إن اغلـــب الوظائف القيادية بقيت بيد العثمانيين.[81]

وقد كثر اهتمام ألمانيا في مستقبل الدولة العثمانية ووجدت بـــين المســـئولين الألمان وجهات نظر ثلاث حولها, بينت الأولى إن وجود دولة عثمانية قوية قـــادرة على الصمود في وجه الإطماع الأوربية هـــو مـــن أفضـــل الضـــمانات للتوســـع الاقتصادي الألماني في الأراضي العثمانية,[82] إما وجهة النظر الثانية فارتـــأت إن المصير النهائي للدولة العثمانية أنها ستغدو محمية ألمانية,[83] ووجهة النظر الثالثة والأخيرة فأكدت إن إنقاذ ألمانيا لن يتم إلا بتحرير البحار والمياه الدولية من الهيمنة والنفوذ البريطاني وتبعا لذلك فان الهيمنة الألمانية على الدولة العثمانية مسألة ثانوية ومرتكز على نجاح ألمانيا بتحقيق سيطرتها على البحار الدولية. ومع ذلك فقد تـــابع الإمبراطور الألماني مساندته للدولة العثمانية ويبرز هذا جليا في وقوفه إلى جانـــب السلطان العثماني في أزمة الأرمن التي قادت فيها بريطانيا الدول الأوربيـــة ضـــد الدولة العثمانية.[84] وهكذا سارت العلاقات السياسية الألمانيـــة_العثمانيـــة إلـــى إن توجت بعقد معاهدة التحالف في 2 آب 1914 والتي أدت إلى دخولهما بجانب واحد في الحرب العالمية الأولى.[85]

2- العلاقات الاقتصادية بين البلدين:

ابتدأ التعاون الاقتصادي بين البلدين حينما اتجهـــت الدولـــة العثمانيـــة إلـــى الاستعانة بالفنيين والخبراء والقدرات العلمية الألمانية وذلك اثر بروز قوة ألمانيـــا بعد وحدتها في 18 كانون الثاني 1871, فاستعانت بالمهندسين الألمان فـــي عـــام 1872 بإنشاء شبكة الخطوط الحديدية في البلقان,[86] واثر نجاحهم بانجاز عملهـــم بتفوق تواصل الاعتماد العثماني على الألمان بانجاز مختلف المسائل التي احتـــاجوا بها خبرات أجنبية مميزة.[87]

وما إن نجحت ألمانيا بإكمال مد خط حديد الشرق إلى مدينة اسطنبول 1888 حتى قام الإمبراطور الألماني بزيارة الدولة العثمانية بعدها بعام واحد ليتأكد من القابليات الاقتصادية العثمانية والجوانب الكفيلة باستغلالها اقتصاديا لتوظيفها في سبيل إعلاء المكانة الاقتصادية لبلاده, وبزيارته أيقن إن الدولة العثمانية فيها أراضي واسعة وصالحة للزراعة إلا أنها لم تستغل للان إضافة إلى إمكانية أراضيها وشعبها لإقامة مشاريع اقتصادية كبيرة مما يعود بفوائد اقتصادية جمة لألمانيا.[88] وأفرزت زيارة الإمبراطور الألماني للدولة العثمانية دعم كبير للعلاقات الاقتصادية بين البلدين فحصلت بموجبها العثمانيين على أول القروض المالية الألمانية, وذلك من اجل دفع ثمن الذخيرة الحربية التي اشترتها من ألمانيا لتدعيم قواتها العسكرية.[89]

وتوالى حصول الشركات الألمانية على عدة امتيازات في الدولة العثمانية كما كثر الخبراء والمصانع الألمانية فيها لدرجة إن عبارة (الصنع في ألمانيا) ظهرت حتى على الأدوات المطبخية في المنازل.[90] كما توالى حصول العثمانيين على قروض ألمانية عدة إلى درجة أنها بلغت مع مطلع الحرب العالمية الأولى إلى أكثر من (11) مليون ليرة ذهبية عثمانية, وتضاعفت كذلك المبادلات التجارية بين البلدين حتى وصلت إلى (39) مليون ليرة ذهبية عثمانية سنويا, وفي ذات الوقت كان عشر الأموال الألمانية المستثمرة في الخارج والبالغة (24) مليار فرنك كانت مستثمرة في الدولة العثمانية.[91] وقد ارتفعت قيمة الواردات العثمانية الواردة من ألمانيا في الأعوام 1892_1898 من 18,4 مليون إلى 33 مليون قرش عثماني, ويعود ذلك إلى انخفاض أسعار المنتجات والبضائع الألمانية مقارنة بأسعار وأصالة مثيلاتها الأوربية.[92]

وقد رحب العثمانيين بدخول الألمان في ميدان التنافس الأوربي وبخاصة بعد المساعدة القيمة التي قدمتها ألمانيا للدولة العثمانية في عام 1897 خلال حربها مع اليونان, فقد كان الانتصار العثماني نجاحا أكيدا للصناعة العسكرية الألمانية

وللمستشارين وللمدربين العسكريين وللسكك الحديدية التي بناها الألمان والتي كـان لها دورا مهما في نتائج الحرب.[93] وهكذا أصبحت ألمانيا تحتكر تجارة الأسـلحة والمعدات والتجهيزات العسكرية مع الدولة العثمانية.[94] ونجحت الشركات الألمانية بانجاز مشاريع كبيرة فبدا العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين وكأنه عصر التفوق الألماني في الدولة العثمانية.

3- مشروعي خطي حديد: برلين_بغداد والحجاز:

لقد جعلت ألمانيا من عمليات إحياء الطرق البرية قاعدة أساسية في سياسـتها التجارية والإستراتيجية كي تستغني بها عن الطرق البحرية والتي تمتعت بريطانيـا بها بتفوق كبير, إما السلطان العثماني فقد كان مقتنعا بـان ربـط أجـزاء دولتـه بالخطوط الحديدية سيقوي سيطرته وسلطاته وإشرافه عليها, لذا سار الإمبراطـور الألماني والسلطان العثماني في تشجيع هكذا مشاريع ورعايتها لأنهما وجـدا فيهـا وسيلة لتحقيق إغراضهما الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية.[95]

وما إن ابتدأ العمل بمشروع خط حديد برلين_بغداد حتى جوبـه بمعارضـة روسية كبيرة لأسباب مختلفة لكنه قوبل بتأييد واضح من قبل بريطانيا لأنها عـدت قيام ألمانيا بهذا المشروع سيجبرها على الدفاع عن الدولة العثمانية إذا ما تعرضت لهجوم روسي,[96] واستمر التأييد البريطاني إلى عام 1900 إذ تبدلت وجهة النظر البريطانية إزاء هذا المشروع وبدئوا يرون فيه تهديدا لمصالحهم لا يقل خطره عن الخطر الروسي المهدد للمصالح البريطانية في الدولة العثمانية ولاسيما اثر الموقف الألماني إزاء حرب البوير 1899-1901.[97]

وعلى كل حال فقد استطاعت ألمانيا إن تتعاون مع فرنسا للمواصلة بانجـاز مشروعها هذا, وكسبت شركة الأناضول الألمانية امتياز المشروع في 16 كـانون الثاني 1902,[98] وتلت ذلك إنشاء شركة سـكة حديـد بغـداد فـي 13 نيسـان 1903,[99] وكسبت ألمانيا مع امتياز المشروع التنقيب عن المعادن على طول خط السكة المقترح, وبعرض عشرين كيلومتر من كل جانب من جانبي السكة.[100]

واستمرت المعارضة البريطانية للمشروع ففي العام 1907 أعلنت حكومتها إن معارضتها لن تنتهي إن لم يترك الألمان إتمام الخط جنوب بغداد للشركات البريطانية,[101] واستدعى الأمر دخول البلدان بمفاوضات بمشاركة الدولة العثمانية ولم تسفر هذه المفاوضات عن شيء إلا مع بداية عام 1914 فاتفقوا على إن تكون نهاية الخط الحديدي إلى مدينة البصرة وان يكون لبريطانيا ممثلان في إدارة المشروع وان تعترف ألمانيا بحق بريطانيا في استغلال نفط جنوب فارس وولاية البصرة.[102] وقد اندلعت الحرب العالمية الأولى قبيل إن يكتمل مشروع خط حديد برلين- بغداد.

إما مشروع خط حديد الحجاز والذي تمتع برعاية كبيرة من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ودعا العالم الإسلامي إلى المساهمة في نفقاته فقد اشرف على انجازه مهندسين ألمان وتم افتتاحه في عام 1908.[103] ومن الجدير بالذكر إن هذا الخط كانت له أهمية كبرى بالنسبة للألمان في محاولة منهم لكسب تأييد الشعوب الإسلامية لهم في مجابهة و مقاومة السياسة البريطانية,[104] كما إن أهميته بالنسبة للسلطان العثماني فقائمة على اتصاله بالأماكن المقدسة من جهة ولتمتعه بأهمية إستراتيجية كبرى لربطه أجزاء الدولة العثمانية برباط محكم من المواصلات السريعة من جهة أخرى.[105] ولابد إن نبين إن مشروع خط حديد برلين_بغداد هو الأخر عمل على ربط أملاك السلطان العثماني الأسيوية بأملاكه الأوربية ومن ثم بأوربا وبالأخص ألمانيا والتي كان يهمها كثيرا إن يكون اتصالها بحلفائها سريعا وميسورا.[106]

الهوامش

1- h.e,egerton, the causes and character of the american revoluition , (london 1923),pp.43-85.
2- ibid,p.87.

3- كارلتون .ج. هيز, الثورة الصناعية ونتائجها السياسية والاجتماعية, ترجمة احمد عبد الباقي, بيروت 1931, ص ص39-45.

4- المصدر نفسه, ص ص48-53.

5- كمال مظهر احمد, أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط, بغداد 1978, ص31.

6- roger trask,the united states response to turkish nationalism and refrome 1914-1939, london 1970, pp.2-5.
7- ibid, p.7.

8- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم, بداية الامتيازات الأمريكية في الشرق الأوسط, مجلة الدارة, العدد الأول,السنة الثانية, تموز 1982, ص93.

9- harry n. Haward, bicentennial in amiracan_ turkish relation, the middle east journal , vol. 30, no.3, summer 1976, p.292.
10- ibid, p.293.
11- h. Hill, napoleon era,london 1949,pp.13-64.
12- p.k. beirn, tha war of 1812 new york 1949,pp.31-90.
13- henry smith, the question of greek independence london 1942, p.57.
14- Charels w. Eliote, american historical documents 1000-1904, new york 1963,pp.234-279.

15- توماس برايسون, العلاقات الدبلوماسية الأمريكية مع الشرق الأوسط, ترجمة مركز البحوث والمعلومات, المجلد الأول, بغداد, ص20.

16- harry luke, the old turkey and the new, lokdon 1955, p.51.
17- ibid,p.57.
18- Charels w. Eliote, op, cit,p.277.

19- nasem sousa, the capitulatery regime of turkey, baltimore 1933, p.128.

20- برايسون, المصدر السابق, ص29.

21- roger trask, op, cit, p.17.

22- لقمان عمر محمد, العلاقات التركية الأمريكيـة 1960-1974, رسـالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب-جامعة الموصل 2000, ص12.

23- فؤاد المرسي خاطر, النشاط الأمريكي في الوطن العربي في القرن التاسع عشر, مجلة آداب المستنصرية, العدد 2, كانون الثاني 1978, ص32.

24- Charels w. Eliote, op, cit,p.312.

25- harry n. Haward, op, cit, p.345.

26- روبير مانتران, تاريخ الدولة العثمانية, ترجمـة بشـير السـباعي, ج3, بيروت 1997, ص ص225-250.

27- برايسون, المصدر السابق, ص ص34- 46.

28- harry n. Haward, op, cit, p. 351.

29- h.u. wietbrecht, refrome in turkey, muslim world, vol. 7, no.3, july 1917, p.279.

30- ibid, p.287.

31- برايسون, المصدر السابق, ص75.

32- the new york times, 20, april 1910.

33- Charels w. Eliote, op, cit,p.329.

34- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم, المصدر السابق, ص92.

35- charles issawi, the econnomic history of turkey 1800-1914, london 1984, p.109.

36- ibid ,p.113.

37- ibid,p.118.

38- ibid.

39- john craft, economic development of the united states, new york 1952, p.64.

40- ibid, p.75.

41- tyler dennett, american in eastern asia, new york 1923, pp.89-115.

42- john craft, op, cit, pp.73-77.

43- للتفاصيل ينظر: مصطفى حامد رحومة, الوثائق الأمريكية, المجموعة الأولى, ترجمة شمس الدين عرابي, ليبيا 1989.

44- h.u. wietbrecht, op, cit,p.346.

45- برايسون, المصدر السابق, ص120.

46- m.s. anderson, the great power and the near east 1774-1923, london 1973, pp. 13-126.

47- حكمت سليمان سامي, نفط العراق, بغداد 1979, ص82.

48- john a. Denovo, a railroad for tyrkey the great progect 1908-1913, business history, review 33, autman 1959, p.302.

49- ibid.p.303.

50- edward early, turkey the great power and baghdad raelway, new york 1924,p.136.

51- ibid,p.137.

52- ibid,p.339.

53- marian kint, oil and empire british policy and mesopotaminan oil 1900-1920, london 1927, p,26.

54- ibid, p.27.

55- edward early, op,cit,p.343.

56- joseph heller, british policy toward ottman empire 1908-1914, london 1983,p.38.

57- اندريه نوشسي, الصراعات البترولية في الشرق الأوسط, ترجمة اسعد محفل, بيروت 1971, ص ص23-45.

58- joseph heller, op, cit,p.39.

59- طالب محمد وهيم, التنافس البريطاني- الأمريكي على نفط الخليج العربي وموقف عرب الخليج منه 1928-1937, بغداد 1982, ص ص31-45.

60- wener riehter, Bismarck, translated from the Germany , MacDonald press, London 1964, pp.11-183.

61- طاهر يوسف الوائلي, معاهدة التحالف الألماني- العثماني 1914, مجلة كلية الآداب, جامعة بغداد, العدد 63, 2000, ص526.

62- علي محافظة, العلاقات الألمانية-الفرنسية من إنشاء مطرانيه القدس البروتستانتية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية 1841-1945, ط1, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت 1981, ص11.

63- كريستيان تشيرفيلز, نابليون والإسلام, ترجمة زيت نجاتي, مكتبة الشروق الدولية, ط1, القاهرة 2002, ص ص26-121.

64- علي محافظة, المصدر السابق, ص11.

65- المصدر نفسه, ص16.

66- barralcough, the origins of modern Germany, new York 1983,p.75.

67- ibid, p.78.

68- ibid, p.85.

69- محمد حرب, السلطان عبد الحميد الثاني, دار القلم, دمشق 1990, ص ص 5-147.

70- يقضان سعدون العامر, الاتصالات الألمانية العثمانية بشأن الحصول على امتياز سكة حديد برلين- بغداد 1881-1882, مجلة المؤرخ العربي, بغداد, العدد 39, 1989, ص95.

71- المصدر نفسه, ص96.

72- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم, التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر, دار الكتاب الجامعي, ط5, القاهرة 1999, ص ص64-93.

73- w. m. simon, Germany in the age Bismarck, London 1968,p.118.

74- ibid, p.121.

75- حسين فوزي النجار, السياسة والإستراتيجية في الشرق الأوسط, ج2, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة 1953, ص ص359-360.

76- علي سلطان, تاريخ الدولة العثمانية, مكتبة طرابلس العلمية العالمية, طرابلس ب خ, ص44.

77- اورخان محمد علي, السلطان عبد الحميد الثاني-حياته وإحداث عهده-, الانبار 1987, ص ص322-334.

78- barralcough, op, cit, p.136.

79- طاهر الوائلي, المصدر السابق, ص531.

80- barralcough, op, cit, pp.137-140.

81- ibid, p.156.

82- ibid, p.157.

83- ibid, pp.159-161.

84- Louise Snyder, historic documents of ww1,new York 1958,pp.80-86.

85- حسين النجار, المصدر السابق, ص359.

86- barralcough, op, cit,p.167.

87- علي سلطان, المصدر السابق, ص344.

88- granwald kurt, Germany and the middle east, London 1975, p.81.

89- علي سلطان, المصدر السابق, ص345.

90- بان غانم احمد الحياوي, العلاقات العثمانية-الألمانية 1882-1918 دراسة تاريخية, أطروحة دكتوراه غير منشورة, كلية الآداب, جامعة الموصل,2001, ص ص23-183.

91- granwald kurt, op, cit, p.96.

92- علي محافظة, المصدر السابق, ص21.

93- granwald kurt, op, cit, p.103.

94- حسين النجار, المصدر السابق, ص360.

95- m. j. Anderson, the eastern question 1774-1923, London 1974, pp.261-270.

96- ibid, p..273.

97- ibid, p.275.

98- granwald kurt, op, cit,p. 105.

99- ibid, p.107.

100- Anderson, op, cit, p.276

101- ibid, p.278

102- ادموند تيلور, سقوط الأسر الحاكمة, ترجمة علي عـزت الأنصـاري, مؤسسة سجل العرب, القاهرة 1965, ص ص519-551.

103- granwald kurt, op, cit,p. 109.

104- طالب عبد الغني الجبوري, مشروع سكة حديد الحجاز, رسالة ماجستير غير منشورة, كليـــة التربيـــة, جامعـــة الموصـل 2003, ص ص22-170.

105- Anderson, op, cit, pp. 279-284.

معاهدة اونكيار اسكله سي

1833-1840م.

تعد الحقبة التاريخية بين سنتي 1833-1840 هي الحقبة الكاملة لمعاهدة اونكيار اسكله سي، وفي بحثنا هذا عملنا على التركيز على هذه الفترة الزمنية فقط, وتطرقنا الى أوضاع كلاً من روسيا والدولة العثمانية عشية توقيع المعاهدة, ثم الكيفية التي جرت بها الأحداث قبيل وإثناء توقيع المعاهدة.كما ركزنا على المواقف الدولية من المعاهدة وبالأخص مواقف بريطانيا وفرنسا والنمسا, ثم انتقلنا الى الظروف المرافقة لإلغاء المعاهدة ونتائج الإلغاء على روسيا المستفيدة منها, وأخيرا خرجنا بمجموعة استنتاجات عن هذه المعاهدة.

1- أوضاع البلدين التي أدت الى عقد المعاهدة:

واجهت الدولة العثمانية في عشرينات وثلاثينات القرن التاسع عشر تمرد خطير من قبل احد ولاتها وهو الوالي محمد علي باشا (1805-1840) في مصر,[1] وكان هذا الوالي قد أقام نهضة كبيرة في مصر جعلها تتقدم بخطوات كبيرة على الدولة الآم (الدولة العثمانية), وعندما لمس الضعف الكبير الذي تمر فيه الدولة العثمانية وتحكم الدول الأوربية في شؤونها عمل على استغلال الوضع لصالحه, فبدأ بالتوسع في أملاكها ولاسيما في بلاد الشام والجزيرة العربية ثم تحول الى مهاجمة العاصمة اسطنبول.[2]

وكانت الظروف الدولية مؤاتية لرغبات محمد علي باشا, فبريطانيا كانت منشغلة بالإصلاح الداخلي (لائحة الإصلاح البرلماني الأولى 1832) لاستبعاد خطر الثورات,[3] وفرنسا منشغلة بثورة 1830 والتي أوصلت لويس فيليب (1830-1848) للحكم فيها,[4] وكان يشغلها أيضا الوضع المضطرب في الجزائر بعد احتلالها لها في عام 1830,[5] والنمسا كانت منشغلة باضطرابات داخلية, إما الدولة العثمانية فكان جيشها الجديد مازال فتياً اثر قضاء السلطان محمود الثاني

(1808-1839) على الانكشارية*, كما أنها كانت خارجة من حرب هزمت فيها أمام روسيا في (1828-1829).[6]

إما روسيا فكانت لا تود إن يصل نفوذ محمد علي باشا الى العاصمة العثمانية اسطنبول ويحل محل السلطان (الضعيف) ويجدد قوة الدولة فيحول بينها وبين تحقيق سياستها التقليدية في الاستيلاء على اسطنبول والمضايق,[7] إذ عدت روسيا احتمال استيلاء محمد علي باشا على العرش العثماني غير ملائم لها لأنه سيؤدي الى انتشار النفوذ الفرنسي من مصر تلقائيا الى اسطنبول, ومن الناحية الأخرى زادت ثورة عام 1830 في فرنسا وما أعقبها من ثورات في أوربا من اقتناع القيصر الروسي نيقولا الأول (1825-1855),[8] بضرورة المحافظة على سلطة الحكام الشرعيين ومناهضة الحركات الثورية التي تهدد عروشهم.[9] ولهذا كله قررت روسيا مساندة الدولة العثمانية ضد محمد علي باشا.

2- عقد المعاهدة:

ما أن زادت انتصارات قوات محمد علي باشا حتى زادت وفي ذات الوقت خشية روسيا من سيطرته على الدولة العثمانية لاسيما إن الروس كانوا يتبنون فكرة أن الدولة العثمانية آيلة للسقوط,[10] ولهذا قامت في شهر كانون الأول 1832 بإرسال الجنرال (مورافيوف) الى العاصمة العثمانية حاملاً اقتراحاً من حكومة بلاده بأنها على استعداد لتقديم المساعدة للسلطان العثماني ضد محمد علي باشا,وفي ذات الزيارة عرض الجنرال الروسي على السلطان العثماني تقديم المساعدة العسكرية.[11]

اثر ذلك اتجه الجنرال الروسي الى الإسكندرية والتقى فيها محمد علي باشا واعلمه بأن روسيا ستجابهه عسكرياً إن لم يوقف جيشه المتجه الى اسطنبول, [12] وقد يكون لهذا الموقف اثر كبير في إيقاف القوات المصرية في مدينة كوتاهية.[13]

وعقب هزيمة الجيش العثماني إمام قوات محمد علي باشا في معركة (قونيه) في 21 كانون الأول 1832م,[14] اتصل السلطان العثماني بالحكومة البريطانية وطلب منها أن تتحالف معه على إخضاع محمد علي باشا والحد من قوته لكنها رفضت وأجابت بدبلوماسية بأنها ستتدخل مهددة محمد علي باشا وإنها لن تسكت عن أي عبث يهدد كيان الدولة العثمانية.[15]

ونتيجة لتلكؤ الموقف البريطاني إزاء أزمة الدولة العثمانية بمواجهة خطر محمد علي باشا, قام السفير الروسي في اسطنبول بتوظيف ذلك لتحقيق مصالح بلاده فعرض مجدداً تقديم مساعدة عسكرية للدولة العثمانية,[16] ولما كان السلطان محمود الثاني يمر بمأزق حقيقي فقد وافق على قبول المساعدة الروسية مباشرة.[17]

ومن الجدير بالذكر إن الدولة العثمانية كانت تواجه موقفاً صعباً ,فضلا عن تهديد محمد علي باشا ,إذ إن وضع السلطان محمود الثاني كان قلقاً في العاصمة ذلك إن السكان كانوا يتعاطفون مع محمد علي باشا, كما إن لجوء السلطان الى دول أجنبية طلباً للمساعدة ضد المسلمين جعل الكثير من علماء الدين بل وبعض الوزراء أيضا يختلفون معه ولا يقرون مساعيه,[18] لكن السلطان رغم ذلك لم يكن له خيار في هذه القضية وقد عبر عن ذلك بنفسه حين قال مشيراً الى المساعدة العسكرية التي طلبها من روسيا: ((عندما يأخذ الإنسان بالغرق ثم يجد إمامه ثعبان فأنه يتشبث بها أملا في النجاة من الغرق)).[19]

وفي العشرين من شهر شباط 1833 وصل الأسطول الروسي الأول الى مضيق البوسفور, وبعدها بأسبوعين تم إنزال ما يقرب من خمسة ألاف جندي روسي على الشاطئ الأسيوي لمضيق البوسفور في وادي اونكيار اسكله سي,[20] وفي الثالث والعشرين من شهر نيسان 1833 وصل حوالي أربعة ألاف وخمسمائة جندي روسي الى الوادي نفسه,[21] ثم توالى وصولها الى إن بلغ في نهاية شهر أيار 1833 الى ثلاثين إلف جندي روسي.[22]

استقبلت الدول الأوربية وجود الأسطول الحربي الروسي والقوات الروسية في منطقة البوسفور بانزعاج بالغ , إذ خشيت كلا من بريطانيا وفرنسا من زيادة النفوذ الروسي في الدولة العثمانية فتدخلتا لتسوية الأمور بين السلطان العثماني ومحمد علي باشا,[23] ومارستا ضغوطاً كبيرة على الطرفين والتي أسفرت عن إبرام اتفاق كوتاهيه في الخامس من شهر أيار 1833,[24] والتي أكد على انسحاب قوات محمد علي باشا من الأناضول وإعطائه ولاية مصر مدى حياته ومنحه حق تعيين الولاة على عكا وطرابلس وحلب ودمشق, وإعطائه جزيرة كريت, وتعيين ولده إبراهيم باشا(**) والياً على أدرنه.[25]

واثر ابتعاد خطر محمد علي باشا عن العاصمة العثمانية اسطنبول, شعر السلطان محمود الثاني بالامتنان الشديد للموقف الروسي الذي كان له_وحسب ما اعتقد_ دوراً حاسماً في وقف تقدم قوات محمد علي باشا نحو اسطنبول,[26] وتقييماً لما قدمته روسيا وقع معها معاهدة دفاعية_هجومية وذلك في الثامن من شهر تموز 1833 حملت اسم (اونكيار اسكله سي) نسبة الى اسم الوادي الذي وقعت فيه.[27]

وقد أمنت هذه المعاهدة لروسيا أفضليات واضحة إذ ألزمت الدولتان بموجبها بالتشاور مع بعضهما في جميع الأمور التي تتعلق بأمنهما وسلامتهما وبتقديم كل منهما المساعدة للأخرى في حالة التعرض لأي هجوم من قبل جهة ثالثة,[28] كما تعهدت روسيا بأن تبدي للسلطان العثماني,حسب طلبه,المساعدة العسكرية التي يريدها, وألحقت بالمعاهدة مادة سرية أعفت بموجبها الدولة العثمانية من إبداء المساعدة لروسيا كما نصت المواد العلنية من المعاهدة وألزمتها بذات الوقت بإغلاق مضيق الدردنيل إمام السفن الحربية الأوربية عندما تود روسيا ذلك.[29] وعنى هذا في حالة تعرض الممتلكات الروسية في البحر الأسود للتهديد من قبل الأساطيل الأوربية المعادية فتقوم الدولة العثمانية بغلق مضيق الدردنيل, وكانت مدة المعاهدة ثمانية سنوات, وقد غادرت القوات الروسية الشواطئ العثمانية بعد يومين من توقيع المعاهدة.[30]

وعدت المعاهدة نصراً كبيراً لروسيا لأنها حققت حلمها بالوصول الى المياه الدافئة,[31] ورسخت نفوذها في الشرق الأدنى,[32] وعدها القيصر الروسي نصراً دبلوماسياً كبيراً لبلاده.[33] إما السلطان العثماني فقد عدها حامية له من أي تمرد قد يقوم به محمد علي باشا, وبأن روسيا بموجبها ستسانده بمهاجمة قوات محمد علي واستعادة سوريا منه.[34]

ويتضح جلياً من ظروف عقد المعاهدة إن الوضع الذي تمت فيه ليس كما يصور البعض من إن روسيا وظفت وجودها العسكري في أراضي الدولة العثمانية لتضغط على الباب العالي[***] فارضة توقيع المعاهدة, بل إن فكرة عقدها جاءت بمبادرة عثمانية تثميناً منها للدور الروسي في إيقاف تقدم قوات محمد علي باشا, ولاستثمار هذا الدور في ما يقدم من سنوات لاحقة.

3- أهم المواقف الدولية إزاء عقد المعاهدة:

أ- الموقف البريطاني:

تهدف السياسة البريطانية الى بقاء الدولة العثمانية ضعيفة ,وإبعاد النفوذ الروسي عنها, وان لا تقوم دولة قوية على طريقها الى الهند, كما تخشى تسلل النفوذ الروسي الى الدولة العثمانية وسيطرتها على مضيقي البوسفور والدردنيل.[35]

لهذا أثارت الافضليات التي وفرتها المعاهدة لروسيا قلقاً كبيراً لدى وزير الخارجية البريطاني ((بالمرستون)), فانبرى بتركيز جل نشاطه لأبطالها متخذاً سبيلين لذلك فسعى في الأول لإعاقة المصادقة عليها وشارك فرنسا في الاحتجاج عليها لدى الحكومتين الروسية والعثمانية لكن ذلك لم يثمر عن شيء, والسبيل الثاني كان العمل على توسيع المعاهدة عبر إشراك الدول الكبرى كلها فيها,[36] ومعنى ذلك هو إبطالها فعلياً بإفقاد روسيا الافضليات التي وفرتها لها المعاهدة.

ب- الموقف الفرنسي:

هدفت السياسة الفرنسية الى تغلغل نفوذها في الدولة العثمانية, وعلى الرغم من تأييدها لمحمد علي باشا إلا أنها في ذات الوقت رغبت في المحافظة على وجود الدولة العثمانية والوقوف بوجه الإطماع الروسية فيها,[37] إذ فسرت المعاهدة في العاصمة الفرنسية باريس على أنها إضفاء الحماية الروسية على الدولة العثمانية[38], لذا كان على الحكومة الفرنسية إن تختار احد ثلاثة خيارات مطروحة إمامها, وهي إما إن تساند القيصر الروسي وتتقاسم معه المكاسب المنتظرة من سقوط الدولة العثمانية, أو إن تدافع عن السلطان العثماني محمود الثاني وتسانده, أو تقف بصراحة الى جنب محمد علي باشا.[39]

وكان الخيار الأول يعني قطع العلاقات مع بريطانيا,[40] إما الخيار الثاني فعنى الوقوف بجانب بريطانيا لمساندة السلطان محمود الثاني,[41] والخيار الأخير عنى مسايرة الشعبية الكبيرة والتي حظى بها محمد علي باشا لدى الرأي العام في فرنسا.[42] وكل هذه الخيارات كان التماسها وتنفيذها صعباً على الحكومة الفرنسية في ظل وجود ملك اتسم بالتحفظ كلويس فيليب.

ج- الموقف النمساوي:

كانت النمسا تخشى من زيادة النفوذ الروسي في الدولة العثمانية على حساب نفوذها هي, إلا إن القيصر الروسي طمأنها من إن بلاده لن تتخذ أي خطوة دون مشاركتها فيها,[43] وأكد بأنه ليس لديه أي نية للتوسع في أراضي الدولة العثمانية وعلى حساب المصالح النمساوية,[44] كل هذا ادخل الساسة النمساويين بالتناقض ما بين من أيد المعاهدة ومن عارضها.[45]

4- إلغاء المعاهدة:

اتخذ الصراع الدبلوماسي للدول الأوربية بعد عقد المعاهدة طابعاً خاصاً وحاداً وعلى مدى السنوات الثمانية التي هي مدة المعاهدة (1833-1841) فبذلت

هذه الدول جهود كبيرة لتجعل من المعاهدة فارغة ولا تتعدى إن تكون مجرد حبراً على الورق,[46] لهذا أخذت تسعى للحصول على موافقة الحكومة العثمانية لعقد معاهدة مماثلة مع جميع الدول الكبرى, ولو تم عقد هكذا معاهدة لفقدت روسيا حرية الحركة في حالة تجدد الصدامات العسكرية بين السلطان العثماني ومحمد علي باشا.[47]

وفي ذات الاتجاه عملت الدول الكبرى على إبقاء الوضع بين السلطان محمود الثاني ومحمد علي باشا على ما هو عليه, إذ إن أي تحرك من احد الخصمين كان سيؤدي حتماً الى اندلاع الحرب ويوفر لروسيا الفرصة المناسبة للتحرك في أراضي الدولة العثمانية وهذا ما كانت ترفضه الدول الكبرى.[48]

ولقد أرادت روسيا إن تعمق الخلافات بين بريطانيا وفرنسا وتوظيف ذلك لعقد اتفاقية مع بريطانيا, لاسيما بعد إن وصلت الحكومة الروسية الى قناعة مفادها أنها لن تستطيع تحقيق أهدافها في الدولة العثمانية دون مساندة بريطانيا وكانت مستعدة في سبيل ذلك حتى إن تتخلى عن معاهدة اونكيار اسكله سي,[49] وفي تقرير لوزارة الخارجية الروسية قدم للقيصر في شهر نيسان 1839م, اقترحت الوزارة بالتخلي طوعاً عن المعاهدة وعدم تجديدها لما قد تسببه من تعقيدات لروسيا في علاقاتها مع الدول الكبرى مما قد يضفي الى عزلتها عن المسرح السياسي الدولي, كما أكدت ضرورة إن يكون لروسيا حلفاء ورشحت بريطانيا بوصفها انسب الإطراف التي يمكن إن تتحالف معها روسيا في تلك الظروف الدولية.[50] ويبدو إن القيصر قد اقتنع كثيراً بما جاء في التقرير وقرر إن يطبق ما جاء فيه,[51] ويتضح ذلك من المواقف الروسية التي اتخذت بعد تاريخ عرض التقرير على القيصر, مما يعطي انطباعاً من أن انقلاب حدث في السياسة الروسية. والجدير بالذكر فأن بريطانيا قد استغلت النهج السياسي الروسي الجديد لمنعها من القيام بعمل منفرد على أساس بنود المعاهدة.[52]

وقد حقق توقيع معاهدة لندن في 15تموز عام 1840م,[53] والتي أنهت فعلياً خطر محمد علي باشا وحددته بمصر, لبريطانيا ما سعت أليه بإشراك دول أربعة وهي كلاً منها وروسيا والنمسا وبروسيا في مواجهة محمد علي باشا إن حاول التوسع في أراضي العثمانية مجدداً.[54] وبهذا تم استبعاد إن تقوم روسيا بأي تحرك منفردة مما كان البداية الفعلية لإلغاء معاهدة اونكيار اسكله سي وبموافقة روسية.[55]

واثر انتهاء خطر محمد علي باشا على الدولة العثمانية, كانت العلاقات البريطانية – الفرنسية قد ساءت كثيراً لأسباب متعددة, فحاول القيصر الروسي استغلالها لتدعيم علاقته بلاده ببريطانيا والتي ظن أنها ستسانده في تنفيذ إطماعه في أراضي الدولة العثمانية,[56] وليكسب ثقتها ما إن انتهت مدة معاهدة اونكيار اسكله سي في الثامن من شهر تموز عام 1841م لم يقم بتجديدها,[57] والأدهى من ذلك لما شارك القيصر بالتوقيع على معاهدة في لندن في الثالث عشر من شهر تموز 1841 الى جانب بريطانيا وفرنسا والنمسا وبروسيا والدولة العثمانية, ونصت على غلق المضايق في وقت السلم إمام السفن الحربية للدول كافة.[58] وبذلك تم إلغاء معاهدة اونكيار اسكله سي نهائياً.

5- نتائج إلغاء المعاهدة على روسيا:

لقد فقدت روسيا بتوقيعها معاهدة الثالث عشر من شهر تموز 1841 والخاصة بحرية المرور في المضايق العثمانية وغلقها إمام السفن الحربية لكافة الدول, فقدت نهائياً الوضع الرابح الذي وفرته لها معاهدة اونكيار اسكله سي وكان هذا نكسة للدبلوماسية الروسية فقد كان البحر الأسود قبلها يعد بحراً مغلقاً للدولة العثمانية وروسيا المطلتان عليه, وكانت مسألة مرور السفن عبر المضايق تسوى عن طريق اتفاقات ثنائية بين الدولتين,[59] إما بعد معاهدة 1841 فقد أعطي للدول الكبرى أساسا قانونياً للتدخل بالمضايق وإقامة العقبات إمام استخدام روسيا لهذا الطريق البحري الوحيد الذي يربط البحر الأسود بالبحار المفتوحة.[60]

إما لماذا قبلت روسيا بهذا الوضع, فيبدو أنها وقعت تحت خطأ اســتراتيجي كبير في ذلك الوقت, لأنها تصورت إن بريطانيا ستساندها فــي تحقيــق إطماعهــا باقتسام الدولة العثمانية, وقد وظف وزير الخارجية البريطــاني بالمرســتون تلــك التصورات فنجح بدفع روسيا الى عدم تجديد المعاهــدة محققــاً مكاســب كبيــرة لبلاده.[61] لكن الأمر الأوضح ألان إن سياسة روسيا كانت أصوب مــن السياســة البريطانية فالأفكار الروسية المتعلقة بتقسيم الدولة العثمانية والتي رفضتها بريطانيا آنذاك قد عادت ووافقت عليها وطبقتها بعد حوالي ثمانية عقود زمنية اثــر انــدلاع الحرب العالمية الأولى 1914-1918.

الخاتمة:

1- أدت معاهدة اونكيار اسكله سي الى زيادة حدة الخلافات بين الدول الأوربية.

2- أدت الى اهتمام الدول الأوربية بالدولة العثمانية ومحاولة الفوز بأكبر قدر من المكاسب الاقتصادية والسياسية.

3- كانت المستفيد الأكبر من محصلة الصراع هي بريطانيا والتي حققت مكاسب اقتصادية وسياسية كبيرة.

4- استفادت الدولة العثمانية من معاهدة اونكيار اسكله سي نتيجة للتنافس الكبير الذي حدث بين روسيا وبريطانيا, إذ تبارت الدولتان في الدفاع عنها ضد خطر محمد علي باشا.

5- كان عقد المعاهدة انجازاً دبلوماسياً كبيراً لروسيا, أما إلغائها فكان انتكاسة وخطأ استراتيجياً للساسة الروس.

6- موقف فرنسا كان سلبياً من المعاهدة لتأييدها لمحمد علي باشا الذي أعلى من النفوذ الفرنسي في مصر.

7- أشرت هذه المعاهدة والصراع الدولي الذي حدث لإلغائها مدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة العثمانية كما أشرت النفوذ القوي للدول الأوربية على صنع واتخاذ القرار السياسي في الدولة العثمانية, وأوضحت من دون ريبة إن مصير الدولة العثمانية وبقائها على الساحة الدولية أصبح رهيناً بمصالح الدول الكبرى.

الهوامش

1- صبحي وحيد, في أصول المسألة المصرية, مطبعة مصر, القاهرة 1950, ص ص 12-98.

2- جلال يحيى وخالد نعيم, مصر الحديث 1919-1952, المكتب الجامعي الحديث, الإسكندرية 1988, ص ص11-127؛ وانظر: جوزيف حجار, أوربا ومصير المشرق العربي- حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية, ترجمة بطرس الحلاق وماجد نعمة, بيروت 1976.

3- fred b. artes , reaction and revolution 1814-1848, harper torch books, new York1963, pp.286-289.

4- David Thomas, Europe since napoleon, long mans green and ltd, London 1965, pp.143-144.

5- د. علي محمد محمد الصلابي, الدولة العثمانية -عوامل النهوض وأسباب السقوط-, دار الفجر للتراث, القاهرة 2004, ص438.

* الانكشارية (ganissaries) : هي فرقة لها مركز ممتاز بين فرق الجيش العثماني, كانوا يختارون من الشبان المسلمين الذين ترسلهم سنوياً المناطق الخاضعة لخدمة السلطان, وكانوا ينشئون على الولاء للسلطان ومدربين عسكرياً وقد ظفرت فرق الانكشارية في القرنين السابع عشر والثامن عشر بسلطة كبيرة لدرجة أنها تنصب السلطان وتخلعه, وقد أصبح لها التجنيد وراثياً منذ القرن السابع عشر وقد قضى السلطان محمود لثاني عليها في اسطنبول 1826م.
عبد الوهاب الكيالي, الموسوعة السياسية,ج1, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت 1979, ص373.

6- arts, op, cit,p.290.

7- حسين فوزي النجار, السياسة الإستراتيجية في الشرق الأوسط, ج2, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة 1953, ص158.

8- gesse d. Clarkson, a history of Russia, from the 19th century, long mans, London 1962, pp.310-312.

9- د.هاشم صالح التكريتي, المسألة الشرقية -المرحلة الاولـــى1774-1856, بيت الحكمة, بغداد 1990, ص132.

10- David Thomas, op, cit, p.144.

11- انينل الكسندر روفنا دولينا, الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية فـــي ثلاثينات وأربعينات القرن التاسع عشر, ترجمة أنـــور محمـــد إبـــراهيم, المجلس الأعلى للثقافة, 1999, ص30.

12- m. s. Anderson, the eastern question 1774-1923 ,new York 1974, p.80.

13- ibid,p.81.

14- David Thomas, op, cit, p.145.

15- نجار, المصدر السابق, ص158.

16- Anderson, op,cit,p.81.

17- دولينا, المصدر السابق, ص30.

18- arts, op, cit,p.291.

19- أ.جرانت وهارولد تامبرلي, أوربا في القرنين التاسع عشـــر والعشـــرون, ترجمة علي أبو درة ولويس اسكندر, ج2, القاهرة 1967, ص374.

20- Anderson, op,cit,p.82.

21- ibid,p.82.

22- دولينا, المصدر السابق, ص ص30-33.

23- Anderson, op,cit,p.84.

24- arts, op, cit,p.296.

** إبراهيم باشا 1789-1848: قائد عسكري وحاكم مصـــر فـــي عـــام 1848, والابن الأكبر لمحمد علي باشا, تقلد عدة مناصب منها حكم الصـــعيد, ويعـــد المؤسس الفعلي للجيش المصري ومهندس الانتصارات العسكرية المصـــرية, هزم المماليك واليونانيين والوهابيين والعثمانيين,تولى حكم مصر فـــي نيســـان 1848 بسبب عجز أبيه وتوفي في تشرين الثاني 1848: ألكيـــالي, المصـــدر السابق, ص ص17-18.

25- علي يوسف البلخي, الموقف الدولي من احتلال محمد علي باشا لبلاد الشام 1831-1840 من خلال الوثائق العثمانية,مجلة دراسات تاريخية, دمشق, العدد 29, نيسان-تموز 1985, ص203؛ محمد فريد بك, تاريخ الدولة العلية العثمانية, دار الجيل, بلا, ص235.

26- علي سلطان, تاريخ الدولة العثمانية, مكتبة طرابلس العلمية العالمية, طرابلس بلا, ص290؛ وانظر:يلماز اوزتونا, تاريخ الدولة العثمانية, مجلد1و2, ترجمة عدنان محمود سلمان, مؤسسة الفيصل للتمويل, اسطنبول 1988.

27- Anthony wood, Europe 1815-1945, London 1967,p.87.

28- schimann ,geschichter ruszlands, uriter kasir nikolous 1,111,pp.277-278.

29- لويس دوللو , التاريخ الدبلوماسي, ترجمة د.سموحي فوق العادة, مكتبة الفكر الجامعي, بيروت 1970, ص200.

30- دولينا, المصدر السابق, ص34.

31- بلخي, المصدر السابق, ص203.

32- التكريتي, المصدر السابق, ص136.

33- دولينا, المصدر السابق, ص30.

34- Anthony wood ,op, cit,p.89.

*** الباب العالي: the sublime Porte, الاسم المتعارف عليه لمقر الحكومة العلية في عاصمة الدولة العثمانية اسطنبول, واشتقت من الطبيعة المرتفعة لمدخل باب رئاسة الحكومة في السراي الحكومي, وقصد به أولا البلاط السلطاني في اسطنبول, ثم أصبح يدل ابتداء من عام 1718م على مقر الصدر الأعظم وسائر الوزارات والدوائر الرسمية العثمانية: ألكيالي, المصدر السابق, ص452.

35- بلخي, المصدر السابق, ص206.

36- التكريتي, المصدر السابق, ص141.

37- Anthony wood ,op, cit,p.97.
38- Anderson, op,cit,p.86.
39- harold temperley, England the near east, the crimea, London 1964, p.48.
40- ibid,p.49.
41- ibid,p.50.

42- دولينا, المصدر السابق, ص37.

43- انس إبراهيم ألعبيدي, أزمة البوسنة 1908-1909, مطبعة المجمع العلمي, بغداد 2004, ص ص27-43.

44- المصدر نفسه, ص ص44-56.

45- المصدر نفسه, ص ص56-67.

46- دولينا, المصدر السابق, ص35.

47- harold temperley, op, cit,p.51.
48- Anthony wood ,op, cit,pp.99-103.
49- Anderson, op,cit,p.98.
50- Kenneth bourne, the foreign policy of Victorian England 1830-1902, oxford 1970, p.231.
51- Anderson, op,cit,p.99.

52- التكريتي, المصدر السابق, ص145.

53- Kenneth bourne, op, cit,p.233.

54- فريد بك, المصدر السابق, ص234.

55- التكريتي, المصدر السابق, ص147.

56- schimann ,geschichter ruszlands, op,cit,p.294.
57- ibid,p.296.

58- فريد بك, المصدر السابق, ص251.

59- schimann ,geschichter ruszlands, op,cit,p.298.

60- التكريتي, المصدر السابق, ص151.

61- Anderson, op,cit,pp.132-159.

تقييم دزرائيلي نفسيا

بنيامين دزرائيلي هو من اكثر الشخصيات الحيوية في تاريخ السياسة البريطانية، وقصة ضهوره ونهوضهُ وحصوله على مقاليد السلطة هي اغرب من اي شئ إذ كانت حكايته وحياته وسياسته ودبلوماسيته وحروبه ونجاحاته وإخفاقاته وكأنها عمل روائي فخم. لقد كان خطيبا مشهوراً في مجلس العموم، اشتهر بتناوله القضايا العالمية إلى جانب اهتمامه بإبراز وتقوية مواقف حزبه إضافة إلى العمل على دفعه لتصدر الانتخابات البرلمانية. وكانت طبيعتهِ فريدة ،إذ تداخل ذكائه الحاد مع مزاجه الغريب واللذان أنتجا تعاليا كبيرا في نفسه و بأصله اليهودي. ومع نظرتهِ المريبة للناس إلا انه في السياسة كانَ إصلاحيا ذكياً، تمنى التميز بكل شيء وجد بتحقيقه وبأن يكون دوما وابدآ في المقدمة كسياسي وكفنان.

كان لدزرائيلي عدة محاسن ومساوئ مثله مثل إي شخص أخر, وطبيعي انه لم يكن يحضا بثقة اغلب الأعضاء في البرلمان, من المحافظين والأحرار, لكنه وفي نواحٍ عدة كان الأكثر انسجاماً وإخلاصا لملكة بريطانيا– الملكة فيكتوريا–, ومن الطبيعي تقلب آراءه ووجهات نظره اتسعت وتغيرت بمرور الزمن وكان مثل كل سياسي يحاول القفز إلى الإمام في مجرى حياته ومهنته فلا احد يدخل بمعارك سياسيه لأجل السلام والهدوء, إذ يجب على السياسي إن يغش ويراوغه ويتملق ويكذب, ليحقق أهدافه ومبتغياه وليكسب مكانته ومنصبه في السلطة, وتلك هي من الارتكازات الرئيسية لحقيقة عالم السياسة, وهي المقياس لرجل السياسة الناجح.

وبذلك فلابد للسياسي إن يكون كالإسقربوط ينظر بتركيز وتمعن للأشياء التي لا يراها غيره وهكذا كان دزرائيلي, فهو الشخصية الفريدة في التاريخ السياسي الانكليزي, التي بدأ حياته العامة وكان هدف للسخرية ولكنه أضحى مثال مبجل يقتدى به, إذ كان خلف تلك الشخصية المغايرة والشعر المتدلي, ارطال من الارادة والعزم والتحمل والرؤية السياسية المثالية والثبات والصبر والإصلاح.

وما إن انتخب كعضو بمجلس العموم في عام 1832 حتى برز كمعادي للأحزاب الرئيسية بالقول في خطابه الانتخابي: (خلصوا أنفسكم من كل ذلك الهراء السياسي), وعرف نفسهُ كمحافظاً وذلك للاحتفاظ بالشيء الذي كان جيداً في الدستور, ولاستبعاد ما هو سيئ. وفي السنة التالية كرس وقته لكتابة كراسه شرح بها عقلية فكره السياسي ونصح المحافظين بالاندماج مع الإصلاحيين, ودان المحافظين الذين فقدوا تقاليدهم, وطالبهم بإعادة تشكيل حزبهم وتطويره كقادة للشعب وداعمين للإمبراطورية, لكن لا احد توقع إن ذلك اليهودي الشاب سيكون قوة ثورية دافعه لحزبه وبلده.

أينما ذهب شغلت ملابسه اللسنة الناس وأفكارهم, إذ كان يظهر عادة في معطف قماش قطني اسود مع قماش ستان وبنطلون بني ودانتيل طويله مزركشة مع حزام ذهبي يربطه بأناقه ويرتدي الجواهر والخواتم الذهبيه وخصل شعرهِ السوداء المغطاة بزيت الشعر تتدلى على أكتافه, وفي خضم ذلك كله فأنه طالما تحدث بهدوء ومال إلى الفصاحة, وتطرق كثيرا للشعر والشرق. إما الحب فكان يرى إن كل أصدقائه الذين تزوجوا لأجل الحب والجمال اما ضربوا ازوجاهم أو عاشوا بأنفصال عنهن, ودوما ما كان يردد:

(ربما ارتكبت العديد من الافعال الحمقاء في الحياة , لكنني لا انوي أبدا الزواج عن حب والذي إنا متأكد انه ضماناً لعدم اللباقة).

والشكل الذي أراد دزرائيلي تصور حاله فيه هو خيال وشكل العاشـــق وأراد إن يتمتع بوهج الُغرام, وظن إن اهتمامات العالم وإحداثه لا تعني العاشق لأنها فـــي اخر المطاف ستسطر في سجلات التاريخ, وان كل ثروة العالم بدون حبيبه ما هـــي الا تعاسة, فـــالثورات والـــزلازل السياســـية التـــي تغيـــر الحكومـــات وتســـقط الإمبراطوريات بالنسبة لفكر العاشق ليست أكثر من العاب طفولية.

وقد اكد مرارا انه لا يتحدث بلغة الحزب, فهو اعلى من مستوى الحزب, وهو تحدث وسيتحدث ابداً لصالح الكثيرون اللذين لم يمنحوا حق التصويت وللملايين من ابناء بلده الذين مازال معظمهم من دون اصوات وبكل احتجاجاتهم واعتصاماتهم فأن مطالبهم لم تتعدى ادنى حدود حقوقهم الدستورية, لذا فمطالبهم لابد ان تُسمع ولا يمكن لآي احد إن يتجاسر ويرفضها, فهو يرى بأن الشعب البريطاني يريد حقه, والشعب اعظم واقدر من البرلمان والحكومة والملكية.

تقييم علاقته بالملكة فيكتوريا:

هنالك لحظات تصور ديزي بها نفسهُ كـــــ الملك سليمان، وفيكتوريا كالملكة بلقيس كل هذا لم يمنعه من إن يتصرف ليكون بمثابة مستشارها، صديقها، ومحاميها, وخادمها!! وقد اعلن مرارا بأنه يدرك قدرتها على انجاز الاعمال الإدارية الملكية بكفاءة عالية لدرجة انه لم يشهد العرش الملكي الانكليزي شخص بقدراتها الوظيفية ودبلوماسيتها وسعة تحملها لمشاق وظيفتها، وكما اقر واحترم واعجب بها كامرأة.

وهي الأخرى اعجبت به كثيراً وقربته منها وفتحت كل قلبها وعقلها له، و أوجدت له مكانة فخمة في البلاط الملكي إن كان بمنصب سياسي نافذ أو حتى إن كان معارض فحسده عليها الكثيرين. وقد عاملته كصديق مقرب واعلمته بكل خفاياها لدرجة أنها الغت امامه البرتوكولات الملكية التي حجبتها عن الاخرين واستقبلته بمرات عدة بملابس عادية إذ لم تشعر بأية رسميات بينها وبينه. وتحدثت معه بكل صدق وثقة وانسجام وكما كان هو مستشارها السياسي فهي الأخرى كانت مستشارته فكثيرا ما استشارها بالعقبات السياسية التي واجهته بحياته السياسية.

وقد اضاف لشخصيتها الكثير من المعلومات الحياتية والتقاليد الملكية التي شاهدها في البلاد الأخرى، وفعل ذلك لأنهُ كان لديهِ سببين جيدين هما: لأنه كان معجباً بحكمتها السياسية، ورغبه منه لعمل دوراً كبيراً لاحداث نقلة نوعية في

سياسات بلاده. وكمستشارها عِلِمَ بأنها كلما فتحت عقلها اكثر لهُ سيكون افضل في الافصاح عن قدرتهِ على استطلاع الأمور بطريق رؤيتهِ المستقبليه لتثبيت وتوقير سلطتها فيهيئها تواليا بطرق فضلى للتعامل السامي بينهما، وكلما اخذت بنصائحه قلة العقبات وتسارعت النجاحات بطريقها الملكي.

وفي الوقت ذاته جعلها تؤمن وتيقن بأن كلماته ونصائحه ما هي إلا بنات ولبنات افكارها هي مما زاد من ثقتها به. وكنتيجة عاجله لذلك لم تعارض الملكة أبدا سياساته وتغييراته وطلباته وتقاربت حقيقة من نموذجه العملي المطبق بحياته الدبلوماسية. ومع ما عرف من ميل ديزي للنساء إلا انه كان يتعامل بتناغي مع الملكة وكأنه صديقها، فعاملها كامرأة يلتمس ثقتها, إزائها كان تصرفهُ وسلوكهُ تلقائياً كثيراً وهي لم تشك أبدا بـــعدم صدقه وإخلاصه وفي الحقيقة استطاع كسب اعتزازها بها واحترامها. وبالنسبة لاتجاهه التعاملي مع النساء كانَ نصف أفلاطوني، نصف غزلي، نصف مؤدب, نصف مألوف, وقد كان فطرياً، إذ كان جزءاً من رغبتهِ للانسجام حبهُ لإسعاد النساء.

حقيقة الرجل:

أن دزرائيلي الذي قد وضعته الانتخابات العامة في 1874 للمرة الثانية في عمر عمله الطويل في الرئاسة لبرلمان موثوق ومؤكد من الأغلبية، كان لديه العديد من مظاهر قوة العقل والفطنة, قد كان ينظر ببعد وعمق مع ومضات عبقرية كنوع من أنواع النبوءة السياسية. وقد انغمر بمركزه هذا لمجابهة العديد من العواقب الهائلة واجتازها بذكائه وعزمه وقوة إرادته ولأكثر من خمسة وعشرين سنه قاد حزب المحافظين في مجلس العموم – القيادة المستمرة الأطول التي سجلت لزعامة حزب المحافظين إلى الأن–، وعلى الرغم من تميزه في المناقشة والتفاوض فقد كان ميله الأساس والرئيس للإصلاح السياسي والتقدم الاقتصادي والبناء الاجتماعي المؤسساتي.

وحين أجتاز السبعين من عمره توفت زوجته المخلصة، وقد كانت هذه الخسارة كبيرة وحقيقية بالنسبة إليه لتقدمه في السن، فلذا وعلى الرغم من أنهُ يمتلك عبقرية جعلت الأشخاص يتبعوه، وتميزه بصورة كبيرة حتى على كلادستون في إداراته السياسية والشخصية، فأن طبيعته الداخلية قد استنجدت البهجة والمساندة من مجتمع النساء لغرض ان يغري رغبته ويشبعها، بصورة جزئيه في الاتصالات الرومانسية، وبصورة اكمل في الاخلاص الغير معقول للملكة فكتوريا، التي تصورها على انها گلوريانا الثانية, والانيقة المقربة من بين حبيباته الخياليات, ولكن هذه التصورات قد قادته بالتالي الى إن تكون وحدته حقيقية، ولا يمكنه ان يتشبث طويلاً في وظيفته وذلك لأن أهتماماته الاصلاحية وافكاره الخاصة بهذا المجال بالنسبة لآولئك الذين قد أعتبروه بطلهم لم تجد مكانا للتطبيق السريع.

بدأ ديزي فكره راديكالياً مقسماً انكلترا الى قسمين فقير وغني، ومطالباً بالحاجة الماسة من أجل جعلهم أمة واحدة, كان يهتم بأخلاص بأحداث الاصلاح الاجتماعي وقد اوجد عدة مفاهيم بمجالات متنوعة تشكلت فيما بعد بأسم المفهوم الدزرائيلي وأن فترة رئاسته للوزراء، قد أظهرت انبهار الامبريالية التي قد برقت في فترة قصيرة في بريطانيا وبعض دول كامونويلثها ببريق الإصلاح الاجتماعي.

كان لحسن حظ بلاده بأن إمراضه لم تعجزه لأنه الفترة الكلية لوزارته كان عليه الاحتفاظ بعين حريصة ومتيقضه على روسيا وألمانيا. فبينما روسيا كانت تضيف مقاطعة بعد اخرى الى سيطرتها، دزرائيلي لم يكن لديه إي ايمان في وجود بذرة امل في ايجاد تفاهم حقيقي او اولي مع الروس، وكان يعلم إن حصوله على إي سلام معهم فذلك لن يعني إلا أنه حصل على مساحة تنفس مؤقتة للتهيؤ لمشكلة جديدة بالمستقبل القريب.

ومع ان بسمارك كان قد اعتبر بريطانيا رقم قوي من غير الجائز تجاوزه ولابد من الخضوع لتأثيره لكنه عمليا كان الشخصية المسيطرة على القارة، فكان

على دزرائيلي افهامه إن بريطانيا من غير المتقبل ان تضعف أو تتأرج سطوة سياستها الخارجية، وقد كان بسمارك الرجل السياسي الوحيد بذلك الوقت الذي كان بأمكانه مقاومة صلابه وشجاعة دزرائيلي، لكن رغم تمتعه بالقسوة والسلطة المطلقة فأن - الرجل اليهودي العجوز- كما دعاه بسمارك-، هو الذي ربح في أولى المواجهات الألمانية- البريطانية المتعاقبة.

واقعه كمعارض:

وحين كان معارضا في البرلمان فرض سيطرته التامة على جلسات مناقشاته وكان دائما مهيئا للانتقاص والمراوغة السياسية يعرف كل شيء حول كل مواضيع مناقشاته، وتمتع بذاكرة مدهشة حول الحقائق، وان ظهور ديزي وعدم تغيبه عن جلسات البرلمان أضاف الكثير لسلطته الشخصية. إذ كان عنيدا واجعا خصومه بتحديقه بذكاء بوجوههم، واعتاد لف ذراعيه حول صدره، إما قبعته فقد كانت تنحني ببطء حول حاجبيه، عاقفا رجليه واحدة فوق الأخرى.

لم يكن يرتح ابدا وقلما كان يغادر مقعده اثناء النقاشات البرلمانية الحالكة، وان انقض خطابيا على احدهم فسينتظر منه هجوما متوقعا لذا سيغير وضع جسده سطحيا نحو الاتجاه الغربي، واضعا ابهامه على نظارته. واحاديثه المهيجة والغاضبة جعلت منه قويا غير مباليا وشخصا موقرا، بذات الوقت ضاعف سنويا من رفقة الشبان الواعدين في حزبه، طويلا ما كان يتوقف متحدثا معهم في الردهات، مشجعهم لبروزهم معلما اياهم اسرار السياسة خائضا معهم حتى في شؤون حياتهم الاجتماعية.

بروز ديزي في البرلمان يعزى اساسا الى عبقريته كمتكلم، إذ كانت النغمه بصوته شهيرة فأصبحت ترددتها موسيقية اكثر كلما تزايد حجمها. وهو حين يخطب ينغمس قليلا في الاشارات اليدوية، ليس معتمدا كليا على البلاغة اللفظية، وهكذا كانت قوته وسلطته الخالية من المشاعر بحيث كل جملة تبدو مهمة، كل

حركة معبره، كل تغير للايماءات والحركات مميزا, وكلما استمر في حديثه اصبح صوته مملوءا، اكثر ثباتا، وبعض الاحيان اكثر ضجة، لكن في ثانية سيسقط لعادته المألوفة السهلة، كل تغير يتجمع بعناية ليعمل انطباعا مرغوبا به. كان وكأنه يؤدي دورا مسرحيا فكان بدوره البرلماني يحقق انتصارا للفن الذي يطغى حدود التفنن، وطريقته البرلمانية المعلنة بحقيقة واقعها المسرحي انتجت تأثيرا حادا بقمة هرم الدراما المسرحية.

وإن اسلوبه الخطابي كمعارض اضحى مكشوفا لكنه لم يستطع تغيير طبيعته، وحتى معظم خطبه الجيدة كانت تترافق معها ومضات السخرية واشعاعات التهكم لدى اقرانه البرلمانيين. وقد كانت لديه عادة جذابة حينما يرغب بتصحيح فكرة اخطأ بأيضاحها، إذ اخرج منديله من جيبه، ليمرره من يده اليسرى الى اليمنى، ثم ليقوم بنوبه سعال حقيقيه عندها يرجع المنديل تحت انفه من اليمين الى اليسار، وحاجبيه يتقاربان ويضغطان ويداه تنفتحان بخفه ممتدة بالداخل الواحدة تجاه الأخرى ثم وفي لحظة تأكيد وتشديد ظاهري يرمي يديه ويفتح حاجبيه ولتتساقط منه ارطال مياه التعرق كما لو كان يغطي جسده بالماء ليصل خصره ، وبالرغم من انه وخلال سنواته الأخيرة في كان مصابا بداء النقرس وداء الربو لكنه كان قادرا على التغلب على امراضه الجسدية حينما يخاطب المجلس، وفي بعض الاحيان كان يدهش الاعضاء برفع صوته بصعوبة وما بدا عليه أبدا انه كان مرتبكا بمعاناته المرضية.

ديزي العاشق:

كان دزرائيلي واحدا من الاستثناءات النادرة في التاريخ الانسان الذي تعطش للشهرة وفاز بها وايقن بأنه لن يستطع احد الوجود في الحياة ويحتمل بشاعة قسوتها من دون الحب لذا هو عاش لاجل السلطة والعواطف, وكلما كبر في السن كلما اصبح قلبه اكثر رقة وشفافية واصبحت رغبته اكثر ثباتا للهيام الانثوي.

فقد ايقن بأمتلاكه قلبا لن يشيخ ابدا وهكذا نجده بعمر السبعين سنة يترنح في الحب مع زوجة رجل اخر ويظهر نفس التهور والاندفاع بالعلاقات غير العقلانية كـــــ صبي في اول خطواته. وحالا وبعد وفاة زوجته اختلط بحميمية مع امرأتين قابلهما بالصدفة في لندن أظهرتا له عاطفة كبيرة في ايام حزنه.

ومع إن علاقاته كانت مع القريبات منه في السن لكن ذلك لم يمنع من اقامته العلاقات العاطفية مع الشابات الصغيرات المتزوجات اذ كان مقتنعا بأنه بعلاقاته سيكون منسجما كليا مع الحياة الحديثة السريعة.

وفي الحقيقة فقد مثل الحب الأعمى مع كل من التقى بهن وكتب بهن القصائد وبعث لهن مئات الرسائل واخبرهن جميعا بأن الساعات التي قضاها معهن هن الساعات السعيدة التي قضاها في سنوات حياته. وكان يكرر لكل واحدة منهن أنها ليست إلا قمرا وانه لن يرتضى بأن يحصل على جزء من قمره هذا بل يبغي كل كله. وديزي اعترف مرارا بأنهُ كانَ خاضعاً للغيره ممن كان يحبهن وبرر غيرته بأن الرجل إن كان حقيقية واقعاً في الحب ، كان عرضاً ليؤمن بأنه فقد نعمة التفكر لأنه خضع لشخص استحوذ على عقلهُ وقلبهُ.

الى أنه وبالأخير جاء السؤال الذي لامناص منهُ ، لماذا ورغم كل نجاحاته السياسية والحزبية والاصلاحية وبروز نجم شهرته بعموم أوربا إلا إن نفسيته احيطت بالبؤس والتعاسه ومع محاولته التغلب على كآبته بالعمل إلا انه فشل بذلك إذ كان سطحياً في كل شيء وبحقيقته كانت دواخله مشبعة بالامراض النفسية والجسدية وكان كأنه يعيش في محور عالم رمادي، كما كان ينام بشكل سيء، وكان متأذياً متألماً بعمق، لدرجة انه يخاطب ذاته بصوت مسموع ويروي لها كل النكات التي سمعها عدة مرات في محاولة يائسة للخروج من قوقعة حزنه!.

ديزي اليهودي:

من خلال تقاليدهُ اليهودية وقوة الملاحظة لديه كرئيس وزراء, يصف ويوضح الأسلوب اليهودي في السلم وفي الحرب بأنه هو ذاته, فيضع في البداية نفس الحقائق التي وضعها الاخرين من قبل لكنهُ يفعل ذلك في سبيل تمجيد اليهود، بينما فعل غيره ذلك لتمكين الناس من رؤية ما يجري خلف الكواليس في الحرب والسلم. ويؤكد دزرائيلي إن اليهود مستعدين لإقراض المال الى الأمم, لكن من اين حصلوا على المال كي يُقرضوهُ؟ حصلوا عليه من نفس هذه الامم حين كانت في حرب! انهُ المال نفسهُ، فممولي الحرب هم أنفسهم ممولي السلام, أنهم يهود العالم، كما يُبين دزرائيلي أنهم وبهذا كله ليس من الصعب تخيل أنهم ليسوا عباقرة.

ويؤكد ان اليهود يمكن ان يكونوا أي شيء في سبيل المحافظة على مجدهم اليهودي. وان اليهود قد تسللوا الى كافة الحركات والمجاميع والمذاهب المسيحية وانه كان لهم السبق بما شهدته المسيحية من اصلاح ديني على مر التاريخ. ويصر كثيرا إن كل يهودي له تأثير كبير على الاحداث العامة فهو رجلا يلفهُ الغموض ليسيطر على كل الدوافع البشرية ويسيطر على رئيس القوى الوحشية والذي يقصد به (المال). ويرى إن القوة اليهودية هي في التجارة الداخلية والخارجية لأن اليهود يعرفون عنها كل شيء وهم اسياد التجارة العالمية، وان اليهودي لا يمكن ان يصبح منبوذاً مهما فعل أو سيفعل لأن لديه مكان وعمل رباني ينتظرانه مهما كان عمره او شخصيتهُ, وهنالك العديد من الاشخاص ذوي المناصب العالية يتمنون لو أنهم كانوا من اليهود.

ويبين إن اليهود في بريطانيا لا يحضون بأية حقوق وتتم معاملتهم بصورة عنصرية مقيتة وانتقلت سوء المعاملة هذه إلى الولايات المتحدة الأمريكية فكما يقول إن اليهود هنالك يعانون الآمرين ويعلل ذلك بطيبة اليهود وعدم تكالبهم على الدنيا, واعتبر دزرائيلي إن اليهود هم الأمة الوحيدة في العالم التي لا يوجد تناقض بين

أحلامها بالحرية وما بين التأكيدات الربانية التي ذكرها لهم الرب في التوراة من أنهم شعب نقي ومتحرر وانه خلق لقيادة العالم.

ومن الغريب إن يكشف دزرائيلي اعظم اسرار اليهود من أنهم يدعمون الاضطرابات والفوضى العالمية لان الفوضى وكما يخططون لها هي في حقيقتها خطوة ايجابية نحو السيطرة اليهودية على مجمل شؤون وامور العالم وان جلبت هذه الفوضى معاناة مؤقتة لهم فهم يعانون منها عن طيب خاطر. فاليهود يرغبون بالمعاناة لأنهم يرون في انهيار أي مجتمع غير يهودي فرصة لبلورة القوة اليهودية وللتمسك اكثر بمحور القوى المركزية.

ويوضح كذلك بأن اليهود يعرفون ماهية تقنية الثورة ويروي بكتاباته ثورة 1848 التي اندلعت لاحقاً في ألمانيا, فكيف تنبأ بذلك؟ لأن هذه الثورة والتي يتم الإعداد لها ستكون في الواقع طفرة سياسية كبيرة، وكانت تتطور إحداثها بمخططات يهودية وافكارها تتنامى تحت رعاية اليهود. وعلى الرغم من ان القليل عرف عنها في بريطانيا آنذاك إلا ان دزرائيلي علم بها وعرف ان اصلها يهودي واهدافها يهودية.

ان اعمال اليهود لتدمير النظام العالمي كانت ولازالت واضحة في غاية الوضوح وذلك عن طريق الافكار والاعمال التي يتبنوها ويرونها للعالم بأنها ستجعله افضل. ويرى إن من حق اليهودي بما إن حقوقه مسلوبة, ان يعتبر أي شكل من اشكال المجتمعات غير اليهودية هو معادي لهُ, ويجب ان يصبح المجتمع اليهودي اكثر قوةً واكثر خطراً على المجتمع المعادي لهم.

لو ان تلك الكلمات تمت كتابتها من قبل شخصٌ غير يهودي فأن تهمة وجريمة مناهض للسامية لتم إلصاقها به ومحاكمته حضوريا أو تاريخيا بها, ويبقى التساؤل هل إن هذا الكلام صادق؟ ولما لا يكون صادق دوم انه قد كتب من قبل شخصية يهودية كان لها أثرها وتأثيراتها المتعددة في التاريخ العالمي.

ويبدو إن دزرائيلي أراد من كتابتها إن يري العالم ومضات مما يجريه اليهود زعماء العالم, خلف كواليس السياسات والأفكار المختلقة التي لا يودون إلا شغل الشعوب بها. وهو لم يكتبها كي يُحذر العالم من الطموح اليهودي للسلطة بل أراد إن يمجدهم عبر التأكيد على إن اول اليسوعيون كان يهودياً – بولس–, وان كل حركة ثقافية كبيرة في اوربا لابد إن من يوجدها ويقودها ويشارك بها ويطبقها هم اليهود.

وان دزرائيلي لم ينقلب على اليهودية بل انه وبعيدا عن كل ما ابتغاه من ذلك فهو قد روى الحقيقة إمام العالم, وما يهمنا من هذا انه الشخص الوحيد الذي روى الحقيقة ومع ذلك لم يتم اتهامهُ بتهمة تشويه الصورة اليهودية أو كما هي شائعة ألان معاداة السامية.

الباب الثاني

الحرب العالمية الأولى
في ملفات مغبرة

الباب الثاني

الحرب العالمية الأولى في ملفات مغبرة

الاستراتيجيات العسكرية

لجيوش بعض الدول المتصارعة في الحرب العالمية الأولى.

أن الأسباب التي دعت العالم إلى خوض غمار الحرب العالمية الأولى كانت متعددة ومختلفة ومتشابكة في ذات الوقت لكنها تبلورت بصورة أساسية في الاستراتيجيات. إذ لعبت الخطط العسكرية الألمانية دورا حاسما في الموضوع، دفع الدول العظمى الأخرى إلى الاهتمام بمفاهيم الدفاع عن نفسها.وفي الحقيقة أن الألمان أوجدوا معضلتهم بأيديهم عندما ضموا الالزاس واللورين لما أرادوا حدودا منيعة تفصلهم عن غريمتهم فرنسا.

وان جميع الدول المشاركة بالحرب انطلقت من تصورات أثبتت الأحداث خطئها وبعدها عن الواقع لاسيما أن هذه الدول صرفت أموال باهظة على رسم استراتيجيتها الحربية وعلى التمرين على تنفيذها كما انطلقت في سياستها الخارجية بناء على خططها العسكرية مما كلفها الشيء الكثير من مكانتها حتى أن بعضا منها فقد القسم الأكبر من أراضيه، وسقطت الإمبراطوريات وتغيرت أنظمة الحكم فيها نتيجة لهذه الأخطاء القاتلة. وهكذا اختلف الوضع في المؤسسات العسكرية للدول المتحاربة بعد بداية الحرب بقليل حين أهملت الاستراتيجيات القديمة وتم استحداث أخرى جديدة في محاولة لمجاراة تطورات الحرب المتسارعة. وقد عمدنا في بحثنا هذا على دراسة استراتيجيات الدول المتحاربة بشكل كامل ودقيق في محاولة منا لبيان كل استراتيجية على حدا ولإيضاح أفضل تلك الاستراتيجيات.

التمهيد:

أن الأسباب التي دعت العالم الى خوض غمار الحرب العالمية الأولى متعددة كما أنها مختلفة ومتشابكة في ذات الوقت لكنها تبلورت بصورة أساسية في الاستراتيجيات إذ أدت الخطط العسكرية الألمانية دورا حاسما في الموضوع، دفع الدول العظمى الأخرى الى الاهتمام بمفاهيم الدفاع عن نفسها. وفي الحقيقة أن الألمان أوجدوا معضلتهم بأيديهم عندما ضموا الالزاس واللورين لما أرادوا حدودا منيعة تفصلهم عن غريمتهم التقليدية فرنسا.[1] وفي الواقع لقد كان في وسع ألمانيا في المدة التي تلت سنة 1871م أن تخوض حربا ضد روسيا وتقوم بدور دفاعي في الجبهة الغربية بل وكانت هذه هي الخطة العسكرية (لمولتكه الكبير Moltke رئيس الأركان العامة الألمانية 1857- 1888)، ولكنها لم تكن خطة تضمن الفوز النهائي الحاسم ،ولذلك رفضها شليفن*, و اصر في سنة 1892م على دحر فرنسا أولا، وبعد عشر سنوات توصل الى استنتاج آخر يتحتم فيه على الجيوش الألمانية آن تزحف عبر بلجيكا ضاربا بالأسس السياسية التي وضعها بسمارك لسياسة ألمانيا الخارجية طوال أربعة عقود من الزمن عرض الحائط والتي كانت تأكد على ضمان الحياد البريطاني في أي نزاع قد تدخله ألمانيا في المستقبل[2].

وهكذا سحب العالم الى حرب كان الكل متفقا على وجوب تجنبها ألا أن تسارع الأحداث كان أقوى من الجميع.ولأهمية الإستراتيجيات الحربية للدول العظمى المشاركة في الحرب ارتأينا أن نفصلها كل على انفراد.

أولا- الاستراتيجية العسكرية الألمانية:

1- الجيش الألماني:

تعد البداية الحقيقية للجيش الألماني الحديث في أثناء الحروب النابليونية لاسيما أثر الهزيمتين التي تعرض لهما الجيش الألماني (البروسي آنذاك) في معركتي (يينا- أورشتادت في14 تشرين الاول 1806م) و(فريدلاند في 14 حزيران 1807م) على يد القوات الفرنسية. مما استدعى الألمان (البروس) الى

إلغاء جيشهم القديم وتشكيل جيش جديد واستحداث وزارة الحربية واعادة تأسيس الأركان العامة وإصدار قانون الخدمة العسكرية الإلزامية, وقد أثمرت هذه الإجراءات بعد ستة عقود عندما استطاع الجيش البروسي من إنزال هزائم كاسحة بالجيش الفرنسي في معارك حرب السبعين (مار-لاتور/غرافلوت/سيدان/ في سنة 1870م)[3], وقد كانت هذه الحرب البداية الحقيقية للحرب العالمية الأولى وللنزاع الطويل بين ألمانيا وفرنسا بسبب احتلال ألمانيا لمقاطعتي الالزاس واللورين الفرنسيتين.

في عام 1914م تطلب النظام العسكري تجنيد جميع الرجال ألسليمي البدن للخدمة في الجيش, إذ على الجندي أن يتدرب في الجيش النظامي لمدة أقصاها ثلاث سنوات, ثم ينضم الى قوات الاحتياط النظامية لفترة لا تتجاوز خمس سنوات, بعدها يخدم في قوات الجنود المرابطين (لاندوهير landuheer) لمدة اثنا عشرة سنة, واخيرا يخدم في قوات حراسة الحدود (لاندستورم landsturem) إلى أن يبلغ 45 عام من عمره[4]. وقد وفر هذا الأسلوب مئات الآلاف من العسكريين للجيش الألماني، ظهر أثره واضحا عندما أعلنت التعبئة في ألمانيا فكان لديها عدد كبير من الضباط والجنود الماهرين. ولم تكن ألمانيا قادرة على تجنيد جيش كبير فقط بل جيش كبير وشجاع وواثق من قدراته.

2-الخطط البرية:

قامت خطة الحرب الألمانية أساسا على الفارق البشري الكبير بين كلا من ألمانيا والنمسا من جهة، وروسيا وفرنسا من جهة أخرى، إذ يتمتع الفريق الثاني بالأفضلية.[5] كما أدركت ألمانيا بأنها لن تستطيع مواجهة فرنسا من الغرب، وروسيا من الشرق في الوقت نفس، فلذلك لابد من هزيمة أحدهما قبل أن يستكمل الأخر استعداداته (تم وضع أول خطة لمعالجة هذا الوضع في 27-نيسان 1871م)[6]. وكان الألمان يعتقدون بأنه ليس من المنطقي مواجهة روسيا أول، لما يتمتع به الروس من موارد بشرية هائلة وأراضي واسعة جدا وشتاء ليس له نظير،

بينما باستطاعة ألمانيا أن تحسم المعركة مع فرنسا بسرعة ثم تحول اهتمامها ألي روسيا قبل أن تستكمل الأخيرة استعداداتها ووضعت هذه الخطة في 30-تشرين الثاني1887.[7]

وعلى هذه المفاهيم الأساسية بنى رئيس الأركان العامة الألمانية (الفريد فون شليفن 1891-1905 Schliffen) خطته الشهيرة الذي عدلت من قبله اكثر من مرة الى أن استقر رأيه على الهجوم عن طريق بلجيكا وشمال شرق فرنسا ومتقدما بسرعة كبيرة للقيام بوضع الجيش الفرنسي داخل قوس يمتد من شرق فرنسا الى شمال باريس، مستخدما في هذه العملية ما يقرب من مليون جندياً, ومفترضا أن الفرنسيين لن يظنوا بأن الألمان سينتهكون الحياد البلجيكي لذلك سيركزون قواتهم في المنطقة الشرقية من الراين مما سيسهل عملية إنزال الهزيمة بهم, وقد اعتبر شليفن أن قواته لن تحتاج الى اكثر من (42 يوما) لإتمام مهمتها.[8]

وقد بنى شليفن حساباته على قوة وسرعة الاكتساح الألماني لكلا من بلجيكا وفرنسا، والنجاح الكامل لعملية تطويق الجيش الفرنسي. ألا أن نقطة الضعف في هذه الخطة هو الانتهاك المتعمد للحياد البلجيكي والذي كانت كلا من ألمانيا وبريطانيا تضمنه بموجب المعاهدة الموقعة بينهما في سنة 1839م، والذي سيؤدي حسب ما أكد عليه بسمارك الى جر بريطانيا الى مواجهة مع ألمانيا وهو بالفعل ما تحقق.

3- الخطط البحرية:

كانت القواعد الرئيسية للأسطول الألماني في مينائي (كايل وويلهيلمشافين)، ومهماته الأساسية تتلخص في خوض حرب استنزاف ضد سفن وأساطيل دول الوفاق.[9] كما وضعت خططا مفصلة لتحقيق الاستفادة التامة من السلاح الألماني الجديد (الألغام البحرية). أما الغواصات البحرية الألمانية فكانت مهمتها تقضي بفرض طوق كامل على أوربا لاسيما الجزر البريطانية، والتمركز في البحر

المتوسط مع أسطول الغواصات النمساوي لمساعدة القوات العثمانية، هذا بالإضافة الى تدمير تجارة العدو الخارجية في محاولة لإثارة الرأي العام لهذه البلدان ضد حكوماتها.[10]

ثانيا- الاستراتيجية العسكرية النمساوية-المجرية:

1- الجيش النمساوي-المجري:

كانت الإمبراطورية النمساوية، أو كما كانت تعرف بإمبراطورية آل هبسبرك، تتمتع بموقع سياسي وجغرافي قلما قل نظيره غير أن حدودها الواسعة والقوميات المتعددة التي كانت تقطنها واللغات العديدة التي كانت تنتشر في أرجائها عملت بشكل سلبي على انحلال الإمبراطورية النمساوية واضعافها، لذلك كانت عملية تهيئة القوات العسكرية ونشرها على الحدود أمرا في غاية التعقيد لاسيما أن القوميات التي كانت تتكون منها الإمبراطورية تتحين الفرص للثورة والانفصال، فلهذا عمدت هيئة الأركان النمساوية على توزيع القوات العسكرية على الحدود بطريقة وضع الجنود في المناطق العرقية التي ينتمون أليها أو المماثلة لهم أو المتعاطفة معهم سياسيا[11]، كي يشعروا بوجود رابطة حقيقية تربطهم بالأرض التي يدافعون عنها غير رابطة الولاء للإمبراطور التي عفا عليها الزمن.

ومنذ الحرب النمساوية-السردينية في سنة 1859م بدأ التحلل والتفكك يصيب المؤسسة العسكرية النمساوية[12]، وعندما كانت الحرب العالمية الأولى على الأبواب كانت المؤسسة العسكرية تمر في سنوات من الانحطاط العسكري وكان الضباط والجنرالات يعيشون على أمجاد الماضي.

2- الخطط البرية:

كانت لدى المؤسسة العسكرية النمساوية المجرية خطتان مختلفتان لتصور الموقف الذي ستكون عليه الحرب،[13] الخطة الأولى – والتي اعتبرت أكثر

احتمال- كانت تصور حربا هجومية ضد صربيا والجبل الأسود.أما الخطة الثانية فهي خطة دفاعية ضد هجوم روسي محتمل في منطقة (غاليسيا).[14]

3- الخطط البحرية:

لم تكن أوضاع الأسطول النمساوي-المجري على ما يرام بالرغم من الاهتمام الكبير الذي حظي به من قبل أباطرة آل هبسبرك بعد انتصاره المفاجئ على الأسطول الإيطالي في معركة (فيس vis) أثناء الحرب النمساوية- البروسية في سنة 1866.[15]

وقد تركت الأوضاع الداخلية السيئة بصماتها واضحة على فاعلية البحرية النمساوية- المجرية بشكل عام وعلى الأسطول بشكل خاص, مما استدعى الحكومة الألمانية الحليفة على التكفل بتزويد الأسطول النمساوي - المجري بعشرات السفن والغواصات الجديدة والمصنوعة في المعامل الألمانية وعلى نفقتها الخاصة وركزت الخطط البحرية النمساوية - المجرية على مساعدة الأساطيل الألمانية في تدمير تجارة العدو الخارجية والسيطرة على البحر الأبيض المتوسط لتسهيل وصول الإمدادات الى الدولة العثمانية, إضافة الى قطع الطريق الذي يربط بريطانيا بمستعمراتها في الهند وكذلك قطع الطريق الذي يربط فرنسا بمستعمراتها في أفريقيا الشمالية.[16]

ثالثاً- الاستراتيجية العسكرية الروسية:

1- الجيش الروسي:

ترتكز المؤسسة العسكرية الروسية،على نقطتين أساسيتين في اغلب الحروب التي خاضتها لاسيما في المعارك الدفاعية هما: سعة أراضيها، ومصدرها الهائل من القوة البشرية, بالإضافة إلى ذلك فشعبها يتمتع، على الرغم من مشاكله الداخلية الحادة، بشجاعة وحماس وطني لايوصف.*

لكنه في مطلع سنة 1914م كانت المؤسسة العسكرية في واد ووزارة الخارجية الروسية والقيصر (نيكولاس الثاني 1894-1917 Nicholas II) وبطانته في واد أخر، كما كان يتفشى الفساد والعجز الإداري في ثنايا هذه المؤسسة، أما أفراد الجيش فقد كانوا في حالة مزرية فبينما كان الضباط يقضون معظم وقتهم في الحفلات والسهرات كان الجنود قد دربوا بشكل سيئ جدا وحسب مناهج القرن التاسع عشر.كما أن النقص بالأسلحة كان لايخفى على أحد، وحتى تلك التي كانت موجودة فهي أما قديمة أو منتهية الصلاحية في الغالب[17].

وإذا انتقلنا الى القطاع الصناعي فالوضع فيه قاتما ولايمكن مقارنته بالقطاع الصناعي الألماني أبدا, كما انه كان معروفا آنذاك وضعية المواصلات السيئة في روسيا على الرغم من الجهد الكبير الذي كان يقوم به قطاع السكك الحديدية[18]، آلا انه حتى هذا القطاع لم يكن بالمستوى المطلوب إذ كان يتعرض الى ضغط كبير في الشتاء لنقل الأفراد والمواد بسبب تجمد الأنهار والبحيرات الروسية طوال فترة الشتاء.وكل هذه الأمور والأوضاع كان لها مردود سلبي وبشكل كبير على أداء الجيش الروسي في بداية الحرب.

2-الخطط البرية:

قد لا يتفق جمهور المؤرخين الأوربيين على شيء قدر اتفاقهم على أن السبب الفوري لقيام الحرب العالمية الأولى هو إعلان روسيا التعبئة العامة لجيوشها, وهناك من يؤكد بأنه لولا استعجال روسيا في إعلان التعبئة العامة لاستطاع العالم احتواء الأزمة كما فعل سابقا في أزمات مراكش والبوسنة.

كانت الخطة الروسية كانة على تعبئة اكبر قدر ممكن من الفرق العسكرية وعلى عدة جبهات, أكدت الخطة على وجوب تقسيم الجيش الى قسمين, الأول يكلف بمهاجمة المناطق الشرقية لألمانيا عن طريق النتوء البولندي في اليوم الخامس عشر بعد التعبئة للاستيلاء على بروسيا, أما القسم الثاني والذي عرف باسم جيش

(المجموعة الجنوبية الغربية) فكان عليه إنزال هزيمة حاسمة بالجيش النمساوي المتمركز في (غاليسيا). وحسب الخطة الروسية كان على الجيش الروسي أن يبلغ في اليوم الخامس عشر للتعبئة (42 فرقة) وان يبلغ في اليوم الخامس والثلاثين للتعبئة الى (78فرقة).[19]

3- الخطط البحرية:

لم تكن الخطط البحرية الروسية واضحة فيما عدا التمركز في الخليج الفنلندي للوقوف بوجه التوسع الألماني,[20] وكذلك مهاجمة الموانئ العثمانية في محاولة واضحة لتحقيق السيادة في البحر الأسود وتحقيق الحلم الروسي القديم بالوصول الى المياه الدافئة.

رابعا- الاستراتيجية العسكرية الفرنسية:

1- الجيش الفرنسي:

ابتدأت مشاكل فرنسا منذ أن اقتطع الألمان منها مقاطعتي الالزاس.واللورين بعد حرب السبعين 1870م، فكانت الحكومة الفرنسية واقعة بين مطالبة الرأي العام الفرنسي لاسترجاع الأراضي المغتصبة وبين العزلة الدولية التي أحاطها بها المستشار الألماني (اوتو فون بسمارك Bismarck1890-1862) مما دفع جميع الحكومات الفرنسية المتعاقبة في الفترة (1871-1905م) الى عدم التفكير جديا باستعادة الالزاس واللورين.[21]

كانت مشكلة فرنسا الواضحة هي انعدام التكافؤ بين سكانها وسكان المانيا, فبينما كان عدد سكان فرنسا حوالي (40 مليون نسمة) كان عدد الشعب الألماني حوالي (65 مليون نسمة), وهذا يعني أن الطاقة القصوى التي تستطيع فرنسا أن تقدمها من الرجال لقواتها المسلحة لن تتجاوز آل(6 ملايين رجلا)، بينما كانت لألمانيا القدرة على توفير ما يقرب من آل(10 ملايين رجلا).[22] وقد وجدت فرنسا حلا لهذه المعضلة في نظام التجنيد الذي طبقته ،اذ كان على الشاب الفرنسي أن

يلتحق بخدمة السلاح وهو في العشرين من عمره ليؤدي خدمة لا تتجاوز الثلاث سنوات، ثم يكمل بعدها أحد عشرة سنة في الجيش الاحتياطي، بعدها ينظم لمدة سبع سنوات الى الجيش المحلي الإقليمي،واخيرا يخدم لمدة سبع سنوات في الجيش الاحتياطي الإقليمي.[23] وقد وفر هذا النظام مليون رجلا إضافي للجيش الفرنسي, وهو ماسيترك بصمات واضحة على فعالية الجيش الفرنسي خلال الحرب.

على أية حال، كان نظرة الفرنسيين الى قواتهم الاحتياطية تختلف بشكل كبير عن النظرة الموجودة عند الألمان لقواتهم الاحتياطية، اذ كان الفرنسيون يعتبرون جنود الاحتياط غير مسلحين ومفرغين لأداء الواجبات الغير قتالية خلف الخطوط الأمامية للجبهات وظنوا أن قوات الاحتياط الألمانية مشابهة لنوعية قواتهم.[24] وقد كان هذا خطأ فاحشا لأن الألمان كانوا يعتبرون جنود الاحتياط قوات من الدرجة الأولى مما سبب خسائر كبيرة للفرنسيين فيما بعد.وعموما كانت معنويات الجيش الفرنسي مرتفعة وكان قادته يعتقدون أن النصر سيأتي بعد امتصاصهم لزخم الهجوم الألماني الأول.

2- الخطط البرية:

لأكثر من ثلاثة عقود بعد الهزيمة الكبيرة في حرب السبعين مع ألمانيا، بنيت الخطط الاستراتيجية الفرنسية على أسس دفاعية مستندة على قلاع الحدود الشرقية، ومرفقة بعملية هجومية بسيطة باتجاه ألمانيا.[25]

ولكن في السنوات العشر الأخيرة والتي سبقت قيام الحرب سنة 1914م، وبتأثير توقيع الوفاق الفرنسي – البريطاني في سنة 1904م, سيطر فكر عسكري جديد على المؤسسة العسكرية الفرنسية أدى الى قلب المبدأ العسكري الدفاعي الى مبدأ هجومي عرف فيما بعد بأسم (مدرسة الهجوم).[26] وكان الفرنسيون يؤمنون بأن شجاعة الرجال وصمودهم كفيلين برد أي هجوم مهما كانت قوته وضخامته, وبما أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم لذلك امتلأت الخطة الفرنسية بالمصطلحات

التي تؤكد على الهجوم مثل (هجوم الى النهاية... هجوم بدون تردد... الهجوم هو الشرط الأول النصر...).

وهكذا جاءت الخطة التي وضعها الجنرال(لوزيو دي جراندميسون Louzeau de Grandmaison) في سنة 1913م والتي طورت فيما بعد من قبل الجنرال(جوفر Joffer) في سنة 1914م مليئة بالأخطاء ناهيك عن التخمينات السيئة لقدرات الجيش الألماني، والتي وضعت على أساسها مهمات الجيش الفرنسي.

3-الخطط البحرية:

كانت الخطط البحرية الفرنسية تستند على تمركز الأسطول الفرنسي في البحر المتوسط لحماية القوافل التجارية القادمة الى فرنسا من مستعمراتها في أفريقيا الشمالية من جهة، ومن جهة أخرى العمل على مشاغلة وتحطيم الأسطول النمساوي, إضافة الى بعض المهام المشتركة مع الأسطول البريطاني.[27]

خامسا- الاستراتيجية العسكرية البريطانية:

1- الجيش البريطاني:

كان لدى المؤسسة العسكرية البريطانية فلسفة عسكرية تختلف عن مالدى معظم دول العالم آنذاك، فقد كانت بريطانيا في الواقع قوة بحرية وتستخدم أسلوب الضغط السياسي والإعانات المالية لدعم الدول الأخرى في سبيل كسب ولاءهم ودعمهم لها (وظهر ذلك جليا في فترة الحروب النابليونية). أما الجيش البريطاني البري فمع انه كان جيشا محترفا ألا انه كان صغيرا ومنذ عهد (اوليفر كروميل 1649-1658م Oliver Cromwell) كان يستخدم فقط عند الحاجة الضرورية, أما دوره الرئيسي فكان تأمين الاستقرار في أنحاء الإمبراطورية وبشكل خاص الهند.[28] فلذلك كانت الساحة الأوربية مهملة بالنسبة للمؤسسة العسكرية البريطانية ولم يتم تهيئة الجيش لأي حرب قد يدخلها في أوربا ناهيك عن الأعداد لحرب كبرى.

ولحماية موقع الجزيرة البريطانية، وطرق الملاحة والمواصلات البحرية أبقت بريطانيا أسطولها البحري (الأسطول الأكبر في العالم) فلهذا كانت تشعر بالأمان ولم تجابه بأي تحد حقيقي طوال عدة قرون.[29] لكن في نهاية القرن التاسع عشر استجد أمرين احدثا قلقا شديدا في أوساط المؤسسة العسكرية البريطاني، هما:

1) قيام الألمان ببناء أسطول بحري كبير وظف للقيام بأعمال التوسع خارج أوربا، وهذا يعني بروز منافس قوي للأسطول البريطاني.
2) استخدام المحركات البخارية والصفائح الحديدية في صنع السفن قد ألغى بسرعة التقدم التاريخي الذي كانت تتمتع به بريطانيا في البحار طوال عدة قرون، اذ اصبح بإمكان أية دولة صناعية أن تقوم بصناعة أسطول بحري كبير إذا ما توفرت السبل والوسائل في غضون سنوات قليلة.

2- الخطط البرية:

ما أن تم التوقيع على الوفاق البريطاني الفرنسي في (8-نيسان1904م) حتى ابتدأت الاجتماعات الطويلة والمركزة بين مؤسستي الأركان العامة البريطانية والفرنسية والتي استمرت منذ سنة 1905م وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى في سنة 1914م, والتي ناقشت دور الجيش البريطاني في حالة قيام حرب أوربية ضد ألمانيا.[30]

ومنذ بداية القرن السابع عشر كانت السياسة البريطانية التقليدية خلال الأزمات والحروب هي الاعتماد الرئيسي على الأسطول البحري وتبني الأسلوب الدفاعي.[31] لكن الفرنسيين استطاعوا أن يحصلوا من البريطانيين على تعهد يقضي بالمشاركة في حربهم القادمة ضد ألمانيا واعتبار الجيش ألبريطاني الجناح الأيسر للجيش الفرنسي.[32]

لكنه في الحقيقة لم تكن لدى أي جنرال بريطاني في سنة 1914م آية تجربة آو خبرة في القيادة آو حتى التعامل مع الجيوش الكبيرة, كما أن الجنود ألبريطانيين لم يكونوا مهيئين للقيام بمهام قتالية تستغرق فترات طويلة.

3- الخطط البحرية:

كان من ابرز مهام البحرية الملكية البريطانية هي منع اقتراب العدو من الأراضي البريطانية، وتأمين الاتصال بقوات الحملة البريطانية المتمركزة في فرنسا، وحماية الساحل الفرنسي من خطر الهجمات الألمانية، إضافة الى مساعدة البحرية الفرنسية في حماية قوافلهم القادمة من شمال أفريقيا عبر البحر الأبيض المتوسط.[33]

كما كانت هناك خطة بحرية بريطانية فرنسية مشتركة تتركز على تحطيم تجارة دول الحلف الثلاثي البحرية من جهة, ومن جهة أخرى تأمين الحماية الأزمة لأساطيلهم التجارية .وفي عرض المحيطات كانت المهام المشتركة اكثر وضوحا في استهداف أساطيل الغواصات الألمانية.[34]

سادسا- الاستراتيجيات العسكرية لبعض الدول الأخرى:

أ-الخطط البلجيكية:

كانت مهمة الجيش البلجيكي تختلف بشكل كامل عن مهام باقي الجيوش المشتركة في الحرب، فبينما كانت مهام الجيوش الأخرى هجومية أو حتى دفاعية كان علي الجيش البلجيكي أن يتجنب مواجهة القوات التي تتفوق عليه بالعدد أو العدة.إذ أن هذا الجيش لا يزيد في احسن حالاته عن آل(200 ألف رجلا), لذلك كانت تؤكد الخطة البلجيكية على عدم التضحية به فتم توظيفه للدفاع عن المناطق المهمة في (أنتورب), والاعتماد على أسلوب العصابات في الدفاع عن المناطق الأخرى.[35]

ب-الخطط الصربية:

تركزت خطط الحرب الصربية على وجوب مضاعفة عدد فرق الجيش من خمسة فرق إلى عشرة فور إعلان التعبئة العامة, كما دعت هذه الخطط إلى تمركز

القوات حول العاصمة (بلغراد) القريبة من الحدود مع النمسا والمجر للدفاع عنها, ولمواجهة أي هجوم نمساوي.[36]

الخاتمة:

رغم كل الاستعدادات الهائلة للدول المتحاربة ألا أن الحرب ومنذ مطلع شتاء 1914م وحتى مطلع ربيع 1918م أخذت بعداً آخر وتحولت الى حرب خنادق طويلة ومريرة، واصبح التقدم في اغلب الأحيان يقاس بالياردات أما الإصابات فكانت تتجاوز عشرات الآلاف، وكان هذا عكس ما تمناه وأمله قادة الحرب الذين كانوا يأملون بالحسم السريع ووضعوا خططهم العسكرية بناء على ذلك, مما خلق وضعا قاتما عكس في حقيقة الأمر الفشل الكامل للعسكريين في وضع الخطط العسكرية.

من الواضح جدا وبعد هذا الاستعراض السريع، أن جميع الاستعدادات كانت سيئة الى ابعد حد، بل أن الخطط وبشقيها البري والبحري لم ينجح المتحاربون في رسمها ألا على الورق ولم تنفذ على الأرض حقيقةً لاسيما الخطط الألمانية التي كانت مبنية على الحسم السريع والنصر الحاسم, اذ كانت تصوراتها بأن الحرب لن تستغرق سوى اشهر معدودة في أسوء الحالات, كما أن خططها البحرية فشلت في أيجاد حلا لمعضلتها الاستراتيجية الكبرى وهي عزلتها عن مصادر الأغذية والمواد الخام والتي كانت فيما وراء البحار عندما نجحت البحرية الملكية البريطانية في ضرب حصار بحري عليها منذ بداية الحرب.

ولعل ابرز الفاشلين الاستراتيجيين من الطرف المقابل هي بريطانيا التي لم تستطع أن تنجح في اتخاذ قرار يوضح لها من هو العدو الذي يتوجب عليها أن تواجهه في خضم انقسام العالم الأوربي الى معسكرين ألا قبيل بضع سنوات من اندلاع الحرب عندما فشلت بعقد تحالف مع ألمانيا فانحازت الى غريمتها فرنسا في سنة 1904م، ومن الجدير بالذكر أن ابرز استراتيجيي الحرب الإنكليز لم يستطيعوا

أن يتوقعوا -حتى ولو على سبيل الافتراض- الفترة التي ستستغرقها الحرب ماعدا وزير حربيتها (اللورد كيتشنر Kitchener) الذي توقع أن تستمر الحرب مدة عام على الأرجح؟؟** وقد فندت الأحداث هذا التصور واثبتت بعده عن الواقع.

وينطبق تصورنا على باقي الدول المشاركة بالحرب لأنها جميعا انطلقت من تصورات أثبتت الأحداث خطئها وبعدها عن الواقع لاسيما أن هذه الدول صرفت أموال باهظة على رسم خططها الحربية وعلى التمرين على تنفيذها كما انطلقت في سياستها الخارجية بناء على هذه الخطط مما كلفها الشيء الكثير من مكانتها حتى أن بعضا منها فقد القسم الأكبر من أراضيه، وسقطت الحكومات وتغيرت أنظمة الحكم فيها نتيجة لهذه الأخطاء القاتلة.

وهكذا اختلف الوضع في المؤسسات العسكرية للدول المتحاربة بعد بداية الحرب بقليل حين أهملت الاستراتيجيات القديمة وتم استحداث أخرى جديدة في محاولة لمجاراة تطورات الحرب المتسارعة، بل أن بعض الدول عمدت الى استخدام أسلحة مبتكرة كالغاز السام والدبابات والمناطيد المجهزة بالقنابل لتحقيق أهدافها والتي عجزت استراتيجياتها العسكرية عن تحقيقها.

الهوامش

1- Mike Iavarone, Atlas Germany, Berlin 2000,p.12.

* شليفن: من ابرز قادة الذين ظهروا في ألمانيا والذي يعد أول من عمل على تحريف الأسس التي وضعها بسمارك للسياسة الخارجية الألمانية عن طريق وضع سياسة عسكرية هادفة إلى غزو فرنسا وروسيا.

2- Mike Iavarone, ibid,pp.34-37.

3- أ، فيشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث (1789–1950), ترجمة احمد نجيب و وديع الضبع, ط4, القاهرة 1964, ص ص253–303.

4- The Army Quarterly-Plan Schlieffen-, London 1929, pp.90-286.

5- Eva March Tappan, The world's story: A History of the world in story, vol VII, pp.253-262.

6- Primmary Document, OP.Cit.

7- ibid.

8- Encyclopedia Britannica, Inc, Volume 19, Willam Benton, Chicago, p.945.

9- Iavaroone, Op.Cit, p.19.

10- Alexander Von Muller, Chief of the Naval Cabinet 1914-1918, London 1961, pp.10-148.

11- Robert Massies, Dreadnought, ballantine, 1991,p.18.

12- ibid,p.33.

13- Primary Documents,Op.Cit.

14- Massies, Op.Cit, p.71.

15- تايلور, المصدر السابق, ص ص200– 209.

16- Haythrnth waite, Philip J, The world war one Sourcebook, Arms and Armour prees,Acasseel Imprint 1992,pp.80-380.

* برزت هذه العوامل بشكل كبير خلال الحرب العالمية الثانية أبان الهجوم الألماني على الاتحاد السوفيتي في السنين الأولى للحرب.

17- Great Britain, Parliamentary papers, vol cxxv, London 1908,p.3750.
18- The Army Quarteriy,Op.Cit.
19- J.F.C.Fuller, The Army in my Time, London,pp.14-151.
20- Mcentee,Op.Cit,pp.20-38.
21- أ.ج.ب. تايلور, الصراع على السيادة في أوربا 1848-1918, ترجمة كاظم هاشم نعمة و يوئيل يوسف عزيز, مطبعة جامعة الموصل, ص ص593-595.
22- The Army Quarterly, Op. Cit.
23- Alexander Fuehr, The Neutrality of Belgium, London 1915,p.158.
24- WW1, Primary Documents, pre-1914.
25- Fuehr,Op.Cit,p.184.
26- Primary Documents,Op.Cit.
27- Mcentee, G.L, Military history of the world war, New York 1943, pp.16-39.
28- Donald Hankey, A student in Arms 1917, London 2000, p.5.
29- ibid, p.18.
30- Great Britain, Op.Cit, Vol CIII,p.5969.
31- Hankey,Op.Cit,p.11.
32- Enc Britain,,Op.Cit,p.947.
33- Potter, E.B.and Nimitz,C.w, Sea power: A Naval history, Prentice- Hall inc,pp.394-395.
34- Eva Tappan,Op.Cit,pp.263-268.
35- Fuller,Op.Cit,pp.44-72.
36- Enc Britain,Op.Cit,p.949.

** حاول البريطانيون تجاوز أخطائهم في التقدير الزمني لفترة الحرب العالمية الأولى عندما أعلنوا رسميا أبان الحرب العالمية الثانية بأن هذه الحرب ستستمر لمدة ثلاث سنوات على الأرجح, على الرغم من أن الخبراء العسكريين كانوا يطبلون لما يسمى بالحرب الخاطفة, غير إنهم فشلوا مرة أخرى.

الإستراتيجيات الأمريكية الداخلية
اثر الاشتراك في الحرب العالمية الأولى
(1917-1918)

المقدمة:

إن موضوع اشتراك الولايات المتحدة الأمريكية كثيرا ما بحث وكتب فيه, إلا إن معظم ما كتب فيه لم يتعدى مناقلة الأمر من باحث إلى أخر وكأن هذا الموضوع الشائك لا يحتمل إن ندرسه بقولبة تاريخية جديدة. فنمركز الحدث لا على السببية التي دفعت هذه البلاد إلى الغوص في تطورات الحرب العالمية الأولى بل إلى الاستفاضة التاريخية العلاجية للحدث ومحاورة تطوراته في الواقع الأمريكي عبر الولوج بالسياسات الداخلية المتعددة التي افرزها الاشتراك في الحرب ومن ثم التمحور التاريخي حول الاستراتيجيات الداخلية المنبثقة من عالم الدخول إلى الحرب وتطوراتها المتلاحقة وصولا إلى نتائجها الداخلية المتعددة. وبهذا كانت لنا هذه المحاولة في إيضاح طرق الاستراتجيات الداخلية لهذه المشكلة, فعسى إن نكون وفقنا بذلك.

1- الإستراتيجية السياسية:

لم يكن إقرار قرار الاشتراك في الحرب العالمية الأولى من قبل كلا من مجلسي الشيوخ والنواب الأمريكيين سهلاً على الإطلاق فلقد استمرت النقاشات حوله في مجلس الشيوخ لمدة يومين وطالت المداولات لأكثر من ثلاثة عشر ساعة وأسفرت عن التصويت لصالح القرار بنسبة 90 صوتاً إلى 6 أصوات معارضة.[1] إما مجلس النواب فقد استمرت فيه النقاشات إلى صباح اليوم التالي ودامت لمدة سبعة عشر ساعة متواصلة وأسفر التصويت عن 373 صوتاً ايجابياً مقابل 50 صوتاً معارضا.[2]

وقد بذل الرئيس الأمريكي وودرو ولسن قصارى جهده في سبيل إقرار المشاركة في الحرب ولم يترك وسيلة ممكنة للضغط والتأثير على أعضاء الكونغرس إلا واستخدمها حتى انه اعتمد على قدراته البلاغية والخطابية كثيراً وأطلق في ذلك اليوم, وهو السادس من نيسان 1917م, كلمته الشهيرة ((لا يعوزنا عطف ولا رحمة لإعلان الحرب دفاعاً عن العالم)).[3]

وأول عمل قامت به الإدارة الأمريكية في ظهيرة يوم السادس من نيسان 1917م وهو يوم إعلان الاشتراك في الحرب, إصدار المحكمة العليا في الولايات المتحدة مذكرة توقيف بحق جميع السفن الألمانية الراسية في الموانئ الأمريكية والتي كان عددها 91 سفينة, وفي ميناء نيويورك وحده تم توقيف 27 سفينة وكان ذلك سابقة خطيرة في العلاقات الدولية.[4]

ما إن دخلت الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى حتى برزت مشاكل كبيرة ومجادلات عنيفة في الأوساط الرسمية والشعبية الأمريكية حول ماهية وظيفة القوات الأمريكية في الحرب, وهل سيتم دمجها مع قوات دول الوفاق في الخطوط الأمامية للجبهات الحربية, أم على النقيض من ذلك سيتم صنع جيش أمريكي مستقل.[5]

كما أثيرت قضية أخرى تمحورت حول هل سيتم إرسال قوات استطلاعية بصورة فورية للمشاركة في الحرب على الأراضي العسكرية الفرنسية على إن تعقبها وصول الإمدادات تباعا,[6] أم سيتم تهيئة القوات وتدريبها وتنظيمها وتجهيزها في الأراضي الأمريكية قبل إن ترسل للمشاركة في الحرب.[7] وهنا حزم الأمر الرئيس الأمريكي وودرو ولسن (1913-1921) عندما اتفق مع قادة الجيش بعدم إرسال قوات فورية إلى أوربا والتأكيد على وجوبية إن يقاتل الجيش الأمريكي كجيش مستقل, وتم إخطار الكونغرس الأمريكي بذلك.[8]

على إننا يجب إن نعرف إن الحاجة الحقيقية لدول الوفاق وحسب المداولات التي كانت جارية في مجلس العموم البريطاني,فأن هذه الدول كانت بأمس الحاجة إلى الغذاء والسلاح فقط وكانوا في غير حاجة لأية قوات بشرية,[9] حتى إن بعض أعضاء البرلمان البريطاني عارضوا وبشكل علني إرسال قوات أمريكية إلى أوربا, وبرروا ذلك بأن إرسال القوات العسكرية الأمريكية إلى أوربا سيحدث نقصا خطيرا في أسلحة الوفاق والتي كانت تتكفل الولايات المتحدة الأمريكية بتوفيرها لهم.[10] وانضمت إلى هذه الحملة المعارضة صحيفة التايمز اللندنية عندما أكدت إن مشاركة الجيش الأمريكي بصورة فعلية في الحرب هو عمل غير مرغوب به من قبل دول الوفاق,[11] حتى إن رئيس هيئة أركان القوات البريطانية الجنرال (وليم روبرستون), والذي شغل هذا المنصب في كانون الأول 1915 إلى شباط 1918م, أكد لأحد أصدقائه بأن دخول القوات الأمريكية لن يحدث فرقا وأنه غير منتظر منها تقديم مساعدة حقيقية.[12]

وقد بنا الإنكليز موقفهم هذا على عدة أمور يأتي في أولها إن المشاركة الأمريكية ستحدث نقصا كبيرا في الغذاء والسلاح, إضافة إلى عدم قدرة أمريكا في ظرف عام توفير أكثر من مائتين وخمسين ألف مقاتل,[13] يضاف لذلك عدم توفر الخبرة القتالية للقوات الأمريكية.[14] وكان الموقف الفرنسي متوافق مع الموقف البريطاني إزاء هذا الأمر إذ كان لديهم شك كبير في القدرات العسكرية الأمريكية,[15] لذلك طالبوا- إن كان لا مفر من دخول القوات الأمريكية الحرب- بأن ينظم الجنود الأمريكان إلى جيوش دول الوفاق ويقاتلوا حسب العقيدة العسكرية لكلا الجيشين البريطاني والفرنسي لا كجيش أمريكي مستقل,[16] وبمعنى أخر أصرت دول الوفاق على دمج القوات الأمريكية, أي دمج القوات الأمريكية مع القوات البريطانية والفرنسية في الجيشين البريطاني والفرنسي.

وكانت لهذه القضية مؤيدين و معارضين في الولايات المتحدة الأمريكية, فمؤيدوها أكدوا بأنه سيوفر التدريب المجرب للجنود الأمريكان من قبل الفرنسيين

والبريطانيين مما سيقلل الخسائر الأمريكية من جهة, ومن جهة أخرى بان ذلك سيؤدي إلى إن تقدم وتؤدي القوات الأمريكية دورا فعالا في الحرب, وبأن سياسة الدمج هي الحل المثالي سياسيا وعسكريا.[17] إما معارضي سياسة الدمج فقد أكدوا بأن القادة العسكريين الأمريكيين لن يوافقوا على التخلي عن قيادة جيوشهم لقادة دول الوفاق, إضافة إلى أن الرأي العام الأمريكي سينظر لهذا الأمر بأنه سيقضي بتحويل واستخدام الجنود الأمريكان كوقود للجيوش البريطانية والفرنسية,[18] وكان ابرز المعارضين لهذه القضية هو الرئيس ولسن مصحوبا بوزير الدفاع بيكر.[19]

وإزاء حالة الرفض الكبيرة التي انتشرت في الولايات المتحدة الأمريكية لمحاولة دمج القوات الأمريكية في جيوش دول الوفاق ارتأت دول الوفاق تشجيع القادة الأمريكان على إرسال قوات أمريكية إلى أوربا مما سيمكن الولايات المتحدة الأمريكية من المشاركة الفعلية والفورية في الحرب.[20] واقترحت بريطانيا في ذات الوقت إرسال وفد سياسي وعسكري من جانبها إلى واشنطن في منتصف شهر نيسان 1917م, للتنسيق مع هيئة الأركان الأمريكية في هذا الصدد.[21] ومع إن الرئيس ولسن كان يدرك بأن بريطانيا تنوي وترغب استلام مسؤولية الجيش الأمريكي الذي سيقاتل في أوربا من السلطة السياسية الأمريكية, إلا انه وافق بعد تردد على السماح لهذه البعثة بزيارة واشنطن,[22] فوصلت في 13 نيسان 1917م وكانت برئاسة وزير الخارجية البريطاني (آرثر بلفور) من الجانب السياسي, والجنرال (توم ليفربول) من الجانب العسكري.[23]

وفي وقت متزامن أرسل الفرنسيين بعثة سياسية وعسكرية إلى واشنطن وكانت برئاسة رئيس الوزراء السابق (رينيه فيفيني) سياسيا, إما عسكريا فبرئاسة المشير (جوزيف جوفر).[24] وكان هذا الأمر مدبرا مع الساسة الانكليز إذ هدفوا من ذلك إلى النجاح بإقناع الأمريكان بإرسال فوج استطلاعي بطريقة مباشرة إلى أوربا بغض النظر عن حجمه لأنهم كانوا يرون إن الحضور الأمريكي ومهما كان حجمه سيحقق عدة أهداف في مقدمتها, رفع الروح المعنوية الضعيفة لجنود دول

الوفاق, وإفساح المجال للولايات المتحدة الأمريكية في تقديم المساعدة التي تأملها (للدول الديمقراطية), ولتقديم رؤيا واضحة للأمريكان عن حقيقة التعنت الألماني, وكل ذلك سيؤدي بالتالي إلى توفير التدريب المجرب للقوات الأمريكية عبر دمجهم بقوات دول الوفاق.(25)

إلا إن الرئيس ولسن ووزير دفاعه رفضا هذه الأفكار الأوربية بشدة مما دفع الوفد البريطاني إلى إن يتخبط في طرح الأفكار المتعجلة والتي كان من أغربها طرحه لفكرة (الجسور العامة) والتي تتمحور في إعلان التجنيد الإلزامي في الولايات المتحدة الأمريكية على إن لا يشمل سوى المواطنين الأمريكيين ذوي الأصول البريطانية ثم يتم إرسالهم إلى بريطانيا لتلقي التدريب اللازم ومن بعدها سيتم ضمهم إلى الجيش البريطاني.(26) وقد رفض الرئيس ولسن ذلك إذ عنى له انه لو وافق على هذا الاقتراح سيكون قد مزق الأسس التي قامت عليها الولايات المتحدة الأمريكية.(27)

إما البعثة الفرنسية وبعد إن فشلت هي الأخرى في إقناع الأمريكان بسياسة دمج القوات ضغطت بكل قوة على وجوب إرسال قوات أمريكية صغيرة بصورة فورية إلى فرنسا في محاولة لرفع الحالة المعنوية المتدهورة للقوات الفرنسية.(28) غير إن الرئيس ولسن والوزير بيكر رفضا ذلك لان إرسال قوات غير مدربة إلى ساحات القتال كان يعني مذبحة جماعية للقوات المرسلة, يضاف لذلك المدى والتأثير السلبي الذي سيصحب نتائج هذا العمل على معنويات جيوش الوفاق عندما تشاهد النكسة السريعة للقوات الأمريكية.(29)

وبعد إن شعر مبعوثي دول الوفاق باليأس والإحباط من الموقف الأمريكي جاءت المفاجأة اثر تغيير الرئيس ولسن لموقفه بصورة عكسية تماما وجاء ذلك بعد الاجتماع الذي عقده مع المشير (جوزيف جوفر) رئيس هيئة الأركان الفرنسية, والذي طال لأربعة ساعات وعلى انفراد.(30) وقد نجح جوفر على حمل الرئيس ولسن على إصداره أمر لإرسال القوات الأمريكية إلى فرنسا بصورة فورية.

ويبدو إن الرئيس ولسن قد اتخذه قراره من دون إخبار أو استشارة وزير دفاعه لكنه اقتنع بأنه بقراره هذا سيرضي الرغبة العاطفية للشعب الفرنسي إذا ما شاهدوا الجنود الأمريكان على الجبهة, كما انه بذلك سيحفز الفرنسيين كثيرا في الدفاع عن بلدهم بوجه الألمان.[31]

ومن الواضح إن الرئيس ولسن قد اتخذ قراره بشكل انفرادي, وقد كان قراره دبلوماسيا أكثر مما كان عسكريا, لأنه وافق وبصورة مباشرة على عدة مسائل كان يرفضها بشدة كإرسال القوات بشكل فوري وإخضاعها لتدريب بريطاني وفرنسي حال وصولها لأوربا. ويبدو إن تصوراته عن تحقيق السلام العالمي كان لها الدور الأكبر في اتخاذه لهذا القرار, غير إن ذلك لا يمنعنا من التأكيد على الدور اليهودي الصهيوني في تبعية اتخاذ هذا القرار. ومع كل ذلك لم يفرط الرئيس ولسن في دخول الجيش الأمريكي كجيش مستقل كما انه لم يكشف لساسة دول الوفاق عن أفكاره حول تحقيق السلام العالمي.[32]

على إن المعارضة الكبيرة لهيئة الأركان العسكرية الأمريكية على قرار الرئيس ولسن هذا, والذي اثر فيما بعد على اختيار القائد للجيش الأمريكي في أوربا إذ تم اختيار قائد له من خارج ضباط الهيئة,[33] كانت موضوعية من الناحيتين العسكرية والدبلوماسية, فمن الناحية العسكرية يعرض الجيش الأمريكي إلى خطر الوقوع في الهزيمة خصوصا انه لم يكمل استعداداته العسكرية مما سيؤدي إلى فاجعة دبلوماسية تنحدر نحو هزيمة دول الوفاق الكبرى اثر الانكسار المتصاعد في معنويات الجيوش,[34] مما سيعني هذا مغامرة كبيرة في توقع أي نصر دبلوماسي للولايات المتحدة الأمريكية بعد نهاية الحرب. ومع كل هذا فقد تم وضع خطط التعاون العسكري الفرنسي-الأمريكي في الحرب في 14 أيار 1917م بين جوفر وبيكر,[35] وبعد أربعة أيام وقع الرئيس ولسن على مرسوم التجنيد الانتقائي.[36] وغادرت القوات الأمريكية إلى أوربا في مطلع شهر حزيران عام 1917م في سرية تامة إلى فرنسا.[37]

2- الإستراتيجية العسكرية:

كان الجيش الأمريكي يفتقر إلى ابسط مستلزمات وتجهيزات الحرب الحديثة من تدريبات عسكرية وخطط قتالية مبتكرة وقنابل وأسلحة الحقول الثقيلة والغاز السام والمدفعية المتطورة,[38] إلى درجة إن الجيش الأمريكي كان يصنف بين جيوش العالم بالمرتبة السابعة عشرة, ويأتي تصنيفه بعد كلا من جيوش الدنمارك وهولندا وتشيلي.[39]

كانت مهمة تطوير هذا الجيش, والذي كان يوصف بـ-دار كبار السن-, وتحويله إلى جيش حديث يتمتع بفكر استراتيجي وعقيدة قتالية وعقلية بطولية تقع على عاتق هيئة الأركان التي هي الأخرى كانت بأمس الحاجة إلى إصلاح حقيقي.[40] وقد تم تشكيل أول لجنة لإصلاح الجيش في عام 1900 عرفت بلجنة ((الودلو)),[41] وتوالت بعدها لجان الإصلاح التي كانت في معظمها شكلية وبلا معنى, مما استدعى إلى إنشاء كلية للحرب بحيث تكون منفصلة عن هيئة الأركان وتتولى مهام التخطيط الاستراتيجي وبناء العقيدة القتالية العسكرية للجيش.[42]

ومن المهم إن نبين إن قيام الحرب العالمية الأولى كشف عن حقيقتين أساسيتين بما يتعلق بجاهزية الجيش الأمريكي لخوض النزاعات الكبرى وسبل التعامل مع المتغيرات الدولية, الحقيقة الأولى إن الولايات المتحدة الأمريكية بإدارتها العسكرية والسياسية قد وجدت نفسها في حالة كبيرة من الغفلان وفي أتم البعد عن الاستعداد لدخول الحرب إلى درجة إن قياداتها لم تتجاسر على الإعلان بالاشتراك في الحرب إلى شهر نيسان 1917, ولم يكن لدى الزعماء السياسيين والعسكريين الجرأة ولا الإمكانية لمخاطبة الشعب الأمريكي أو دفعه إلى تقبل فكرة الاشتراك في الحرب على الرغم من إن أوربا كانت تجتاحها منذ ثلاثة سنوات.[43]

إما الحقيقة الثانية فكانت في تناقض رسم ووضع الخطط العسكرية بين نظرة السياسيين وتعارضها مع مفاهيم القادة العسكريين, فالرئيس ولسن كان يتدخل في

معظم المسائل والقضايا العسكرية مهما صغر شانها وقلة أهميتها ومن ثم يبدي ملاحظاته والتي كانت تتناقض مع الواقع العسكري.[44] فضلا على إن الجيش لم يكن هناك من يدعمه من الزعماء السياسيين ورجال الكونغرس ومن كلا الحزبين, وكان هناك صراع مستمر ومتفاقم ما بين الكونغرس والجيش كانت الغلبة فيه دوما للكونغرس والذي كان يخشى من قيام دكتاتورية عسكرية في البلاد شبيهة بدكتاتورية العسكر في بروسيا ومن ثم ألمانيا.[45]

وكان الكونغرس يأمل في تحقيق السيطرة التامة على الجيش ومنعه من جر البلاد إلى الانغماس في الحرب الأوربية, غير إن أوضاع الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسير وبشكل متسارع نحو المشاركة في الحرب ولاسيما اثر تعيين وزير جديد للدفاع في نهاية تشرين الثاني 1916 وهو -نيوتن بيكر- الذي اشتهر بكفاءته الإدارية وطموحه وعزمه على إصلاح وضع الجيش المتردي,[46] فعمد على إعطاء هيئة الأركان مطلق الصلاحيات لما أعلن في 3 كانون الأول 1916 ((بأن رئيس هيئة الأركان يتحدث باسم وزير الدفاع, ويشرف ويتابع كافة الدوائر والهيئات والأقسام التي في الوزارة...)).[47]

ومن هنا بدأت المركزية تظهر في إدارة أقسام الجيش الأمريكي كما إن مسار المخططات العسكرية أصبحت أكثر وضوحا للمراقبين الأوربيين مما دفع الملحقين العسكريين الأمريكيين في كل من لندن وباريس إلى إرسال مذكرة مشتركة الأهداف أوضحا فيها الخطر الكبير على الجيش والأمة الأمريكية إذ لم يتم وضع إستراتيجية كفوءة وواضحة مع الإصرار على وجوب التدخل الفوري في الجبهة الغربية.[48] كما قام الملحق العسكري الأمريكي في العاصمة اليونانية-أثينا- بإرسال سلسلة مذكرات في شهري تشرين الثاني وكانون الأول عام 1916 اقترح فيها إستراتيجية معينة في حالة إرسال قوات أمريكية إلى الخارج, ومؤكدا على وجوب إهمال منطقة الجبهة الغربية مؤقتا والتركيز على مقدونيا وما يجاورها لأنه يرى إن المصالح الأمريكية المستقبلية كبيرة فيها.[49]

كانت سياسة الجيش الأمريكي منذ نهاية القرن التاسع عشر مرتكـــزة علـــى تقديم الدعم الكبير للسياسة الخارجية,[50] كما إن الأسطول الأمريكي كـــان جـــاهزا لفرض – سياسة مبدأ مونرو– على دول القارتين الأمريكيتين والقارة الأوربية, لكن هذا المبدأ وان كان له تأثير سلبي على الدول الأوربية في الأمريكيتين غيـــر انـــه وبذات الوقت فقد أعاق تحقيق أهداف ومصالح الولايات المتحـــدة المرجـــوة فـــي أوربا,[51] وعندما اندلعت الحرب العامية الأولى كانت لدى الولايات المتحدة مصالح كبرى تتجاوز جغرافية القارتين الأمريكيتين مما عنى وجوب التخلص السريع مـــن قيود مبدأ مونرو والعمل تدريجيا لتوسيع مجالات الدبلوماسية الأمريكيـــة,[52] لـــذا نؤكد إن السياسة العسكرية الأمريكية قد سبقت بخطوات عدة التوسع الدبلوماسي.

ومن الجدير بالذكر انه وفي مطلع شهر شباط 1917 بـــدأت الاســـتعدادات الأمريكية شبه الرسمية للحرب, وكانت استعدادات تعيسة بكل ما تعنيه الكلمـــة,[53] واثر الإعلان الألماني عن استئناف حرب الغواصات المفتوحة تمت تهيئـــة هيئـــة الأركان الأمريكية لحرب بحرية وشيكة مع ألمانيا. أعقبها قيام هيئة الأركان بتقديم مذكرة إلى الرئيس ولسن في 7 شباط 1917 احتوت على مشروع شبه متكامل في التخطيط للتخمينات الضرورية للحرب,[54] وأكدت المذكرة على:

1- تحديد أولويات البلاد عسكريا.
2- تجهيز خطوط المواصلات والتركيز على خطوط السكك الحديدية.
3- تجهيز الملابس والأغذية والأحذية والفحم.
4- تغييرات قصوى في الصناعة والإنتاج المحلي وبما يتلاءم مـــع حاجيـــات البلاد في ظرف الحرب.
5- نصب التوربيدات في كافة الموانئ الأطلسية الساحلية.
6- تهيئة وإعداد العدد الكافي من الموظفين والمنتسبين لسد حاجيات الحـــرب البحرية.

7- شراء ارض منتزه – مونتوك- لتأمين الحماية لميناء نيويورك من غـــزو ألماني محتمل.[55]

وبالرغم من إن العديد من هذه الخطوات تتطلب دورا نشيطا اكبر بكثير مـــن دور وإمكانية الجيش الأمريكي آنذاك, إلا إن الخطوات الثلاثة الأخيــرة والخاصـــة بضمان إجراءات الدفاع الساحلي أثارت قلقا حقيقيا في الأوساط العسكرية والسياسية والشعبية الأمريكية لأنها عنت إن البلاد قادمة على مواجهة خطر الغزو ولم تستبعد الوقوع تحت طائلة الاحتلال.[56] لكن الرئيس ولسن, الذي لم يكن قد وصـــل إلـــى درجة الحزم والتي اشتهر بها لاحقا, لم يتخذ خطوات حقيقية لتشكيل قوة عســكرية كبيرة بشكل علني لخشيته من رد الفعل الجماهيري مما سيؤثر بالتالي على فرصته في تجديد انتخابه للمنصب الرئاسي في دورة ثانية, على انـــه ســمح للمخططــين العسكريين بدراسة الدور المحتمل للولايات المتحدة الأمريكية في الحرب الأوربيـــة ووضع الخطط الأولية للتدخل واعتماد التخمينات الأولية لكلفـــة التـــدخل الجبهـــة المقدونية أو الهولندية أو الجبهة الغربية.[57]

ومع كل هذه التطورات إلا إن هيئة الأركان الأمريكية ما زالت بعيـــدة عـــن إدراك حقيقة وضعها وتفهم طبيعة دورها في ضوء تحكم الكونغرس فـــي الســـلطة وامتناعه عن إعطائها فرصة التحرك المنفرد أو صرف الأموال الضرورية لصنع الملابس العسكرية لإفراد الجيش.[58] ومما زاد من مشاكل الجيش رفض الكونغرس للمذكرة التي قدمها إلى الرئيس في السابع من شهر شباط 1917 ولــم يتبنـــى إلا الموافقة على زيادة إعداد الجيش وبنسبة ضئيلة مما أراده قادتـــه,[59] كمـــا جـــدد الكونغرس رفضه الدخول في الحرب لانعدام الأسباب الدافعة لذلك ولافتقار الـــبلاد إلى جيش خبير.[60]

زاد الرئيس ولسن الضغط على الجيش حينما وصف إمام زعماء الكونغرس مذكرة الجيش التي قدمت مسبقا له بأنها –مذكرة تافهة–,[61] وقرر إضـــافة عـــدة

تعديلات عليها واقترح أيضا اعتماد التجنيد الإلزامي, القائم على فتح باب التطوع ومن ثم إجراء قرعة بين المتقدمين في أوقات مفترقة وحسب حاجة الجيش واستلزام اختيار الكفوئين منهم.(62)

وفي تقييم سريع لإستراتيجية الجيش الأمريكي تظهر إن خططه القائمة على الارتقاب والخوف من مواجهة غزو ألماني أو ياباني كانت غير واقعية للصعوبات الإستراتيجية واللوجستية العميقة للتهيئة أو القيام بهذه الأفكار والتي لم تخطر ببال الألمان واليابانيين, وان تفكير بسيط لإمكانية حدوث غزو ألماني أو ياباني للأراضي الأمريكية سيظهر بشكل لا يقبل الشك عدم واقعيته, غير إن هذه الأفكار وظفت واستثمرت كحجة لإقناع الشعب الأمريكي بضرورة الدخول إلى الحرب على إن أمريكا (اضطرت لدخول الحرب كمدافعة عن نفسها لا غير), وان الجيش الأمريكي وطوال هذه الفترة لم تسنح له فرص الإصلاح الحقيقية لخضوعه بصورة وبأخرى لنفوذ السياسيين الذين كانوا يخشون من قيام رجال العسكر بصنع وإيجاد دكتاتورية عسكرية لذا كان لابد من تفوق العنصر المدني في السياسة الأمريكية دوما.

3- الإستراتيجية الاقتصادية:

كانت مهمة تحويل الاقتصاد الأمريكي إلى اقتصاد حربي يمثل تحد كبير للحكومة الأمريكية, إذ إن عملية تهيئة الأمة وتنظيمها استعدادا" للحرب أصعب بكثير من مهمة تشكيل الجيوش وإرسالها لخوض المعارك, وقد أوضح ذلك بجلاء الرئيس ولسن حينما قال ((نحتاج لجهد كل رجل وامرأة وطفل, وحاجتنا ليس إرسال الرجال إلى القتال في الخارج فقط, بل حاجتنا القصوى والمستعجلة هي توفير الذخيرة والغذاء والتجهيزات الضرورية لدول الوفاق التي هي على حافة الإعياء)).(63)

وما إن تم إعلان المشاركة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى حتى اتسمت الإدارة الحكومية بالتوجيه والسيطرة الاقتصاديين كما حدثت إعادة ترتيب للموازنة المالية بين الحكومة الاتحادية والولايات المختلفة, كما منح الكونغرس الرئيس ولسن صلاحيات واسعة وسمح له بالتحكم الفاعل في الصناعات الأساسية والمسائل التموينية وتحديد الأسعار والسيطرة على النقل والتوزيع.[64]

ولعسكرة الاقتصاد الأمريكي قامت الحكومة بسلسلة كبيرة وضخمة من الإجراءات الشاملة للكمال بقضية التعبئة الاقتصادية, فقد تم استحداث ستة هيئات رئيسية تتمتع بسلطات مطلقة, وتركز اهتمامها على مسائل ((الشحن, الغذاء, الوقود, سكك الحديد, التجارة, الأولويات)). وأصبح رؤساء هذه المؤسسات أعضاء في وزارة الحرب التي كان يرأس اجتماعاتها وبشكل دوري الرئيس ولسن.[65]

إن من ابرز الأولويات التي واجهت الحكومة هي رفع معدل الإنتاج الاقتصادي للأمة, فتم في تموز 1917م استحداث هيئة الصناعات الحربية برئاسة ((بيرنارد بروج)), وقد أصبحت هذه الهيئة مسئولة بشكل مباشر على رفع إنتاج المصانع وإزالة العراقيل التي تعترض سبل رفع الإنتاج, ولتسريع الإنتاج تم توحيد مقاييس المنتجات, كما تم تشجيع القطاع الخاص ليساهم في توفير السلع والحاجيات بوقت قصير.[66]

وتحملت هيئة الشحن الأمريكية مسؤولية عمليات النقل, وكانت مهمتها بناء السفن وإيصال التجهيزات إلى جبهات القتال, فضلاً عن شراء وإيجار السفن المحايدة ومصادرة السفن الألمانية الراسية في الموانئ الأمريكية, وقد أدى ذلك إلى ارتفاع معدل الشحن البحري الأمريكي من مليون طن إلى عشرة ملايين طن.[67]

وبما إن النقل قد خضع لعملية التعبئة العسكرية فأن الحكومة سيطرت على عملية تنظيم السكك الحديدية منذ كانون الأول 1917م, وبعد إن ثبت نجاح سكك الحديد في توفير متطلبات الحرب الكبيرة المتمثلة بنقل القوات والمعدات, قامت

الحكومة وبنفس النمط بالسيطرة على خطوط البريد والهواتف ومحطات النقل ووكالات الاتصال والمخازن.[68]

ومنذ آب 1917م أصبح الإنتاج الزراعي تحت مسؤولية ((هيئة إدارة الغذاء)) التي يرأسها ((هربرت هوفر)) – الذي اشتهر لدوره الكبير في عمليات الإغاثة في بلجيكا–, وقد شجع هوفر إنتاج المحاصيل الأساسية كالحنطة والأرز والسكر واللحم, واقنع مواطنيه بتوفير الغذاء عبر إتباعهم سياسة ((الهرفرزنك)) والتي هي عبارة عن تعويد الأمة على جعل يومي الثلاثاء والجمعة دون لحم, وأيام الاثنين دون سكر, مما أدى إلى نجاح عمليات تقنين الطعام في المنازل ومضاعفة صادرات الأغذية إلى أوربا.[69]

كما عملت هيئة إدارة الوقود بنفس الطريقة تقريباً وذلك لتحفيز وتشجيع إنتاج الفحم والنفط وأنواع الوقود الأخرى, وفي ذات الوقت تقليل استهلاك الوقود في البلاد, وهنا اعتادت الأمة وعلى نفس النمط على أيام الاثنين من دون وقود.[70]

واستكمالاً لهذه الإجراءات تم استحداث هيئة الأعمال الحربية لغرض حل النزاعات بين العمال والمسئولين في الصناعات الحربية, وقد ترأس هذه الهيئة ((صموئيل كوبيرس)) الذي نجح في تنظيم عملها وكسب دعم الجمهور لها.[71]

4- الإستراتيجية الاجتماعية:

إن التحول الاجتماعي الذي مر به المجتمع الأمريكي وتعزز اثر المشاركة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى استحق الاهتمام بجدارة لأنه اثر في عدة شرائح من الأمة الأمريكية, وقد كان ابرز وأوضح جوانب التغيير هو التفكك شبه التام للنظام القديم مصطحبا أفكاره التي سيطرت لعقود زمنية سيطرة فعلية من نهاية الحرب الأهلية الأمريكية ولمطلع قيام الحرب العالمية الأولى.[72]

مع انطلاقة الحرب العالمية الأولى كانت الولايات المتحدة الأمريكية تغطي رقعة جغرافية تزيد بقليل مساحتها عن ثلاثة ملايين ميل مربع, إما عدد سكانها فقد

كان اقترب من اثنين وثمانين مليون نسمة.[73] وكان الجنوب الأمريكي من أكثر المناطق الأمريكية تخلفا إذ كان يفتقر إلى أي صناعة كبيرة ومتردي اقتصاديا ومهمل سياسيا ومفعم بالمشاكل الاجتماعية وكان قابعا بمشاكل ومخلفات الحرب الأهلية الأمريكية, ومع إننا كنا على أعتاب العقد الثاني من القرن الميلادي الجديد, إلا إن الولايات المتحدة كانت ما تزال امة مهاجرين غير منسجمة كأمة واحدة وشعبها متناقض في اغلب الأمور ومتنازعين فيما بينهم بسبب تركات عدة أتى بمقدمتها تركة نظام الرق والتمييز العنصري.[74]

وفي داخل الولايات المتحدة عمل الرئيس ولسن على ترويج فكرة ((السلام يعمل لحماية الديمقراطية العالمية)), كما قام بعض رجال حكومته بتحبيب الحرب للناس, كوزير الدفاع ((نيوتن بيكر)) الذي صورها بأنها مهمة عالية ومقدسة. ووزير الداخلية ((فرانكلين لين)) الذي تكلم عن الحرب بأنها حرب السيد المسيح.[75]

ومن ابرز النتائج العرضية لاشتراك الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى والتي تمثلت بآثار ونتائج اجتماعية هي الأفلام الهوليودية التي حظيت بسمعة كبيرة بوصفها أداة ذات هدف قومي, ومنذ ذلك الحين انضمت الطبقة الوسطى إلى العمال في التوجه إلى دور عرض الأفلام, والتي عبدت طريقا لترسيخ مواقف اجتماعية كثيرة سادت لاحقا.[76] فقد ساندت هوليود الحرب بصنعها الأفلام والأغاني المؤيدة, كأغنية المطرب ((ارفينج)) والتي حملت عنوان ((برلين هناك)) والتي صورت الجنود الأمريكان الذين يعبرون الأطلسي إلى أوربا, إضافة إلى صناعتها للأفلام الحماسية كفيلم ((إلى الجحيم مع قيصر)) و((وحش برلين)) و((مائة بالمائة أمريكي)) والتي أظهرت الجيش الألماني يقوم بغزو الساحل الشرقي للولايات المتحدة, مما ساعد على تعبئة الشعور الوطني المعادي لألمانيا.[77]

ومع كل ذلك فأن الرئيس ولسن بقى قلقاً بشأن عدم تقبل الأمريكان للحـــرب, فعمل كل ما يستطيع لإقناعهم بحتمية الاشتراك في الحـــرب وان دخـــول أمريكـــا الحرب كان الحل الأخير, لذا قام بفرض قانون التجنيد الانتقائي بدل الاعتماد علـــى المتطوعين,[78] وقد وقع الرئيس ولسن قانون الخدمة العسكرية الانتقائيـــة فـــي 18 أيار 1917 وسجل أولى المجموعات من المجندين في 5 حزيران عندما سجل 9,5 مليون رجل تتراوح أعمارهم بين الحادي والعشـــرين والحـــادي والثلاثـــين لأداء الخدمة العسكرية ثم سرعان ما قام الكونغرس بخفض السن إلى 18 عام كما زادها إلى حد 45 عاما.[79]

ثم قيام الرئيس ولسن باستحداث ((هيئة المعلومات العامة)) والتي قامت بنشر الملصقات التي تحمل الشعارات الوطنية والتي تشجع على الاشتراك فـــي الحـــرب بكل إرجاء الولايات المتحدة, إضافة إلى تحويل قاعات المسارح والســـينمات إلـــى مراكز للخطابات والشعارات الوطنية,[80] كما دعا إلى تشريع قمـــع المعارضـــين للحرب وكتم أصواتهم, ولا يوجد شك في إن الحرب أضـــعفت حماســـة الحركـــة الفكرية الحرة الأمريكية لأنها أثارت مشاكل معقدة كثيرة تتعلق بضمير الفرد, فكان اغلب مثقفي أمريكا مناهضين للحرب في الأشهر الأولى لبدايتها ثم سرعان ما تغير موقفهم, فيما يبدو تحت ضغوط خفية, إلى متحمسين للجهد الحربي وتزعموا دعوة الإعلاء من شان الحرب حتى أنهم وصفوها, بالحملة الصليبية.[81]

ومن المسائل الاجتماعية التي اعتلت المواضيع الأخرى إبان الحرب العالمية الأولى هي القرارات الحكومية المتعلقة بصرف إعانات للأمهات, والعلاوات التـــي كانت للأطفال الذين تتم إعالتهم من طرف أخر, هذا بالإضافة إلى تعويض العمـــال وشمول أغلبيتهم ببرامج التقاعد الخاصة.[82]

فضلاً عن ما تقدم قام الرئيس ولسن بإصدار عدة تشريعات أخـــرى تخـــص مكافحة التجسس والعصيان والتجارة مع العدو,[83] فادى ذلك إلى تخلخـــل أســـس

الحياة الأمريكية, ووصل التردي الاجتماعي إلى قيام الجيران بالتجسس بعضهم على بعض حتى إن الأمر تفاقم إلى قيام بعض الأطفال بالتجسس على إبائهم, وإيصال المعلومات إلى الهيئات الاستخبارية الأمريكية والتي انتشرت بكل نواحي البلاد.[84]

وبموجب هذه القوانين حكم على مائتي شخص لاتهامهم بالقيام بنوع معين من الأعمال التي حرمت, وقد أدين نصفهم تقريباً. ووصلت هستريا الحرب إلى مقاضاة منتج سينمائي أنتج فلم حول الثورة الأمريكية, حمل عنوان ((روح 76)) مما أدى إلى إثارة ضجة كبيرة في البلاد تسبب بسحب الفيلم من الأسواق ومنع عرضه في دور السينما وحبس المنتج لمدة عشرة سنوات في سجن التأديب, لأنه انتقد البريطانيين في إثناء فترة الثورة الأمريكية 1776-1779م, فجراء قيامه بذلك قامت المحكمة الأمريكية العليا بوصف الفلم بأنه مصدر محتمل لإثارة شعور العداء ضد بريطانيا والتشكيك بحسن نية دولة حليفة.[85]

وعلى الرغم من إن الرئيس ولسن كان يتكلم دوماً عن العدو والذي هو – حسب ما يعتقد – سادة ألمانيا وحكامها من الطبقة الأرستقراطية البروسية, لكن لجنة المعلومات العامة, والتي كانت برئاسة ((جورج كريل)), كانت تعارض كل ما هو ألماني حتى وصلت المعارضة إلى محاربة الهسامبرغر, والكلاب الألمانية, وأعمال الملحنين الألمان أمثال موزارت وبتهوفن ومنعت الاوركسترا الوطنية من عزف إلحانهم.[86] كما إن ألاغاني الشعبية في كاليفورنيا والتي كانت معظمها ألمانية الأصل تم إزالتها وحذفها من كتب موسيقى الأطفال, وتم منع تعليم اللغة الألمانية في المدارس, ومن على رفوف المكتبات العامة تم أزالت الكتب التي كانت من تأليف مؤرخين أو باحثين ألمان, وتم غلق الصحف التي تصدر باللغة الألمانية,[87] كما اجبر عدد من الألمان على تقبيل العلم الأمريكي, واجبر عدد أخر منهم على الرقص بأجساد عارية لاسترضاء سكان المدن الأمريكية, بينما قام بعض الأمريكان بإعدام رجل ألماني في ((جنوب الينويز)) ولم يتم محاسبتهم بسبب

((تأجج العاطفة الوطنية لديهم)).[88] وعلى الرغم من إن هذه الإجراءات كانت على درجة كبيرة من التطرف غير انه وبمرور الوقت أصبحت مقبولة من الشعب ومسلم بها لاسيما إذ ما قورنت بالإجراءات التي اتخذت من قبل حكومات الوفاق ضد الرعايا الألمان القاطنين على أراضيها.[89]

ومن الطريف إن نذكر هنا إن الرئيس ولسن قد اختار اسم أول جندي أمريكي مشارك في الحرب بطريقة تماثل كثيراً اختيار الأرقام الفائزة بسحبة اليانصيب إذ تم غلق عيني الرئيس ولسن وربطهما بقطعة قماش بيضاء ثم قام بوضع يده في علبة زجاجية مليئة بالأوراق الصغيرة وكل ورقة كتب عليها اسم احد الجنود.[90] وجاء الكشف عن اسم الجندي الأول المشارك بالحرب إيذانا بإطلاق اكبر وأضخم عملية تجنيد في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. كما وتغير اسم الحرب في يوم مشاركة أمريكا بها من الحرب الأوربية إلى الحرب العالمية أو -الحرب العظمى-.[91]

وهنا يجب إن نذكر احد أهم اثار الحرب العالمية الأولى على الوضع الداخلي الأمريكي إذ أدت الحرب الى رحيل ملايين الرجال الى فرنسا للمشاركة في معارك الجبهة الغربية مما خلق عجزاً كبيراً في اليد العاملة بعد إن خلت معظم المصانع والمعامل والورش من عمالها,[92] لذا كان لابد من إحلال عمال بدلاء وان كانوا غير ماهرين فتم تكليف النساء بأداء إعمال لم يسبق لهن أدائها وتشغيل الأمريكيين السود, ونتيجة لتزايد الطلب على الأيدي العاملة استطاعت هذه المجاميع من تحقيق حد مناسب من الأجور.[93] وقد أدى ذلك إلى تزايد أعضاء اتحاد العمل الأمريكي من مليوني عضو مع نهاية عام 1916 إلى ما يزيد عن ثلاثة ملايين عضو مع مطلع عام 1918.[94] وقد عملت الحكومة الأمريكية على استقطاب الزعماء النقابيين والذين نجحوا بإحداث تغييرات وتأثيرات في الحياة الاجتماعية وكان هذا بمقابل إسنادهم للجهد الحربي على تقدم الحكومة للنقابات العمالية الحماية من حصول تخفيضات في المستوى المعيشي وتحقيق المساواة الجماعية.[95]

وان أهم التغييرات الإستراتيجية الاجتماعية في الولايات المتحدة هي هجرة الأمريكيين السود إلى شمال البلاد بحثا عن عمل أعلى أجرا في الصناعات المتعددة والأخذة بالاتساع.[96] إذ فتحت الحرب فرص العمل إمام الأمريكي الأسود وتسببت بهجرة كبيرة للأميركيين السود من الجنوب إلى الشمال, وجاءت كمهرب للسود من أسوء إشكال الحكم التعسفي ومخرجا من بيئة كانت عقدة نقصه فيها هي مقارنته السلبية بالرجل الأبيض على أساس اللون.[97]

وان حال السود في الولايات المتحدة كان أمر شائكا ومعقدا, فعلى الرغم من الآمال والأحلام التي علقت بقيام حكومة ديمقراطية بعد غياب طويل إلا إن إدارة ولسن الديمقراطية أظهرت أنها تناهض السود أو ما كانوا يعرفون بالزنوج, وسواء أرادت الحكومة الأمريكية أم أنها لم ترد للحرب إن تبرز عن الوضع المأساوي للأمريكان ذو الأصل الإفريقي إلا أنها لم ترغب مطلقا في الاستغناء عن موارد السكان السود الكامنة, المدنية والعسكرية.[98] ولهذا كله أثيرت قضية تجنيد السود في القوات المسلحة جدلا في مسألة الفصل العنصري داخل الجيش وتم منح السود رتبة الضباط, كما أثيرت دعاية واسعة عن استخدام الأميركيين السود في منظمة الصليب الأحمر وعملت الحكومة إلى توظيف قضية السود لصالحها وعللت ذلك بأنها قامت بالأمر باسم الديمقراطية.[99] وليس غريبا ما قامت به الحكومة الأمريكية في استغلال قضية السود لصالحها فابرز أهدافها أنها أرادت التخلص من معارضة السود, لأنها رأت إن توظيفهم في الأنشطة المدنية والعسكرية سيبعد خطر الفوضى التي اشتهروا بها وان الظرف الداخلي الأمريكي لم يكن باستطاعته مواجهتهم والبلاد في حاجة ماسة لهم في الوضعين العسكري والمهني, فجاء تعيين الأمريكي الأسود _ايميت سكوت_ مساعدا خاصا للحكومة في تشرين الأول 1917 دليلا على رغبة إدارة ولسن في تهدئة مشاعر السود.[100]

وهنا يجب إن نؤكد ونوضح ونبين إن أعلى التغييرات السلوكية في حياة أبناء الشعب الأمريكي إبان الاشتراك في الحرب العالمية الأولى كان الموقف من اعتياد

تناول المشروبات الروحية, إذ جاء منع بيعها في بداية الأمر وحسب قانون التجنيد, بالقرب من القواعد العسكرية ومن ثم تم حظر إنتاجها بصورة تامة وتم اتخاذ هـذا القرار لتوفير الحبوب التي كانت تعد ثروة قومية من المخزي التفريط بها مع تعكر الوضع الدولي, ثم سرعان ما ارتبط تناولها بأنه وصمة عار بجبين الأمريكي وثلمه كبرى لشرفه الوطني.[101]

ولما انتهت الحرب كان طبيعياً إن ترى النساء ذاهبات الى أعمـالهن بينمـا الجنود الذين عادوا الى الوطن وسرحوا بعد انتهاء الحرب وساعدوا الى حد ما في تحقيق النصر, عاطلون عن العمل![102]

الهوامش

1- Eva March Tappan, The world's story: A History of the world in story, vole VII, pp.253-255..
2- ibid, p.261.
3- Joseph P. Tummulyt, Woodrow Wilson As I Know Him, Garden City press, London 1921, p.29.
4- Arthur Walworth, Woodrow Wilson, Vol.2, roma 1965,p.89.
5- Eva March Tappan, op, cit, pp.268-271.
6- Donald Hankey, A student in Arms 1917, London 2000, p.45.
7- ibid, p.49.
8- Arthur Walworth,, op, cit, p.136.
9- John M. Cooper, World War I: European Origins And American Intervention, winter 1980, pp.85-93.
10- ibid, pp.96-97.
11- Donald Hankey, op, cit, p.61.
12- Eva March Tappan, op, cit, p.273.
13- Donald Hankey, op, cit, p.62.
14- Walter Millis, Rood To War: America 1914-1917, Boston 1935, p.40.
15- John M. Cooper, op, cit, p.107.
16- Walter Millis, op, cit, p.49.
17- Arthur Walworth, op, cit, p.142.
18- Joseph P. Tummulyt, op, cit, p.38.
19- ibid, p.40.
20- Walter Millis, op, cit, 53.
21- ibid, p.55.
22- Pat Buchanan, Wilson's War To And War, World Net, July 2003, p.51.
23- ibid, p.53.
24- Joseph P. Tummulyt, op, cit, p.63.
25- John M. Cooper, op, cit, p. 114.
26- Walter Millis, op, cit, p.57.

27- Joseph P. Tummulyt, op, cit, p. 65.
28- ibid, p.67.
29- Donald Hankey, op, cit, p. 70.
30- Pat Buchanan, op, cit, p.56.
31- ibid, pp.57-58.
32- Arthur Walworth, op, cit, pp, 148-150.
33- Eva March Tappan, op, cit, p. 297.
34- Walter Millis, op, cit, p.59.
35- ibid, p.61.
36- Arthur Walworth, op, cit, p. 152.
37- Pat Buchanan, op, cit, p.59.
38- Warren f .kimball, the army American history , forum press, new York 1980,p.36.
39- ibid, p.72.
40- F.C.Fuller, The american Army in my Time, London 1946 ,pp.14-151.
41- ibid, p.154.
42- Warren f .kimball, op, cit, p.77.
43- ibid, p.79.
44- F.C.Fuller, op, cit, p.162.
45- ibid, p.164.
46- Walter Millis, op, cit, p.65.
47- Warren f .kimball, op, cit, p.83.
48- Mcentee, G.L, Military history of the world war, New York 1943, pp.16-39.
49- ibid, p.47.
50- Warren f .kimball, op, cit, p.90.
51- Pat Buchanan, op, cit, p. 65.
52- Mcentee, G.L, op, cit, p.155.
53- Walter Millis, op, cit, p, 71,
54- F.C.Fuller, op, cit, p. 178.
55- ibid, p. 180-185.
56- ibid, p.188.
57- Arthur Walworth, op, cit, p. 167.
58- Walter Millis, op, cit, p. 77.

59- ibid, p.79.
60- F.C.Fuller, op, cit, p.202.
61- Pat Buchanan, op, cit, p.74.
62- Arthur Walworth, op, cit, p.181.
63- Arthur S. Link, John W. Chambers, Woodrow Wilson as commander in chief, New York University press, New York 1991,p.43; Frank E. smitha, 1917: Revolution, The U.S and war, 2000,p.10.
64- sott K. Williams, Missourians in the First World War, London 1935, p.9.
65- Gerd Hardach, The first world war 1914-1918, Berkeley 1977,p.68.
66- Jack Allen, John L. Betts, History: U S A , American Book Company, New York 1967, p.503.
67- Ibid, p.505.
68- Smitha, op.cit,p.14.
69- Ibid, p15.
70- Scott K. Williams, op, cit, p.10.
71- Jack Allen, John L. Betts, op, cit, p.512
72- Smitha,op.cit,pp.18-22.
73- Roget N. Mohovich, American posters of world war one, Georgetown University Library, 2000,p.4.
74- Allen, Betts, op. cit , p.507.
75- Chris Baker, op, cit, p.23.
76- Roget N. Mohovich, op, cit, p.11.
77- Smitha, op. cit, pp.25-30.
78- Scott williams, op. cit, p.19.
79- Mark Kennedy, the first world war and American society, new York 1995, p. 67.
80- ibid ,pp. 69-72.
81- Gerd Hardach, op, cit, p.159.
82- Mark Kennedy, op, cit, p.73.
83- ibid, p.75.
84- S.L.A. Marshall, World War One,(Boston: Houghton Miflin, 1992 ,p. 56.

85- Papers Relating to the Foreign Relations of the United States , 1917 (Washing ton : 1929) p, 169.
86- S.L.A. Marshall, op, cit, p.73.
87- Papers Relating to the Foreign Relations of the United States, op, cit, p.196.
88- S.L.A. Marshall, op, cit, p.77.
89- Joe Stork, American in ww1 , Journal of history Studies , vole ,111 No.3 Spring , Rome 1974,p.67.
90- ibid,p.69.
91- ibid, p.75.
92- S.L.A. Marshall, op, cit, p.81.
93- William Polk , the United States and people in ww1 , London 1967,p.138.
94- Joe Stork, op, cit, p.98.
95- ibid, p.104.
96- S.L.A. Marshall, op, cit, p.87.
97- William Polk, op, cit, p, 147.
98- ibid, p,151.
99- ibid, p.107.
100- denial Ramón, American people in wars, new York 1975, p. 78.
101- ibid, p.111.

أثر الحرب العالمية الأولى
على القضية الايرلندية

كان العديد من الايرلنديين يشعرون بالاستياء من الانكليز لاحتلالهم الطويل لبلادهم[1]. وبعد قانون الاتحاد الشهير لعام 1801 الذي وحد ايرلندا مع انكلترا ,لم تعد هناك حكومة ايرلندية, واقتصر التمثيل الايرلندي في البرلمان البريطاني على البروتستانت. واكد البروتستانت البريطانيون بأن للكاثوليك حقوقا" قليلة ولم يكن هذا عادلا, لآن اكثر سكان ايرلندا كانوا كاثوليك ماعدا سكان اولستر شمال ايرلندا, الذين كانوا من اصل انجلو-اسكتلندي, يدينون بالمذهب البروتستانتي[2].

وفي محاولة لاصلاح الاوضاع حاول بعض رجال السياسة البريطانيون تحسين الامور في ايرلندا, فتحالف هؤلاء مع الايرلنديين المتحمسين لتعزيز القضية الايرلندية .وقد نجحوا بتحقيق العديد من الانجازات مثل منح الكاثوليك حريتهم في عام 1829, والسماح لهم بالمشاركة في الحكومة والاختصاصات التي منعوا سابقا من امتهانها[3]. اما قانون اصلاح الارض الذي وفر الضمان لكثير من الفلاحين الايرلندين فقد تم تنفيذه في عام 1870م[4].

ومع هذا فلم يكن كافيا للبعض اصلاح المساوئ الفاضحة لحكم بريطانيا في ايرلندا. اذ اراد الايرلنديون الحكم الذاتي الذي يعني ان ايرلندا يجب ان يحكمها الايرلنديون. وازدادت الرغبة للحكم الذاتي طوال القرن التاسع عشر وبمرور الوقت سادت هذه الرغبة على الحياة السياسية البريطانية, وقد اتخذت حركة الحكم الذاتي طريقين مختلفين, الاول استخدام القوة وتشكيل الجمعيات السرية مثل الاخوة الجمهوريون الايرلنديون والاخوة فينين[5], التي حاولت انهاء الوجود البريطاني في ايرلندا بالقوة. والاخر اعتمد العمل السياسي من خلال البرلمان والطريق الدستوري, أذ عمل السياسيون البريطانيون والايرلنديون من اجل اقناع البرلمان البريطاني على منح ايرلندا الاستقلال الذاتي[6]. وقد اراد السياسيون البريطانيون

من وراء ذلك تحقيق الهدوء السياسي في ارجاء بريطانيا والخلاص من المشاكل التي كان يثيرها الايرلنديون.

اصطدمت هذه المساعي بمعارضة البروتستانت في شمال البلاد الذين كانوا يتمتعون بنفوذ قوي في البرلمان البريطاني ويعارضون أي محاولة لمنح الاستقلال[7]. وخوفهم من الحكم الذاتي نابع من ان يهمشوا في ظل حكم الكاثوليك.

كان النواب المحافظون في البرلمان البريطاني يرفضون في كل مرة مشروعات قانون الحكم الذاتي لايرلندا التي قدمها ((كلادستون)) رئيس حزب الاحرار, وتمسكوا بفكرة اتحاد ايرلندا مع بريطانيا, وعملوا على تحبيب هذا الاتحاد الى قلوب الايرلنديين, وذلك من خلال القيام ببعض الاجراءات وتنفيذ بعض السياسات, مثل مد خطوط سكك الحديد في ايرلندا, وشراء الاراضي من الملاك الانكليز وبيعها بشروط سهلة للفلاحين الايرلنديين, فضلاً عن تحسين الأحوال الاجتماعية العامة[8]. وقد واجه مشروع قانون الحكم الذاتي الذي قدم الى البرلمان للمرة الثالثة عام 1912م معارضة شديدة من البروتستانت, وهددوا بالحرب الاهلية, اذ انهم يعتقدون انه سيؤدي الى تكوين حكومة اكثر كاثوليكية, ومع ذلك فقد اقر المشروع, الا انه تأجل ولم ينفذ بسبب قيام الحرب العالمية الاولى في عام 1914[9]. وتم تجنيد عدد كبير من الايرلنديين (خصوصا من منطقة اولستر البروتستانتية) في الجيش البريطاني ,كما كان للحرب تأثير فوري أذ أدت الى فتور في المشكلة الايرلندية ,وظهر نوع من الوحدة بين البروتستانت والكاثوليك ضد العدو ,والحرب الاهلية في ايرلندا أطفئتها حرب دولية أعظم بكثير. وساند الايرلنديون زعيمهم (جون ريدموند) الذي اتفق مع رئيس الوزراء البريطاني (اسكويث) بأن يتم تطبيق قانون الحكم الذاتي بعد سنة ,أي في عام 1915 ,اما أذا طالت الحرب فيؤجل الى ما بعدها[10].

ايرلندا عند بداية الحرب (أب-أيلول 1914):

على اثر اندلاع الحرب العالمية الاولى وجه اللورد كيتشنر الذي تولى منصبه وزيراً للدفاع البريطاني في الخامس من اب 1914م نداءً الى الامة البريطانية يحثها فيه على الأنظمام الى القوات المسلحة, وقد أستجاب الالاف في الامبراطورية البريطانية لنداءه, وتشكل من هؤلاء المتحمسين جيش عرف -بجيش كيتشنر الجديد*-[11], وقسمت فرق الجيش طبقاً للموقع الجغرافي للمتطوعين فتم التقسيم بالصورة الأتية, قسم اسكتلندي, وقسم ايرلندي*, وقسم شرقي (ينتمي أفراده الى شعوب المستعمرات البريطانية).

ولربما يرى البعض أنه من الغرابه ان يشترك الأيرلنديون في الجيش البريطاني على الرغم ممابينهم وبين الانكليز من خصومات, وانه يتحتم على الأيرلنديين ان يستغلوا هذا الظرف الى اقصى حد, ولكن العلاقات بين الشعبين لم تكن لتسمح بهذا الأمر لاسيما في تلك المرحلة, كما أن الشعب الأيرلندي لم يعرف عنه الغدر, فضلاً عن ذلك فقد كانت هناك كتائب ايرلندية في الجيش البريطاني منذ سنة 1600م[12], أي أن المسألة كانت متعارف عليها من الجميع.

وفي الحقيقة, وعلى الرغم من الهياج السياسي الكبير الذي شهدته ايرلندا بين الكاثوليك والبروتستانت بعد اقرار لائحة الحكم الذاتي في سنة 1912 وبروز احتمالية تدخل الجيش البريطاني للقضاء على المعارضة البروتستانتية التي قامت بتشكيل جيش يتألف من حوالي (85000) مقاتل بقيادة (ادوارد كارسن) ورد المناطق الأيرلندية الأخرى بتشكيل جيش يتكون من (180000) مقاتل بقيادة (جون ريدموند), الا انه وحتى قبل اعلان الحرب فقد وعد كلا من ريدموند و كارسن بدعم المجهود الحربي البريطاني[13], لكنهما أختلفا على نحو مرير حول ماهية مهام القوات الأيرلندية ,فبينما أصر كارسن على وجوب ارسالها الى اوربا اراد ريدموند اقتصار مهامها على حراسة الأراضي الأيرلندية, ولم تفلح الجهود التي بذلها اللورد

كيتشنر في اجتماعاته المنفصلة معهما في السادس والسابع من أب1914م بتقريب وجهات النظر[14], لذلك قرر استبعاد جميع القوات الأيرلندية.

جهود جون ريدموند:

ومع ذلك فقد استمرت جهود ريدموند المضنية من اجل تشكيل جيش نظامي ايرلندي, واستمر بالضغط على لندن لذلك ,وكانت حجته ان ايرلندا ليست اقل شأناً من استراليا ونيوزيلندا وكندا وجنوب افريقيا**[15], التي كانت تسهم بوحداتها العسكرية الخاصة ,فلماذا لاتستطيع ايرلندا الحصول على موافقة ملكية لأنشاء جيشها وخصوصا بعد اقرار حقوقها بلائحة الحكم الذاتي.ولسوء حظ بريطانيا وايرلندا ان الرجل الذي كان عليه معالجة هذه المشكلة, هو وزير الدفاع اللورد كتشنر الذي كان يكره الايرلنديين بشدة ولم يثمن ابدا" الجهود التي قدمها زعيمهم ريدموند, الذي خطب في جميع المقاطعات الأيرلندية حاثا" الشعب الأيرلندي على التطوع في صفوف الجيش البريطاني, الذي ربح بفصاحته الرجال والنساء[16]. الا ان كتشنر لم يقدر كل هذه الأمور بل عزز مرارة الكاثوليك الايرلنديين عندما سمح للبروتستانت الايرلنديين بتشكيل جيش مستقل وأتخاذ علم خاص بهم بينما رفض ذلك للكاثوليك[17].

ولما حل شهر أيلول كان ريدموند مستمراً في تشكيل كتائب والوية ايرلندية جديدة وما زال متمسكا بوجهة نظرة, غير ان بعض الامور استجدت لتقلب العلاقات بين لندن ودبلن, عندما اجبرت الهزائم التي تعرضت لها القوات البريطانية في اوربا, الحكومة البريطانية بالموافقة على إنشاء جيش ايرلندي مستقل (عرف فيما بعد بالجيش العاشر) كما صدرت الموافقة الملكية على لائحة الحكم الذاتي في 18 أيلول[18], مما دفع ريدموند على القبول بمبدأ ارسال قواته الى اوربا شرط ان تدافع عن الأمم الصغيرة والضعيفه, وقد تم له هذا الأمرعندما ارسلت القوات الايرلندية للدفاع عن بلجيكا[19].

في الحقيقة ان ريدموند وضع نفسه في موقف لايحسد عليه ابداً, اذ انه لن يستطيع بعد الأن التوقف عن دعم المجهود الحربي البريطاني وألا وصف بالخيانة ولجر الشعب الايرلندي الى مسألة هو في غنى عنها هذا من جهة, ومن جهة أخرى فمع علمه بأن الحرب ستصنع جيشا ايرلنديا مدربا قادر على خلق الوحدة الايرلندية خصوصا أثر الاتصالات الايجابية التي حدثت بين الايرلنديين الكاثوليك والبروتستانت في جبهات القتال, الا انه كان يدرك بأن جيش أولستر (البروتستاني) سيحصل هو الأخر على تدريب مماثل مما قد يؤزم المشكلة اذا انتهت الحرب وعادت الجيوش المدربة الى الأراضي الأيرلندية.

تطورات القضية خلال سنوات الحرب:

وهكذا يتضح إن القضية الايرلندية وعلى مر الزمن لم تشهد أسوأ من هذا الوقت ونقصد به شهري أب وأيلول من سنة 1914, أذ ضاعت فيهما كل الجهود السياسية التي بذلت منذ سنة 1870 لتحقيق حلم الحكم الذاتي بطريقة سلمية ,عندما قرر البريطانيون وبالاتفاق مع الايرلنديين عديمي الخبرة سياسياً تأجيل تنفيذ قانون الحكم الذاتي إلى سنة أو إلى نهاية الحرب ,مما أجهض القانون في حقيقة الأمر, وأدى بالتالي الى تطورات خطيرة دفعت الشعب الايرلندي لأن يثور ضد البريطانيين في 24 نيسان من سنة 1916 ليحصل على حقوقه[20] لكن الثورة فشلت لأسباب لا يسعنا المجال لذكرها غير أنها وصمت الايرلنديين بالخيانة والعمالة للألمان مما دعا الجيش العاشر الأيرلندي الى الاستماتة بالقتال كي يؤكد استقلالية الأيرلنديين ويبرئهم من تهمة التعاون مع الألمان[21].

ولقد زاد في تفاقم الأوضاع إعدام قادة الثورة الخمسة عشر ,وجميعهم من الزعماء البارزين في الحياة السياسية, واعلان الأحكام العرفية في عموم الأراضي الايرلندية[22], ثم تبعتها الخسائر الجسيمة التي تكبدها الجيش العاشر في النصف الثاني من سنة 1917, وموت الزعيم جون ريدموند في 6 أذار 1918, كل هذه التطورات دفعت رئيس الوزراء البريطاني (لويد جورج) الى إعلان التجنيد

الإجباري في ايرلندا في 9 نيسان 1918 عارضاً منح الحكم الذاتي بالمقابل[23]، راجعاً بالقضية الايرلندية الى النقطة التي انطلق منها كلادستون في سنة 1870، ومضيعاً ستين عاماً من النضال السياسي الايرلندي السلمي. وهكذا فشلت ابرز محاولة لتوحيد الشعبين البريطاني والايرلندي، وأخذ الايرلنديين منذ ذلك الوقت يعدون العدة للخلاص من الحكم البريطاني ولو بالقوة.

وهكذا كان للأيرلنديين تجربة مريرة وطويلة مع البريطانيين بدأت منذ القرن الثاني عشر تجرعوا فيها أصناف الذل والهوان كما كبدوا البريطانيين خسائر ليست بالقليلة، مما أدى الى تأزم كبير في العلاقات بين الشعبين ولاسيما اثر مصادرة الأراضي الايرلندية وتوزيعها على الملاك والنبلاء الإنكليز، ووضع قوانين عدة لإذلال الكاثوليك الايرلنديين وحرمانهم من التمتع بالحقوق السياسية والوظائف العامة، كما كان للأختلاف المذهبي دوره الواضح في تأجيج عواطف الأيرلنديين الذين ثاروا لاكثر من مرة وأعلنوا قيام ثلاثة جمهوريات فاشلة في السنوات 1800 و1858 و1916 لم تزد ألا معاناتهم كما وفرت للحكومة البريطانية تبريرات استخدام سياسة العنف والقسوة ضدهم لأنها شعرت بأن مصالحها تتعرض لأخطار كبيرة.

كانت قضية ايرلندا المأساوية في أستمرار حتى مع كل التضحيات التي كانت تقدمها في سبيل الأمة البريطانية ولاسيما عندما لم تقتنع المؤسسة العسكرية البريطانية بقضيتها، إذ تدخلت في كل شؤون ايرلندا وشعبها حتى في أصغر التفاصيل الأمر الذي أثار غضب بعض الوزراء الأنكليز الذين وجهوا نقدا شديداً لوزير الحربية اللورد كيتشنر الذي تجاوز حدود المعقول في تعامله مع الايرلنديين لاسيا انه كسب شهرة عريضة بكرهه لهم.

وهكذا أنتهت بنهاية الحرب جهود الايرلنديين السلمية فعقدوا العزم على اتباع سياسة القوة ضد البريطانيين فتشكلت مجموعة من الاحزاب والتنظيمات السرية التي اخذت على عاتقها قطع جميع الاواصر التي تربط ايرلندا ببريطانيا، ويعد

حزب (شن فين sinn fein) من ابرز هذه التنظيمات, اذ أشتهر بأتباعه سياسة الاغتيالات والتفجيرات وقام بنقل المعركة الى وسط لندن, وبالتالي نقل الصراع الايرلندي من اجل الاستقلال الى مرحلة جديدة, فتوالت أثر ذلك افرازات الحرب العالمية الاولى ونتائجها على ايرلندا لاسيما بعد حصولها على الاستقلال الذاتي في عام 1921.

الهوامش

1- خضعت ايرلندا للسيطرة الانكليزية لاول مرة في سنة 1171م, ويعد الملك هنري الثاني اول من اعلن نفسه ملكا" على ايرلندا.

2- JOHN REDMOND, THE MIRACLE IRELAND, AMALGAMATED PRESS.1916.p,26.
3- IBID.p,33.
4- G.A.FYFFE, HISTORY OF MODREN EUROPE. LONDON1924.p,48.
5- TERENCE DENMAN, IRELANDS UNKNOWN SOLDIERS,IRISH ACADEMIC PRESS,1992.P,75.
6- 6-REDMOND,OP.CIT,p,39.
7- 7-TODD MILLS, LAND FORCES OF THE BRITISH EMPIRE, 1998.p,52.
8- 8-IBID.p,142.
9- 9-REDMOND,OP.CIT,p,66.
10- IBID.p,106.

*عرف ايضا" بأسم (فوضوي كيتشنر).

11-KARL MURRY, THE 36TH DIVISION AND ITS PARTN THE GREAT WAR,1996.p,6.
12-YVES BUFFETAN, 16TH IRISH DIVISION, PARIS1997. p,19.
13-DENMAN,OP.CIT,p,86.
14-REDMOND,OP.cit,p,93.

** تنتمي هذه الدول الى منظمة الكومنولث وتتمتع بأستقلال ذاتي بقدر معين, وتخضع بنفس الوقت لاشراف الحكومة البريطانية, ويضاف اليها كلاً من ايرلندا وجزر الهند الغربية.

15-15-IBID.p,114.
16-DAVID LIOYD GEORGE, WAR MEMORIS, ODHAMS 1938, p32.
17-MURRY,OP.CIT,p,12.

18-ROPERT GRAVES, WHITE GODDESS,ROYAL WELSH FUSILIERS,2000,p,29.
19-MURRY,OP.CIT,p,14.
20-MILLS,OP.CIT,p,60.
21-IBID.p,107.
22-KARL MURRY, BATTLE OF THE SOMME 1916,LONDON1996,p,58.
23-LIOYD GEORGE,OP.cit,p,73.

سياسة الاحتلال الألماني في بلجيكا

1914-1918م

ناقشت مذكرة الكونت فون شليفن الاستراتيجية الواجب إتباعها لتحقيق الأهداف الألمانية المرجوة باحتلال فرنسا منذ سنة 1905م, وأكدت على عدة خيارات عسكرية لذلك ووجدت بأن الطريق الأفضل والأكثر مناسبة للجيش الألماني بان يمر ببلجيكا وصولاً إلى فرنسا,[1] وبعد عقد من السنين تقريباً قام الجنرال الألماني هيلموث فون مولتكه بوضع أفكار سلفه موضع التطبيق.[2]

أدى موقع بلجيكا الجغرافي على جعلها الموضع الرئيسي الأول لمعارك الحرب العالمية الأولى, وفي 7 آب 1914م قام الجيش الألماني بمهاجمة مدينة فورتريس ليك والتي تعد بوابة بلجيكا الرئيسية,[3] وبعد شهرين من ذلك أكمل الألمان احتلال جميع الأراضي البلجيكية بشكل فعلي.

في الحقيقة لم يكن لدى الحكومة الألمانية في ذلك الوقت استراتيجية احتلال واضحة ومحددة للتطبيق في بلجيكا,[4] بل كان لديها عدة خيارات أولها ضم بلجيكا بصورة كاملة, والثاني الانسحاب منها بصورة تامة, والخيار الثالث قيام نوع من الاتحاد الاقتصادي عن طريق الهيمنة الألمانية على الاقتصاد البلجيكي واستغلال الصناعة البلجيكية, إما الخيار الرابع والأخير فقد كان الاحتفاظ بمنزلة بلجيكا كدولة مستقلة كما كانت قبل اندلاع الحرب مع فرض بعض التقييدات عليها لضمان ولاءها المستقبلي لألمانيا.[5] وقد كان وراء كل خيار مجموعة معينة من أصحاب النفوذ في ألمانيا كقادة الجيش ورجال السياسة والصناعة.

ومن الجدير بالذكر إن الشعب البلجيكي ومع انه كان تحت ضغط السياسة الألمانية الغير مستقرة وتأثره بالدعاية الحربية الألمانية والبريطانية والفرنسية, لكنه احتفظ بوحدته السياسية والاجتماعية على الرغم من محاولة الألمان شق وحدته الوطنية عبر استخدام سياسة الانقسام الإداري ومنح البلجيكيسين ذوي الأصول

الألمانية والذين يدعون بـ((الفلمنكيين)) مجموعة من الامتيازات. وفي محاولة لاستغلال بلجيكا إلى أقصى حد في دعم المجهود الحربي الألماني استعمل الألمان إمكانياتهم المالية المتفوقة لصياغة الروابط الاقتصادية بين البلدين لكنهم ألمانيا لم يحترموا سيادة بلجيكا أو حيادها,[6] وبعد الاحتلال أضحت القوى التي تتحكم في ألمانيا هي ذاتها التي تسير بلجيكا.

1- المشروع السياسي الألماني في بلجيكا المحتلة:

في 26 آب 1914م قررت الحكومة الألمانية تعيين حاكم ألماني عام على بلجيكا, فتم اختيار المشير (فريهر كولمار فون دير غولز), كما تم أيضا تعيين مدير مدني هو الدكتور (وليم فون ساندت), وقد كان رئيس هيئة الأركان الألمانية (فون مولتكه) هو القوة الدافعة وراء هذه التعيينات لثقته الكبيرة بهذين الشخصين,[7] وقد قام بمنح الحاكم العام صلاحيات واسعة وغير محدودة ونظم علاقته بالمدير المدني لتنظيم تموين القوات العسكرية الألمانية وتموين السكان المدنيين البلجيكيين, محدداً مهام عملهما بجعل بلجيكا أرضا مفتوحة لتلبية المتطلبات والحاجات الفورية للقوات العسكرية الألمانية إضافة إلى ذلك استرضاء السكان المدنيين لمنعهم من القيام بالثورات وإثارة القلاقل للجيش الألماني الذي سيكون منشغلاً بأمور أخرى.[8]

وبعد ثلاثة اشهر من اندلاع الحرب تغيرت عدة أمور سياسياً وعسكرياً استدعت قيام قيادة الجيش الألماني بإعفاء المشير غولز من منصبه وتكليفه بتولي قيادة الجيوش الألمانية في الدولة العثمانية وتم اختيار الجنرال (فريدريتش ويليام فريهر فون بيسينج) لتولي منصب الحاكم العام الثاني لبلجيكا,[9] والذي بقي في منصبه لمدة ثلاثة سنوات تقريباً وكان أعظم المؤثرين على السياسة الألمانية في بلجيكا وقد استعمل سلطاته الواسعة والغير محدودة في خلق سياسة متماسكة ومتوازنة بين مصالح أمته وحماية بلجيكا من الدمار الكلي.

ومباشرة بعد تولي بيسينج لمهام منصبه, قررت القيادة الألمانية العليا تقسيم بلجيكا إلى ثلاثة مناطق رئيسية, المنطقة الأولى وهي الأكبر والتي كانت تحت سيطرة بيسينج وتضمنت مدينة بروكسل واغلب الريف البلجيكي, وبالمقابل قام بيسينج بتقسيم منطقته إلى تسع مناطق صغرى وعين لكل منطقة حاكم عسكري, وكان مع كل حاكم مجموعته الخاصة من الضباط ليتولوا عملية ترتيب الإدارة الذاتية للمدن والمحافظات البلجيكية, إما المنطقة الثانية فقد عرفت بالمنطقة الوسطى وتضمنت مدينتي ((غينت وانتويرب)) والتي كانت تحت الإشراف العسكري للجيش الرابع الألماني, والمنطقة الثالثة والأخيرة هي المنطقة الساحلية وقد كانت تحت رعاية البحرية الألمانية. ومن ذلك يتضح التأثير القوي للجيش على سياسات بيسينج وإجراءاته التي لم تكن تطبق إلا بعد إن يصادق عليها قادة المنطقتين العسكريتين.[10]

فرضت التطورات التي شهدتها الحرب في الجبهة الغربية على بيسينج إتباع سياسة أكثر بيروقراطية لاسيما إزاء المشاكل الملحة التي تواجهه كالقلة الحادة في الموظفين مما استدعى جلب عدد من المسئولين من ألمانيا فضلاً عن قيام بيسينج بدمج مجموعته الصغيرة للضباط وبضمنهم المدير المدني الدكتور ساندت بالكادر البلجيكي السابق للوزارات والمكاتب الحكومية, والتي شملت حقول التعليم والمالية والتجارة والصناعة. وعمل بيسينج على المحافظة على النظام الإداري البلجيكي قدر الامكان,[11] واجبر جميع الموظفين البلجيكيين على ترديد قسم الولاء الإداري والذي نص على ((أتعهد بالمواصلة بإدارة مكتبي بشكل واعي ومخلص وبموجب اتفاقية لاهاي 18 تشرين الثاني 1907 وان لااقوم بأي عمل يمكن إن يؤدي إلى الأضرار بالإدارة الألمانية في الأراضي البلجيكية المحتلة)).[12]

وانه لأمر مهم ملاحظة إن قسم الولاء هذا لا يحتوي على تعبير الطاعة العمياء لألمانيا ولا شجب بلجيكا. وقد سهل هذا الأمر استمرار الموظفين البلجيكيين في أعمالهم وخدم بالتالي مصالح ألمانيا عبر توفير إدارة مدنية كفوءة من جهة,

ومن جهة أخرى خدم المصالح البلجيكية لأنه ساعد على بقاء الموظفين البلجيكيين الكفوئين في وظائفهم مما أدى إلى استمرار النظام الإداري البلجيكي في حالة جيدة.

ولعله من المهم إن نوضح بأن الحكومة البلجيكية الجديدة كانت مقسمة إلى ثلاثة أقسام رئيسية – ماعدا الجيش والإدارات المدنية –. الأول كان القسم السياسي, والذي تضمنت مسؤولياته الدعاية والمنشورات الأجنبية وتحليل القضايا السياسية والثقافية التي تتعلق بإقليم الفلاندرس والعلاقات الفلمنكية – الألمانية,(13) إما القسم الثاني فهو القسم المصرفي الذي سيطر على الأعمال والأموال والشركات المحلية والأجنبية في العاصمة وعموم البلاد, والقسم الثالث والأخير فهو تجمع المكاتب التقنية التي تتولى شؤون التعامل مع الأمور الاقتصادية.(14) ومع إن هذه الأقسام كانت تابعة بصورة اسمية لسلطة بيسينج إلا إنها كانت مستقلة بشكل كامل عن الإدارة المدنية إلا إن هذا الأمر لم يشكل عائقاً إمام الحكومة الألمانية في ممارسة تأثيرها على كل قسم بطرق وأشكال مختلفة , وأحدى ابرز الأمثلة على تأثيرات الحكومة الألمانية على هذه الأقسام احتدام سياسة الانقسام الإداري للمناطق الفلمنكية والفرنسية في بلجيكا.(15)

وقد يثار هنا تساؤل أو استفهام حول ماهية وطبيعة هذا التقسيم الإداري, والجواب على ذلك إن بلجيكا تمتاز بأنها تتألف من مجموعتين عرقيتين متميزتين كل منها تشمل حوالي نصف الشعب البلجيكي, وتدعى المجموعة الأولى بـ((الفلمنكيون أو الفلاندرس)) وهم من أصول اسكندينافية ويتكلمون اللغة الألمانية ويدينون بالثقافة الألمانية, إما المجموعة الثانية فهم ذوي أصول فرنسية ويعرفون باسم ((والون)) وهم لغوياً وثقافياً مشابهين للشعب الفرنسي.(16) لكن ذلك لم يمنع الشعب البلجيكي من الكفاح يداً واحدة ومنذ تاريخ تأسيس الدولة البلجيكية الحديثة في سنة 1831م وكان البلجيكيين الفرنسيين – الوالون – مسيطرين بشكل شبه مطلق على الحياة السياسية البلجيكية مما خلق منهم طبقة سياسية راقية وبالمقابل خلق طبقة دنيا من الفلامنكة.

وكان تأثير الوالون طاغياً لدرجة عندما بدأ الاحتلال الألماني لبلجيكا كانت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في كافة أنحاء البلاد كما إنها كانت لغة المخاطبات والمراسلات الدبلوماسية وكذلك اللغة المستخدمة في التعليم العالي.[17] وبالمقابل لم تحظى اللغة الفلمنكية بأي تقدير أو اهتمام رسمي مما خلق حافزاً لنشوء العديد من الجمعيات والحركات السياسية الفلمنكية الفاعلة من اجل تحقيق المساواة بين اللغة الفلمنكية والفرنسية في جميع مرافق الحياة العامة. وفي الأشهر القليلة قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى زاد بشكل ملحوظ التوتر العرقي في بلجيكا مما زود الألمان بفرصة ممتازة لاستغلال الإحباط الفلمنكي لتحقيق مطامحهم في تنفيذ التقسيم الإداري عن طريق دعم القومية الفلمنكية لإنجاز بعض أهداف ألمانيا الحربية.[18]

وفي 5 نيسان 1916م أوضح المستشار الألماني ((بيثمان هولويج)) في كلمة له أهداف السياسة الألمانية في بلجيكا بقوله ((نحن يجب إن نحصل على ضمانات مؤكدة بأن بلجيكا لن تكون في المستقبل ولاية تابعة لبريطانيا وفرنسا, كما يجب إن لا تستعمل كحصن اقتصادي وعسكري ضد ألمانيا... وألمانيا لا تستطيع ترك الشعب الفلمنكي يخضع من جديد لتأثير اللاتينيين, لذا سنقوم بتطوير وضمان اللغة والثقافة الفلمنكية..)),[19] ومن كلمات هولويج نلحظ إن خطة التقسيم الإداري لبلجيكا ماضية في الخطط الألمانية حتى لو تم تحقيق هزيمة فرنسا أو ان يتم عبر إخضاع إقليم الفلاندرس للحكم الألماني الدائم والمباشر.

بدأت الحكومة الألمانية بتطبيق خطتها عبر إنشاء مكتب عرف باسم ((المكتب الفلمنكي)) في القسم السياسي البلجيكي, وتضمنت مسؤولياته الرئيسية نشر الدعاية الأجنبية والمحلية حول الحكم الذاتي الفلمنكي والعمل على الاجتماع بالشخصيات الفلمنكية النشطة والبارزة لتقديم الدعم والمساندة لها.[20] وقد قام المكتب الفلمنكي في 4 شباط 1917م بتنظيم اجتماع جماهيري للناشطين الفلمنكيين في بروكسل لغرض مناقشة المشاكل والشكاوى الفلمنكية, وقد حضر هذا الاجتماع ما يقرب من 200 ناشط فلمنكي انتخبوا منهم بضعة أشخاص ليشكلوا ما عرف

باسم ((مجلس الفلامنكة)) الذي أعرب عن رغبته الكبيرة في انقسام بلجيكا إلـى عدة مناطق للحكم الذاتي وترقية وتطوير اللغة والثقافة الفلمنكية,[21] وعلى الـرغم من إن جميع إجراءات المكتب الفلمنكي كانت بتدبير ودعم الحكومـة الألمانيـة إلا إنها ادعت بأن المجلس الفلمنكي قد انتخب بحرية وبأنه يعبر عن وجهـات نظـر ملايين الشعب الفلمنكي في بلجيكا.[22]

إزاء هذه التطورات اتجهت الحكومة الألمانية إلى دعوة كـلاً مـن الحـاكم الألماني العام في بلجيكا الجنرال بيسينج, ومدير الإدارة المدنية البلجيكية المرتبطـة بألمانيا الجنرال ((غوفيرنمينت)) لتطبيق سياستها المقترحة في بلجيكا وبأسرع وقت ممكن وباتخاذ كافة السبل والوسائل المتـوفرة والمتاحـة.[23] ومـع إن الجنـرال غوفيرنمينت لم تكن لديه مشكلة في الموافقة على كل ما تطلبه منه ألمانيا شأنه شأن اغلب العملاء والمتعاونين مع قوات الاحتلال الذين على شاكلته لاسـيما بعـد إن يفقدوا ارتباطهم بأوطانهم ويكونوا احرص من المحتل نفسه على مصـالحه , لكـن كلاً من بيسينج والدكتور ساندت لم يكونا متحمسين لمشروع الحكومة الألمانية فـي تطبيق الانقسام الكامل للأراضي البلجيكية إلى فلاندرس ووالونيا,[24] إذ كان لديهما تحفضات كبيرة على أي أجراء من هذا الشأن خصوصاً بيسينج الذي كان يعتقد إن الحكومة لابد إن تكون حازمة وعادلة وان تشعر الناس بالعدالة الحقيقية والتـي لا تأتي ألان عن طريق الفصل بل الدمج وتوفير حكومة قوية لحكم البلاد.[25]

وبسبب إصرار بيسينج وحزمه اصطدم بسياسات الحكومة الألمانيـة التـي كانت تؤكد على الانقسام الإداري نتيجة للقلق الشديد الذي كانت تشعر به حكومـة هولويج إزاء تزايد صعوبات الحرب ومخاطرها, وبما إن بيسينج لم يكن يشعر بهذا القلق فقد تحمل إعمال المقاومة الفلمنكية واستمر بتطبيق سياسة الانقسـام الإداري بأسلوب بطيء ومدروس.[26]

المشكلة الرئيسية بتطبيق الانقسام الإداري كان التناقض الكبير بين مجلس الفلاندرس والحكومة الألمانية من جهة والشعب الفلمنكي من جهة أخرى, إذ على الرغم من الاندفاع والحماس الكبير لأعضاء مجلس الفلاندرس ورجال الحكومة الألمانية في تحقيق الانقسام إلا إن الشعب الفلمنكي لم يكن متحمساً أو مندفعاً في الانقسام, بل انه في معظم الأحيان كان غير مرحباً بالخطوة. ومع إن بيسينج كان يدعم موقف الشعب الفلمنكي في عدم الاستعجال بتطبيق الانقسام إلا انه في نهاية سنة 1917م أنجز الانقسام وعلى الأرض كان هناك حكومتان منفصلتان في بلجيكا.(27)

وفي الوقت الذي انتهى فيه الاحتلال الألماني لبلجيكا في عام 1918م كان نظام الانقسام الإداري قائماً ومع انه وجد لتحقيق المصالح الألمانية إلا إن انتهى بخدمة مصالح بلجيكا وأفضل دليل على ذلك إن هذا النظام مازال باقياً في بلجيكا إلى الآن.(28)

ودوافع الألمان في صياغة هذه السياسة وبأحسن الأحوال مشكوك فيها لأنها لم تكن من اجل بلجيكا أبدا لكن متطلبات السياسة أجبرت البلجيكيين على نبذ الفرقة واحتواء نقمة الفلامنكة عبر مساواتهم مع الوالون, وبالمقابل قام الفلامنكة بمقاومة الاحتلال الألماني لا لأنهم كانوا ضد السياسة الألمانية ولكنهم كرهوا استغلال ألمانيا لمشكلة بلجيكية داخلية لخدمة مصالحهم.(29)

وفي نظرة متفحصة للموضوع نرى إن المشروع السياسي الألماني في بلجيكا قد أوضح النزاع الحاد بين رجال السياسة وقادة الجيش الألماني واعتراضات الحاكم بيسينج والشعب الفلمنكي عليها. إلا إن هذا الأمر لا يدفعنا أبدا إلى التشكيك بولاء بيسينج لألمانيا بل على العكس من ذلك فأنه قد طبق جميع السياسات التي أرادتها الحكومة الألمانية بجد وإخلاص متفاني, لكنه أراد إن يقوم بذلك بطريقة تجعل من الاحتلال قابل للتحمل بالنسبة للبلجيكيين ودون إن يعرض مصالح بلاده للخطر.(30)

وعلى كل حال فأن المشروع السياسي الألماني في بلجيكا صور المساومة الحادة بين أفكار ونظريات رجال الحكومة الألمانية وقادة الجيش الألماني والحاكم بيسينج والشعب البلجيكي, وقد انتقل هذا الميزان المتأرجح بين نوايا القوى المتصارعة إلى الحالة الاقتصادية أيضا إذ كان هناك العديد من الأفكار المتعارضة في مجال السياسة الاقتصادية في بلجيكا والتي أثارت نزاع كبير بين بيسينج وبرلين والتي امتد تأثيره على الشعب البلجيكي.

2- السياسة الاقتصادية الألمانية في بلجيكا المحتلة:

أوجد الاحتلال الألماني العديد من المشاكل الاقتصادية لكلا البلدين, إذ احتاج الألمان لموارد نقدية كبيرة لتجهيز أفراد جيشهم ولدعم الترتيب الحكومي الذي أوجدوه في بلجيكا, كما احتاجوا إلى مصادر مالية لدعم مجهودهم الحربي.(31)

امتلك الألمان العديد من الخيارات والأساليب الاقتصادية لاستغلال الموارد والثروات الطبيعية البلجيكية, الخيار الأول ارتكز على استغلال كامل لمصادر الثروة البلجيكية عن طريق سلب هذه الثروات واستغلال الأراضي ومصادرة رأس المال البلجيكي. وقد دعمت المؤسسة الصناعية العسكرية الألمانية وحكومة الرايخ هذه السياسة , والتي قصد منها تحويل بلجيكا من بلد مستقر اقتصادياً إلى ارض مقفرة.(32)

إما الخيار الثاني فارتكز على السماح للبلجيكيين بشيء من الحرية الاقتصادية بعد التأكد من إن أعمالهم الاقتصادية لن تؤدي إلى المساس بالمصالح الألمانية, وفي حقيقة الأمر كان هذا الخيار غير ملائم وبعيد عن واقع التعامل مع قوات أجنبية محتلة, والخيار الثالث والأخير,(33) والذي كان من اشد أنصاره الجنرال بيسينج وحكومته, فقد كان يؤكد على استخدام قدرات بلجيكا الاقتصادية لخدمة ألمانيا مع الاحتفاظ بتلك القدرات مما يسمح لأنظمام بلجيكا أو إقليم الفلاندرس في المستقبل إلى الإمبراطورية الألمانية.

وكما أتضح في حالة المشروع السياسي الألماني لبلجيكا فأنها لم تكن تملك مشروع اقتصادي لها بعد الاحتلال وقد جاءت الإجراءات والسياسات التي اتخذت وليدة الظرف والحاجة والساعة.

وما إن أكمل الألمان احتلال بلجيكا حتى قاموا وخلال فترة قليلة بالاستيلاء على الأموال البلجيكية واستخدموها في دعم قواتهم في بلجيكا, واستندوا بذلك على تفسيرهم لاتفاقية لاهاي الموقعة في عام 1907 من قبل ابرز الدول الأوربية كبريطانيا وألمانيا وفرنسا وبلجيكا, والتي أكدت على مجموعة من القواعد الدقيقة التي تحكم تصرف الجيوش والدول في حروب المستقبل, وقد أوضح احد بنودها إن على الجيش المحتل الحق في طلب الدعم المالي من البلد المحتل وقد استخدم الألمان هذا التبرير لفرض الغرامات وطلب المواد التي يحتاجها جيشهم,(34) على إن هذا التبرير فقد أثره بعد فترة قليلة لأن الألمان أرادوا تجاوز شروط الاتفاقية من جانب, ومن جانب أخر إن مصداقية ألمانيا أصبحت غير ذات اثر في هذه المنطقة لكثرة الانتهاكات التي قاموا بها.

وبعدما سيطر الجيش الألماني على بروكسل في شهر آب 1914م فرض على المدينة دفع مبلغ ((50 مليون فرنك)) كمساهمة في دعم جهوده الحربية,(35) وتكرر هذا الأمر في أكثر من مدينة بلجيكية واستعمل القادة العسكريين الألمان الغرامات والضرائب الباهضة لمعاقبة المدن والمناطق التي تقاومهم ومثال على ذلك تم فرض غرامة حربية مقدارها ((500000 فرنك ألماني)) على مدينتي بروكسل وانتويرب لتصليح الطريق السريع الذي تعرض إلى إضرار بسبب المقاومة البلجيكية.(36)

واثر تشكيل إدارة الاحتلال وتوجه معظم القوات العسكرية الألمانية إلى ساحات المعارك في الخطوط الأمامية في فرنسا, بدأ كبار رجال الصناعة الألمان بالتفاهم مع القوى العسكرية لضمان استغلال الثروات الطبيعية البلجيكية كالفحم

والنفط والحديد والفولاذ والمعادن الثمينة,[37] ولما كان الهدف الرئيسي للحكومة الألمانية هو حماية ألمانيا من الهجمات المستقبلية وجعل ألمانيا قوة عالمية مهيمنة, فقد تلاقت مصالح العسكريين مع رجال الصناعة والاقتصاد فقاموا بإنشاء ((دائرة المواد الأولية في وزارة الحرب الألمانية)) والتي تولى شؤونها في بلجيكا الجنرال البلجيكي غوفير نمينت, وقد كان القوة الدافعة وراء هذا المشروع رئيس شركة ((جنرال إليكترونيك الألمانية)) رجل الأعمال الشهير ((والتر رادينو)) الذي أكد على وجوب شراء أو احتكار كل سهم موجود في البلاد المحتلة,[38] ولما دخلت هذه الأفكار حيز التطبيق في بلجيكا شكلت سمة جديدة من سمات السياسة الاقتصادية الألمانية لاستغلال القطاع الصناعي البلجيكي.[39]

النتائج العامة لهذه السياسة الاقتصادية كانت إنشاء مكاتب مركزية لتطوير الفحم والغاز والنفط ومصادر الطاقة الأخرى, وصبت هذه المكاتب جهودها على البحث عن المواد الأولية في بلجيكا واستغلالها لدعم المجهود الحربي الألماني.[40] كما قامت الشركات الألمانية الكبرى بشراء الشركات والمصانع البلجيكية والأجنبية بأسعار زهيدة, وفي نفس الوقت استولى المصرفيين الألمان وتحت العديد من الذرائع على رأس المال البلجيكي والأجنبي واستخدامه في تمويل عملياتهم المصرفية والتجارية.

ولإعطاء صورة أوضح على ممارسات الألمان في استغلال مصادر الطاقة والثروات الطبيعية البلجيكية نورد المثالين الآتيين: المثال الأول قيام الألمان في شهر واحد من عام 1915م بمصادرة ((7400 طن)) من الفحم, و((6100 طن)) من الفوسفات, و((1350 طن)) من النفط الخام, وأكثر من ((10000 طن)) من المعادن المختلفة, والاستيلاء على نصف الطاقة الإنتاجية لمعامل النسيج البلجيكية.[41]

إما المثال الثاني فيتلخص بقيام الألمان بنشر بيان في مدينة بروكسل العاصمة في 13 كانون الأول 1916م طلب فيه من الأهالي تسليم كل مـا بحـوزتهم مـن حاجيات منزلية مصنوعة من النحاس والنيكل والقصدير إلى السلطات المحليـة أو الجيش الألماني لاستخدامها في الإغراض العسكرية.[42]

مع استمرار الاستغلال الاقتصادي لبلجيكا أراد الجنـرال بيسـينج إن يمنـع المؤسسات الصناعية الألمانية من فعل ما تريد في بلجيكا عن طريق معارضته لهذا التدمير الغير المسؤول للصناعة البلجيكية, لكن معارضته كانت ضعيفة وغير ذات تأثير إزاء ما كان يتمتع به تحالف رجال الجيش مع رجال الصناعة من قوة ونفوذ. وقد أعطى بيسينج عدة أسباب لمعارضته, أولها إن الاستغلال الاقتصادي كان ضد المفهوم الذي يجب إن تتحلى به القوة المحتلة من الإنصـاف والعدالـة, وثانيـاً إن سياسة الاستغلال الاقتصادي تعيق سياسة الانقسام الإداري وتجعلها بلا معنى لأنها توضح لكلاً من الفلاندرس والوالون بأن مصالح ألمانيا تتقاطع مـع مصـلحتهما, وثالثاً إن فلاندرس ضعيف ومدمر لن يكون ذا جدوى للمصالح الألمانية على عكس فلاندرس مستقر يمكن إن يكون وبمرور الوقت سلعة ثمينة للأمـة الألمانيـة..[43] وخلاصة أفكار بيسينج انه أراد المحافظة على الاقتصاد البلجيكي وعدم الاستمرار في تحطيمه,[44] لأن بلجيكا تتمتع باقتصاد قوي نسبياً هي ذات قيمة كبيرة للمصالح الألمانية لا بلجيكا الضعيفة المنهارة اقتصادياً التي ستكون عبئاً دائماً عليها,[45] كما كان يرى بيسينج.

على الرغم من إن بيسينج لم يستطع وقف الاستغلال الاقتصادي إلا انه عمل على حل بعض المشاكل التي كانت تمس حياة الإنسان البلجيكـي بشـكل مباشـر وخصوصاً مشكلتي البطالة ونقص الغذاء والتي أوجدتهما السياسات الألمانيـة,[46] ففي الأولى حاول خلق فرص للعاطلين عن العمل في داخل بلجيكا أضافه إلى انـه حاول معالجة مشكلة إجبار العمال البلجيكيين على العمل الإجباري في ألمانيا.[47]

إما المشكلة الثانية والتي هي نقص الغذاء فمن الواضح إن الإجراءات الألمانية كانت مسئولة بشكل مباشر عن اغلب معاناة الشعب البلجيكي خلال الحرب العالمية الأولى عندما استولى القادة العسكريين على كميات كبيرة من الأغذية والتجهيزات واستخدموها في تموين قواتهم,[48] كما قام الألمان بتصدير كميات الغذاء المتبقية إلى داخل ألمانيا والتي كانت متضررة بشكل كبير من الحصار البحري الذي فرضته عليها البحرية الملكية البريطانية والذي كان يمنع دخول المواد الغذائية إلى ألمانيا والمناطق الواقعة تحت نفوذها.[49] وبالتالي تسبب الألمان والبريطانيين بألام كبيرة للشعب البلجيكي مما افشل جميع الجهود التي قام بها بيسينج من اجل حل أزمة الغذاء في بلجيكا, لكن جهوده أفلحت في نهاية الأمر عندما نجح بإقناع الحكومة الألمانية بالسماح لمنظمة الإغاثة بالعمل في بلجيكا,[50] وقد كانت هذه المنظمة أمريكية ومحايدة فعملت على جمع المواد الغذائية والتجهيزات الضرورية وتوزيعها على أفراد الشعب البلجيكي.

وقد بدأ عمل المنظمة بعد فترة قليلة من بداية الاحتلال الألماني لبلجيكا عندما نجح بيسينج في الحصول لها على موافقة الحكومة الألمانية كما أدت موافقة بريطانيا وفرنسا على السماح للسفن المحايدة بحمل المواد الغذائية إلى بلجيكا في عام 1915م إلى زيادة كبيرة في عمل المنظمة والى تدفق المواد الغذائية من معظم أنحاء العالم.[51]

وقد كان لمنظمة الإغاثة أربعة مكاتب رئيسية, أحداها في بروكسل والذي كان مشرفاً على عملية التوزيع والتي كانت متطلباتها تصل إلى حوالي ((2500000 مليون فرنك)) شهرياً وتغذي حوالي ((7000000 ملايين)) مواطن, وقد احتاجت المنظمة إلى تعاون كبير من الحكومة الألمانية وتسهيلات كثيرة وفي الحقيقة قدمت الحكومة الألمانية دعمها وتعاونها الكبير للمنظمة بطريقتين,[52] الأولى موافقتها الكاملة على جميع خطط وأهداف المنظمة وإبداء

التعاون الكامل في توزيع الأغذية إلى درجة انه كان لديها الاستعداد لقبول المساعدات المالية النقدية الأجنبية وتسليمها بشكل مباشر للبلجيكيين.[53]

إما الطريقة الثانية وفي إثناء تفاقم المعارك ما عادت منظمة الإغاثة قادرة على الوفاء بالحاجات المتزايدة للشعب البلجيكي مما دفعها إن تطلب من الحكومة الألمانية اتخاذ إجراءات عاجلة لمنع تصدير المواد الغذائية من بلجيكا إلى ألمانيا, وقد وافقت الحكومة الألمانية فوراً على ذلك مما عاد بفائدة كبيرة على الشعب البلجيكي الذي كان يعاني حقيقةً من النقص الحاد في الأغذية,[55] لكن هذا الموقف الإنساني النبيل للألمان على الرغم من إنهم قوة محتلة لا يجب إن ننخدع به لأنهم عوضوا عن عدم تصدير المواد الغذائية بتصدير كميات مضاعفة من المواد الأولية كالفحم والنفط والغاز والحديد وغيرها.[56]

أن السياسة الاقتصادية الألمانية في بلجيكا يمكن تقييمها كنجاح لبيسينج أو فشل للحكومة الألمانية, وحسب الزاوية التي ننظر منها للموضوع كما يجب إلا يفوتنا إن بلجيكا كانت بلداً محتلاً إثناء الحرب العالمية الأولى والدولة التي احتلتها كانت في حاجة لمصادرها الطبيعية ولقوتها البشرية لدعم مجهودها الحربي ولم تكن مفاجأة لأحد قيام الحكومة الألمانية – وخصوصاً التحالف العسكري الصناعي– باستغلال بلجيكا لتلبية حاجات بلدهم المتزايدة تبعاً للتطورات الحربية, ولعل من المفيد إن نذكر بأن الجنرال بيسينج كان ضابط في الجيش الألماني وأراد وبشكل كبير استغلال بلجيكا لتحقيق منفعة وطنه, لكنه كان يؤمن بأن الاحتلال الألماني يجب إن يكون عادلاً لكلا الطرفين وعلى الرغم من إن هذه المعادلة مستحيلة التطبيق لأن الاحتلال لايمكن له إن يكون عادلاً لكن مع ذلك فقد نجحت سياسات بيسينج في توفير حياة أسهل وأفضل للشعب البلجيكي في ظل الاحتلال الألماني.

الخاتمة:

تعتمد القصة الحقيقية لبلجيكا إثناء الحرب العالمية الأولى وبشكل كبير على التقديرات ووجهات النظر المختلفة لكلا الفريقين المتحاربين. فبلجيكا كانت بلد محتل, وألمانيا كانت القوة المحتلة, وهذه الحقيقة ضرورية لفهم وإدراك الحالة البلجيكية. وبالمقارنة مع ما جرى من إحداث وأمور في الحرب العالمية الأولى فأن الإحداث التي رافقت احتلال بلجيكا كانت مقبولة بعض الشيء!

فحسب وجهة نظر دول الوفاق إن الألمان قاموا بأعمال مريعة بدءوها بتقسيم بلجيكا إلى منطقتين منفصلتين, وعملوا على توظيف القومية الفلمنكية لخدمة مصالحهم الخاصة وقاموا باستغلال مصادر بلجيكا الطبيعية والصناعية والمالية لدعم الجيش الألماني والمجهود الحربي العام, وطالت أعمالهم القطاع الصناعي البلجيكي الذي حاولوا القضاء عليه وتدمير الشركات والمصانع المحلية والأجنبية, مما يعكس لأي مراقب مدى القسوة والوحشية التي كان يتعامل بها الألمان مع الشعب البلجيكي.

إما وجهة النظر الأخرى- والتي هي وجهة نظر ألمانيا وحلفائها- فأن الألمان اشتركوا في حرب كبرى تطلبت منهم وضع جميع القوى البشرية والمصادر الطبيعية والصناعية تحت تصرفهم, وان الظلم الذي حل ببلجيكا كان حالة طبيعية لزيادة حظوظ ألمانيا في تحقيق النصر, وكلما تدهورت حالة ألمانيا الحربية كان يقابلها زيادة في الضغوط العسكرية والصناعية على بلجيكا, وهذا نتاج طبيعي للاحتلال.

وقد أفرزت زيادة الضغوط الألمانية والتطرف في استغلال مصادر الثروة البلجيكية الى بروز العديد من المشاكل والخلافات العقائدية في أوساط الحكومة الألمانية لاختيار السبيل الأفضل في كيفية التعامل مع القضية البلجيكية مما ساعد في النهاية على صياغة السياسة الألمانية في بلجيكا.

الهوامش

1- The Army Quarterly, London (July, 1929), 18 (2): pp.286-90.
2- S.L.A. Marshall, World War One (Boston: Houghton Miflin, 1992),p. 56.
3- Ibid, p.57.
4- Rainer Rumold and O.K. Werckmeister, Ed., The Ideological Crisis of Expressionism (Columbia, SC: Carridon House, 1990), p.45.
5- IBAD,p.52.
6- Rumold and Werckmeister,Op. Cit,p.45.
7- Marshall,Op. Cit,p. 57.
8- Ibid.
9- Leon Van Der Essen, A Short Account of the German Invasion and Occupation of Belgium. (London: Adelphi Terrace, 1918),p. 37.
10- Rumold and Werckmeister,Op. Cit, 47.
11- (Washington: Carnegie Foundation for International Peace, 1942),pp. 16-18.
12- Ibid,p.17.
13- Van Der Essen,Op. Cit,pp. 41-42.
14- Ibid.,p. 42.
15- Kobler,Op. Cit,pp. 33-39.
16- Rumold and Werckmeister,Op. Cit,p. 50.
17- (Belgium: Ministere des Affaires Etrangeres, 1918),pp. 511-515.
18- IBAD,pp. 49-62.
19- Fernand Passelecq, Belgian Unity and the Flemish Movement (London: Spottiswoode, Ballontyre, and Company, 1916)p. 1.

20- Fritz Fischer, Germany's Aims in the First World War (London: Chatto and Windus, 1967),pp. 103-113.
21- Ministere des Affaires Etrangeres,Op. Cit.p. 512.
22- Kohler,p. 49.
23- Kohler,pp. 45-52.
24- Ibid.,p. 49.
25- M.H. Carton De Wiart, Administrative Separation: What Belgians in Invaded Belgium Think of it. (London, T. Fisher Unwin, 1918),p. 10.
26- Passelecq, Belgian Unity,Op. Cit,p. 7.
27- Kohler,Op. Cit,p. 58.
28- Rurnold and Werckmeister, Op. Cit,pp. 58-59.
29- Christian Gauss, Some War Curiosities and the Clandestine Press in Belgium (Philadelphia: McKinley Publishing Company, 1918),p. 8.
30- Van Der Essen, Op. Cit,p. 48.
31- IBAD,p.55.
32- Ibid,p.58.
33- Ibid,p.69.
34- Kohler, Op. Cit,p.72.
35- Ministere des Affaires Etrangeres, Op. Cit,p. 517.
36- Ibid,pp. 517-518.
37- Ibid,p. 518.
38- Ibid,p. 516.
39- Robert Armeson, Total Warfare and Compulsory Labor (The Hague: Martinus Nijhoff, 1964),pp. 18-32.
40- Ibid,p. 24.
41- Great Britain, Great Britain and Supplies for Belgian Industries (London: Foreign Office, 1916),p. 2.
42- Ministere des Affaires Etrangeres, Op. Cit,p. 519.
43- See Van Der Essen, Ch. 2, and Rumold and Werckmeister,pp. 62-66, for treatment of Bissing's ideas.

44- W.L. Honnold, The Commission for Relief in Belgium (1917), pp.3-4.
45- Jan-Albert Goris, Belgium (Berkeley: University of California Press, 1945),p. 66.
46- Gerd Hardach, The First World War 1914-1918 (Berkeley: University of California Press, 1977),p. 39-42.
47- Armeson, Op. Cit,p. 29.
48- Fernand Passelecq, OP .Cit.
49- Ibid, xi-xix. (Introduction).
50- W.L. Honnold, Op. Cit.
51- C R B, General Instruction Books (New York: The Commission for Relief in Belgium, 1915),p. 3.
52- Ibid,p. 7.
53- Honnold, OP.CIT,p. 6.
54- Ibid.
55- Ibid, pp.3-10.

الرئيس الأمريكي وودرو ولسن Woodrow Wilson واليهود والحركة الصهيونية

1913-1921م

تشغل دراسة الشخصيات السياسية مكاناً بارزاً في الدراسات التاريخية لما تقدمه من نظرة متأنية للكيفية التي يتم بها صنع السياسات العالمية وقيادتها، ولسبر غور ألأحداث التاريخية وبحسب طبيعة هذه الشخصية أو تلك في عملية صنع التاريخ. ولتحقيق أكبر فائدة من دراسة هذه الشخصية فقد عملنا على توسيع دراستها عن طريق ربطها باليهود والحركة الصهيونية، في محاولة لفهم وإدراك السياسة التي اتبعتها بلاده تجاههم, وهذا من خلال دراسة مواقفها الشخصية والسياسية تجاه اليهود والديانة اليهودية, هذا من جانب ومن جانب أخر إيضاح الدور الذي لعبه اليهود في التلاعب بالإدارة الأمريكية وتبيان الطريقة التي اتبعوها لتحقيق الأهداف الصهيونية وظهورهم على المسرح الدولي وحتى نهاية الدور السياسي لشخصيتنا المختارة.

وموضوعنا المختار لهذا البحث هو الرئيس الأمريكي وودرو ولسن، وهو الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية والذي حكمها خلال سنوات (1913 – 1921)، إذ كان له العديد من المواقف البارزة في حياته السياسية الطويلة تجاه اليهود والديانة اليهودية والحركة الصهيونية، وبالتالي يستلزم هذا الكثير من البحث والاستقصاء في فهم ومعرفة حقيقة هذا الدور والأُسلوب السياسي الذي أتبع في ظل إدارته مع كل من يهود أمريكا والصهاينة.

ومع القدر الكبير الذي يحظى به هذا الموضوع من أهمية إلاَّ أنَّه لم يلقَ الاهتمام الكافي من لدن الباحثين لدراسته بشكل علمي و وثائقي مستقل – حسب إطلاعنا –, ولهذا جاءت هذه الدراسة محاولة متواضعة لفهم سياسة الولايات المتحدة الأمريكية المتبعة في عهد الرئيس وودرو ولسن تجاه اليهود.

حياة الرئيس وودرو ولسن (1856-1924):

ولد توماس وودرو ولسن Woodrow Wilson عام 1856م وكان ترتيبه الثالث بين أخوته,[1] ونشأ وتربى تربية دينية في عائلة تعود إلى الأصول الاسكتلندية إذ هاجر أجداده من طرفي أمه وأبيه إلى الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر واستقروا في ولاية أوهايو[2]. وعندما بلغ سن الثالثة من عمره انتقلت عائلته إلى مدينة اوغستا في ولاية جورجيا ثم سرعان ما اندلعت الحرب الأهلية الأمريكية (1861- 1865) فمرت العائلة بظروف صعبة لتأييد الأب الشديد للاتحاديين أضافه إلى تعرض المدينة التي كان يقطنونها إلى هجمات متكررة من الشماليين.[3] ولقد تركت طبيعة الأب المثالية والمتعصبة لمبادئها اكبر الأثر في ولسن ولاسيما بما يتعلق بأحقية الحرب وأهميتها في جمع وحدة الصف الأمريكي وبأن الجنوب هو مركز الولايات المتحدة[4].

تلقى ولسن تعليمه على يد والده لكنه سرعان ما التحق بالمدارس الدينية ثم تنقل بين عدة مدارس في الولايات الشمالية[5]. وكان كأبيه يهتم بالتاريخ والأدب الإنكليزي, وبناء على رغبة والده دخل كلية (ديفيدسن الدينية) في ولاية كارولينا الشمالية لكن لم يطل المقام بها إذ سرعان ما انتقل إلى (كلية نيوجرسي) لدراسة الأدب الإنكليزي[6]. ولقد برزت في هذه الكلية ميوله وأحلامه السياسية إذ بدأ بالاهتمام بتقنيات الخطاب السياسي العام اثر اصطدامه بالقدرات إلا متناهية لفن الخطابة الإنكليزي وقراءته بشكل متكرر لمؤلفات وخطابات رئيس الوزراء الإنكليزي (وليم غلادستون) الذي برز في القرن التاسع عشر, ونتيجة لكل ذلك ومصحوبا بأحلامه السياسية الكثيرة بدأ يسجل على الكتب التي يستعيرها هذه الملاحظة: (توماس وودرو ولسن عضو مجلس الشيوخ من فرجينيا).[7]

عمل ولسن بجد لتطوير وتحسين أسلوبه الكتابي ومقارنته بأساليب الكتاب الإنكليز لأنه كان يعدهم الأفضل, وقام في شهر أب 1897م بنشر مقالته (الحكومات الوزارية في الولايات المتحدة)[8], ومع جيدة الأسلوب الذي اتبع في

كتابة هذه المقالة, إلا أنها كانت غير ذات معنى ولا تحمل من العلميــة إلا القــدر الضئيل مما يدل على استعجاله المضي بطريق الشهرة كما تدل على بساطة تفكيره آنذاك وتأخر نضوجه, ولا يفوتنا إن نذكر إن تأثره بنظام الحكم البريطــاني كــان بارزا في مقالته وبالأخص عند مطالبته بدور اكبــر للــوزارة و تهمــيش الــدور السياسي الذي يتمتع به الرئيس الأمريكي وجعله مماثلا للدور الذي يؤديــه الملــك البريطاني.

سرعان ما انتقل ولسن إلى دراسة القانون عندما علم أنها ضــرورية لتمهــد لهو الطريق في الدخول إلى عالم السياســة, فــالتحق بجامعــة فرجينيــا ليصــبح محاميا[9]. وما أن أكمل دراسة القانون حتى اظهر ميلا كبيرا للتاريخ السياسي وقد حظي بمساندة أستاذ التاريخ الأمريكي (هربرت باكستر ادامــز) والــذي نصــحه بتطوير مقالته السابقة والمتعلقة بتاريخ الوزارات الأمريكية, وقد التزم ولسن بــذلك وقام بتوسيعها واظهر فيها ميلا واضحا للحــزب الــديمقراطي, و قــدمها ولســن كأطروحة دكتوراه ورغم قلة المعلومات التي احتوتها, إلا أنهــا قبلــت فــي ســنة 1885م ومنح على أساسها درجة الدكتوراه في التاريخ الأمريكي[10].

في ذات السنة شهدت حياة ولسن تطورين هامين هما, زواجه من ابنة رجــل دين في جورجيا واسمها (الين لويز اكسون), والتطور الثاني هو قبوله كتدريســي في كلية (برين مار للبنات), وهكذا شهدت حياته تطورات مهمة ومتسارعة كان لها اثر واضح في أعداده للمنصب السياسي الذي كان يحلم به.[11]

واثر عدم قدرته على تحمل الأوضاع التي كان يعاني من صعوبتها في كلية برين مار للبنات جراء عدم تأقلمه مع فتيات الكلية فقد انتقل إلى جامعة ويسليان في مدينة كونيكتيكت وشغل فيها مقعد أستاذ التاريخ السياســي والاقتصــادي.[12] ثــم سرعان ما ترقى في المناصب الإدارية واستطاع الوصول إلى منصب عميد كليــة عبر توظيفه لفريق كرة القدم والذي حقق معه نجاحات كبيرة اثر شــغله لمنصــب مدرب الفريق.[13]

من هنا بدأ ولسن بالعمل التمهيدي الحقيقي لتحقيــق حلمـــه فـــي ان يكـــون شخصية سياسية مهمة وقام بأعداد نفسه لهذه المهمة فنشر العديـــد مـــن المقـــالات السياسية والأدبية طمعا بتحقيق شهرة من هذا العمل, كما أبدى رأيه في السياســـات الحكومية وانتقد الظروف الراهنة بشدة, وأكد على إتباع السياسات المثاليـــة ونبـــذ الروح العلمية الجامدة, وجاء ذلك في كتابيه الذين وضـــعهما فـــي عـــامي 1893 و1896 وحمل الكتاب الأول عنوان (معلم قديم ومقالات سياسية) إما الكتاب الثاني فقد حمل عنوان (أدب مجرد), فذاع صيته وأصبحت له مكانة محترمة فـــي الـــبلاد وخصوصا بعد نشره في عام 1902 كتاب (تاريخ الشعب الأمريكي)(14).

قد أثمرت جهود ولسن ودفعته إلى إن يتبوأ منصب رئيس جامعة برينســـتون في عام 1902 وهو العام نفسه الذي تم فيه انتخـــاب تيـــودور روزفلـــت رئيســـا للولايات المتحدة, وقد حظر ولسن مراسيم التنصيب الرئاســـية باعتبـــاره رئيســـا لجامعة برينستون وكانت الفرحة لا تسعه للتقدم السياسي الذي تحقق له بسرعة(15).

وكرئيس لجامعة برينستون قام بعدة إصلاحات لتطـــوير الجامعـــة بمحاولـــة محاكاة نظام التعليم الجامعي البريطاني واستحداث اختصاصـــات علميـــة وأدبيـــة وتنظيم الأمور الإدارية للجامعة بشكل حديث(16). وحقق نجاحات كبيرة في عملـــه وظفها للتدخل بصورة اكبر في الشؤون السياسية العامة, وفي ذات الوقت عدل عن موقفه السابق والقاضي بتهميش دور الرئيس الأمريكي واقر بأن الرئيس لابـــد إن يكون صاحب أقوى الأصوات الوطنية لتحقيق السياسات التي يؤمن بهـــا الشـــعب وفرضها إذا ما لزم الأمر ما دامت تتلاءم مع مصالح ورغبات الشعب(17).

وهكذا كان ولسن يعبد طريقه نحو عالم السياسة ويعمل على إزالة العقبـــات عن طريقه, وساعده بذلك الجنرال (جورج هارفي) والذي كان له الفضل الـــرئيس في ولوج ولسن لعالم السياسة بهذا الشكل العريض, إذ كان هارفي على الضد مـــن العناصر التقدمية في الحزب الديمقراطي, واقترح على رئاسة الحزب اختيار ولسن

ليكون مرشح الحزب لمنصب عمدة ولاية نيوجرسي وكان هذا الترشيح عام 1906م, غير انه لم يحظى بالأصوات اللازمة ليكون مرشح الحزب لهذا المنصب غير انه فاز بالترشيح لذات المنصب في عام 1910م[18].

وحسب القانون الأمريكي استقال ولسن من منصبه كرئيس لجامعة برينستون في 20 تشرين الأول 1910م ليتفرغ لقضية ترشيحه[19], وفي انتخابات الولاية استطاع إن يكسب معظم الأصوات الانتخابية لصالحه مستفيدا من حالة التذمر الكبير التي كان يشعر بها أهالي نيوجرسي من الحزب الجمهوري والذي خذلهم مرات عدة.[20] أي إن فوز ولسن لم يكن بشعبيته وتعلق الناس به كما لم يكن بجهود حملته الانتخابية بل إن الظروف قد خدمته في ذلك.

لم تكن فترة ولايته لنيوجرسي سهلة بل كانت بمثابة مفترق طرق في حياته السياسية, إذ أصبح مؤمنا ومعتنقا للإصلاح ومحاربة الفساد الإداري والإسراع بالقضاء علية,[21] وجعلت منه فترة ولايته رجلا ذو فكر وعقيدة ومبدأ فلمع اسمه ليصبح من أشهر الشخصيات الأمريكية.[22]

وهناك مسألة في غاية الأهمية عملت على مساعدته للظهور والبروز على الساحة السياسية هي الأوضاع التي كان يمر بها كلا من الحزبين الرئيسين في الولايات المتحدة, الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي, إذ ساعدته ظروفهما كثيرا في الوصول إلى مبتغاه في الوصول إلى البيت الأبيض, فقد كان الحزب الديمقراطي يمر بفترة مراجعة وبحث عن مرشح رئاسي جديد اثر فشل مرشحه (وليم براين) بالفوز بسباق الانتخابات الرئاسية ولمرتين على التوالي, وفي ضوء ما كان يتمتع ولسن به من مؤهلات وقدرات إضافة للدعم الذي كان يتمتع به, عد الأفضل للديمقراطيين في حينه[23].

إما الحزب الجمهوري فهو الأخر كان يمر بظروف عصيبة ومربكة, إذ وللمرة الأولى بتاريخي الحزب والولايات المتحدة يقدم الحزب الجمهوري على

تقديم مرشحين لذات المنصب, مما قلل بشكل كبير من فرصه بالفوز في السباق الرئاسي, وفي ذات الوقت عنى ذلك إن إمام ولسن فرصة كبيرة للفوز بالانتخابات الرئاسية وتحقيق حلمه[24]. وقد عنى الأمر فرصة ذهبية لكلا من ولسن والحزب الديمقراطي للفوز بالانتخابات الرئاسية بعد احتكار طويل من قبل الحزب الجمهوري للمنصب الرئاسي, إذ لم يشغل أي ديمقراطي هذا المنصب منذ عام 1897م[25].

مع بداية عام 1912م بدأ كلا الحزبين الديمقراطي والجمهوري بالاستعداد للانتخابات الرئاسية عبر عقد المؤتمرات الحزبية لاختيار مرشح الحزب للمنصب الرئاسي وكم كان الحزب الديمقراطي موفقا في مؤتمره لاتفاقه على اختيار مرشح واحد هو وودرو ولسن, بالمقابل كان الحزب الجمهوري يؤدي أداء سيئا عندما اظهر للجميع تفرق كلمته وانقسام صفوفه بين خصمين هما تيودور روزفلت والرئيس تافت,[26] فكان الحزب الجمهوري على عكس الصورة التي كان وظهر فيها الحزب الديمقراطي مما اكسب الأخير ثقة الرأي العام الأمريكي.

وهكذا فما إن أجريت الانتخابات الرئاسية حتى فاز ولسن, وفي ذات الوقت حقق الديمقراطيين سيطرة كبيرة على مجلسي الكونغرس[27], مما عد نصرا كبيرا للحزب الديمقراطي وهزيمة كبيرة للحزب الجمهوري.

ما إن استلم ولسن مهامه الرئاسية في عام 1913م حتى عمد إلى إنعاش تقليد أمريكي لم يمارس منذ مدة طويلة وهو خطاب التنصيب[28], وعمل على إظهار نفسه بأنه فوق التنافسات الحزبية, كما قام بعدة إصلاحات كإصلاح التعرفة الكمركية في شهر تشرين الأول 1913م[29], وأوجد النظام المالي الاحتياطي عام 1914م, وأسس اللجنة التجارية الاتحادية وحسن من شروط عمل البحارة ومنح القروض المالية للمزارعين كما حارب عمالة الأطفال وخفض من ساعات عمل عمال السكك الحديدية[30].

وفي مجال السياسة الخارجية إزاء دول أمريكا الجنوبية أراد إقامة علاقـــات دولية صادقة وجيدة كما أراد استبدال دبلوماسية الدولار التـــي انتهجهـــا الـــرئيس الأمريكي الذي سبقه (تافت), بالدبلوماسية الأخلاقية[31], لكنه لم يثبت على سياســـة واحدة واستخدم سياسات عدة بوقت واحد, إذ طبق سياسة الدولار في نيكـــاراغوا, وسياسة القوة في هاييتي والدومينيكان, إما مع المكسيك فقد وصل الأمر بـــه الـــى استخدام الغطرسة المتعجرفة حتى كادت الحرب إن تقوم بين الدولتين[32].

ومع قيام الحرب العالمية الأولى أعلن الرئيس ولسن في 4 آب 1914م حياد الولايات المتحدة ورفع شعار (البقاء بعيدا) وجاء قراره تماشيا مع المزاج الـــوطني إزاء الحروب[33]. وأكد في بيان الحياد: (انـــه يـــدعو الأمـــريكيين أن لا يكونـــوا محايدين بأفعالهم فقط بل وفي أفكارهم أيضا)[34]. وهكذا كان اتخاذه لأقصى مواقف الحياد بمطلع الحرب العالمية الأولى, لكنه هل ثبت على هذا الموقف؟

ليس من الغريب إن يغير أو يعدل شخص ما موقفه من قضية معينة أو حدث داخلي أو خارجي حتى لو كان هذا الشخص زعيم دولة عظمى, ولكن عندما يكون التغيير حادا وكبيرا أي من أقصى درجات الحياد الى تزعم الحرب وقيادتها فأنـــه يترك أكثر من علامة استفهام حول قدرة هذا الرجل في الحكم على الأمور وبالتالي قياس سعة نظرة, وتدعو الى التساؤل عن قراراته فيما إذا كانت صدرت عن قناعة أم أنها كانت وليدة الظرف والساعة أو أنها كانت تماشيا مع سلوك الرأي العام.

ونتيجة لهذا التأرجح الغريب والذي كان يمر به الرئيس ولسن بـــين الحيـــاد والحرب أراد إن يقدم تبريرا للرأي العام الأمريكي حول مشاركته بالحرب عنـــدما أكد إن المشاركة الأمريكية فـــي الحـــرب هـــي عبـــارة عـــن: (حملـــة صـــليبية ديمقراطية)[35], مما يضعنا من جديد في حيرة وارتياب فيمـــا يتعلـــق بشخصـــية الرئيس ولسن والتي من المفترض إنها كانت متزنة, أم أنهـــا كانـــت مـــن صـــنع المؤرخين! ويكمن ارتيابنا وحسب ما يعلم المختصون بتاريخ الديانة المسيحية إنـــه

ليس هناك أي التقاء أو تزاوج ما بين المسيحية والديمقراطية لأنهما نقيضا بعض وابرز دليل على ذلك ما فعلته البابوية المسيحية في العصور الوسطى, فكيف تصدر هذه الرؤيا من رجل يفترض به انه صاحب أفكار وأخلاق مثالية وعارف بالتاريخ الأمريكي والمسيحي, إلا إذا كان هذا الرجل على نقيض ما اشتهر به.

دفعت إطالة أمد الحرب الرئيس ولسن إلى التفكير بتقديم شيء جديد يساعد في إنهاء الحرب فقدم للعالم بنوده الأربع عشر والتي كانت معالجة جديدة للعالم عبر قولبته بنظام جديد يختلف في كل شيء عن عالم القرن التاسع عشر وما قبله[36].

وارتكزت بنوده على ضرورة قيام مواثيق دائمة للسلام وتطبيق حرية الملاحة في البحار وتخفيض الأسلحة وأجراء تعديلات إقليمية ومنح حق تقرير المصير لجميع الأمم, كما احتوت على القضية الأهم والأغلى في نظرة وهي إقامة عصبة الأمم والتي هي عبارة عن ائتلاف لجميع الأمم وتقام حسب معاهدات معينة لفرض الأمان وبموجب ضمانات متبادلة, وعلى أساس بنوده الأربعة عشر وافقت ألمانيا على إنهاء الحرب[37].

والسؤال المهم هنا هو هل نجح الرئيس ولسن في تطبيق بنوده؟ والجواب هو انه لم يقم بتنفيذ أي من بنوده ونكاد إن نجزم انه لم يلتزم بصورة حقيقية إلا بما يتعلق بإقامة هيئة عصبة الأمم, وقد يعود فشله هذا إلى عدم تقبل زعماء دول الوفاق له إذ كانوا يعدونه متغطرسا وغير واقعي, ثم إن الرئيس ولسن لم يقم بتقديم نفسه وقراراته بالصورة المثالية نتيجة لاعتماده الكبير وكما كان يظن على الدعم الشعبي وجاء إبعاده لخصومه الجمهوريين, والذين كانوا قد حصلوا على أغلبية واضحة في مقاعد مجلسي الكونغرس في انتخابات عام 1918م, عن المشاركة في الوفد الأمريكي الذي شارك بمؤتمر فرساي في فرنسا من الأخطاء التي لا تغتفر. ثم انه خطى خطوة لم يحسب لها جيدا عندما غادر البلاد إلى أوربا وهو في

المنصب الرئاسي, وهذا الأمر لم يقدم عليه أي رئيس أمريكي قبله مما أثار استهجانا شعبيا كبيرا زاد من وقعه وتأثيره الحزب الجمهوري.

وعلى الرغم من نجاح ولسن بتشكيل عصبة الأمم في أوربا إلا انه فشل فشلا ذريعا في أمريكا عندما نجح الحزب الجمهوري في إقناع الكونغرس برفض مقررات مؤتمر فرساي وبالتالي رفض الاشتراك في عصبة الأمم(38), فادى ذلك إلى تعرض الرئيس ولسن لنوبة قلبية أدت إلى إصابته بشلل نصفي مما اشر قرب نهايته السياسية(39), ولما حلت انتخابات عام 1920م فقد الأمل في ترشيحه لفترة رئاسية ثالثة فاعتزل الحياة السياسية وسرعان ما توفي في عام 1924 ودفن في الكاتدرائية الوطنية في العاصمة واشنطن(40).

الرئيس ولسن واليهود والحركة الصهيونية:

أن القادة الأمريكان الأوائل مثلهم مثل الزعماء الدينيين, إذ كان الدين عاملا" مركزياً في أدائهم واستعملوا الرموز الدينية في أقوالهم وتصرفاتهم وبصورة خاصة رموز بني اسرائيل أو أرض الميعاد.(41) وهناك عدد كبير من رؤساء الجمهورية ممن دعوا لإنشاء دولة يهودية في فلسطين حتى قبل إن توجد جماعة يهودية ذات وزن من الناحية العددية والنوعية في أمريكا ,بدئا" بجورج واشنطن .G WASHINTON (1789-1797) وهو مؤسس الولايات المتحدة وقائد الثورة الأمريكية,والذي أكد عندما تولى رئاسة الجمهورية, بأنه: (مثلما خلص الله الإسرائيليين من الاضطهاد في مصر ونقلهم إلى ارض الميعاد أراد الله للولايات المتحدة الأمريكية أن تحقق الهدف نفسه).(42)

وقد سيطرت الأفكار اليهودية على سياسي الولايات المتحدة وصانعي القرار فيها وتوالى الدعم الرئاسي الأمريكي لإسرائيل مسنوداً من قبل الكونغرس الأمريكي للمساعدة في أعادة فلسطين لليهود وإنشاء وطن قومي لهم هناك(43). وتوالت حملة رؤساء أمريكا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لدعم اليهود ومساندتهم بشكل ملفت للنظر(44).

إما في القرن العشرين وبالتحديد في أدارة الرئيس ولسن, فقد كان لليهود دور كبير في عهده تجلى في عام (1917) لما استطاعت القوة الصهيونية بزعامة حاييم وايزمان، والذي تزعم الحركة بعد وفاة هرتز، أن تجد لها مدخلاً إلى الرئاسة الأمريكية من خلال القاضي اليهودي لويس برانديس في المحكمة العليا الأمريكية وهو من نشطاء الحركة الصهيونية في أمريكا[45], والذي أجبر الرئيس ولسن على تعيينه في هذا المنصب[46]، بعد أن قدم له الصهاينة تحذيراً عن كشف علاقته الغرامية مع أستاذه كانت زميلة له في جامعة برنستون عام 1912!! مما عنى إذلالا كبيرا لسمعة الرئيس وحجبا لحلم ولسن بانتخابه لدورة رئاسية ثالثة, فرضخ ولسن لمطالبهم وعيين برانديس.[47] والذي استطاع هو والصهاينة من ورائه إلى أجبار ولسن على استخدام نفوذه لدى الحكومة البريطانية لتقدم وعداً قاطعاً لإقامة كيان يهودي في فلسطين هذا من جهة[48]، ومن جهة أخرى نجح برانديس في إجبار ولسن لإعلان الحرب على ألمانيا لأنه قد استلم تعليمات من المنظمة الصهيونية العالمية جاء فيه أن بريطانيا تدرس عرض للسلام مع ألمانيا إن لم تدخل الولايات المتحدة الى جانبها في الحرب[49]، فأتفق ولسن على تبرير إعلان الحرب للكونغرس الأمريكي من أن ألمانيا قامت بإغراق سفينة فيها عدة مئات من المدنيين الأمريكيين, من دون أعلامه بان هذه السفينة كانت محملة بالأسلحة الأمريكية لإيصالها الى بريطانيا, وقد نجحت هذه الحجة في كسب تأييد الكونغرس الأمريكي للحرب في مطلع شهر نيسان 1917.[50]

ومن المعلوم أن الحركة الصهيونية في بريطانيا بقيادة وايزمان وإثرها في أمريكا، فضلاً عن التأثير الكبير لبرانديس على ولسن في واشنطن, تم الأعداد لمسودة وعد بلفور وتم إعلانها بعد أن تمت الموافقة عليها من الرئيس ولسن.[51] ولقد كان وعد بلفور مكافئة من بريطانيا للحركة الصهيونية، التي عملت على إدخال الولايات المتحدة إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولى لقلب المعادلة العسكرية لصالحها.[52] والأمر الواضح من وعد بلفور كان دفع عامة اليهود

ولاسيما الصهاينة منهم لزج قدراتهم المالية والسياسية ونفوذهم في أمريكا لصالح من سيساندهم في تفعيل هذا الوعد.[53] ولقد أعلن الرئيس ولسن في بيان للشعب الأمريكي أثر صدور وعد بلفور كلمته المشهورة: (إنا مقتنع بأن دول الحلفاء بالاتفاق مع حكوماتها وشعوبها قد اتفقت على أن ترسي في فلسطين أسس كومنولث يهودي)[54].

ولقد عبر الرئيس ولسن عن تأييده الكبير لوعد بلفور في آب 1918 بقوله: (اعتقد أن دول الحلفاء قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا)[55]، ثم عاد وقال (لن تصبح فلسطين مؤهلة للديمقراطية أن لم يمتلك اليهود فلسطين كما سوف يمتلك العرب شبه جزيرتهم أو البولونيون بولونيا)[56].

هذا من جهة ومن جهة أخرى فأن مواقف ولسن الداعمة للصهاينة بتأييده لوعد بلفور يعود إلى نشأة ولسن, فأمه شددت على تعليمه البروتستانتية الأمريكية والتي كانت تؤمن بالأسطورة الصهيونية,[57] وقد وفر له ذلك رصيد غير مباشر من المشاعر والأفكار التي تركت أثرا على موقفه المستقبلي من الحركة الصهيونية وأهدافها.[58] وكان ولسن يسعى أن يكون له دور في إعادة اليهود إلى أرضهم, ويعد اعترافه بأنه ينبغي أن يكون قادراً على المساعدة على إعادة الأرض إلى أهلها, خير دليل على ذلك[59].

كما كانت عقيدة ولسن المتشبعة بالمفاهيم التوراتية هي المحرك الأساس لتأييده الصيغة المقترحة لوعد بلفور والمتناقضة تناقضاً جذرياً مع المبادئ التي أعلنها على العالم لإقرار السلام العالمي وضمان حق الشعوب في تقرير مصيرها[60]. ولا بد من التوضيح هنا أن مبادئ ولسن عن حق تقرير المصير كانت متناسقة مع المنظور الصهيوني ولاسيما النقطة الرابعة عشر من مبادئه, والتي عنت بشكل رئيس باليهود لضمان مبادئ تقرير المصير لهم.

كان الرئيس ولسن مدفوعاً لتحقيق آمال اليهود انطلاقا من خلفيته الدينية والتي تؤمن بالنبوءات التوراتية وكان يسعده بأن يكون له دور في إعادة اليهود إلى فلسطين وذلك في قوله: (أن ربيب بيت القسيس ينبغي أن يكون قادراً على المساعدة في إعادة الأرض المقدسة لأهلها)(61).

كما كانت الموافقة على وعد بلفور متوافقة تماماً مع موقف الكونغرس من هذا الوعد(62)، ووفقاً لإحصائية قامت بها المنظمة الصهيونية في حزيران 1918 حول موقف الكونغرس من الوعد، أجاب فيها 69 من الشيوخ و31 من النواب على استجواب المنظمة، فوافقوا جميعاً على الوعد ولم يكن هناك خلاف بين الجمهوريين والديمقراطيين(63).

إما إن أردنا معرفة اثر وعد بلفور على الشعب الأمريكي ومن خلال الصحافة الأمريكية العامة، فيمكن التوصل بعد قليل من المطالعة في الصحف آنذاك إن المشاعر الصهيونية كانت شاملة وعلى جميع المستويات للطبقات الاجتماعية وكانت المشاعر الوحيدة المعادية للصهيونية والتي يمكن استشفافها من الصحافة هي تلك المنبثقة عن تصريحات صادرة عن شخصيات يهودية معادية للصهيونية(64).

الخاتمة:

أصبحت العقيدة اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية مرتبطة عضوياً بل تكاد تكون متداخلة مع الصهيونية, فاليهودية تمت علمنتها بحيث تحولت الى ما يشبه عبادة دولة (إسرائيل)، وقد نجحت الصهيونية في أن ترسخ في ذهن الجميع أنَّ بقاء دولة الصهيونية هي شرط أساسي لبقاء اليهودية، وإنَّها الحصن الوحيد ضد انحلال اليهودية، بل أنَّ بقاء اليهودية نفسها مرهون ببقائها, وتفاقم الأمر حتى وصل إلى أنّ أصبح معظم يهود الولايات المتحدة الأمريكية يتصورون أنَّ الدولة الصهيونية كنيستهم وأنَّ رئيس وزرائها حاخامهم الأكبر.

ولذا فأنَّ تصاعد النبرة الصهيونية والحديث عن الاثنية اليهودية بين يهود أمريكا ليس كما يعتقد البعض بأنَّه تعبيرٌ عن الانعزال وتماسك الهوية، وإنما هي بمنزلة العكاز الذي يستمد منهُ اليهودي المندمج نوعا من الهوية يساعده على مزيد من الاندماج، إلاَّ أنَّهم وبغض النظر عن مدى صهيونيتهم أو عدمها وظفوا كل ما استطاعوا عمله في سبيل خدمة المصالح اليهودية الصهيونية.

ومن خلال تأملنا في علاقة الرئيس ولسن باليهود والحركة الصهيونية نلحظ قوة الترابط التي جمعتهم لدرجة انه كان مؤمنا إلى حد كبير بالهدف الصهيوني المرتكز على ضرورة جمع اليهود في فلسطين وإقامة دولتهم الموعودة فيها, كل ذلك صاحبه ما قام به اليهود من ترويض وتسيير للرئيس ولسن وبالأخص فيما يتعلق بموقف بلاده أبان الحرب العالمية الأولى وإجباره على مساندة بريطانيا لتصدر وعدها الشهير (وعد بلفور) ومن ثم مساندته الكبيرة لهذا الوعد.

وكل ما قام به ولسن من سياسات مساندة لليهود والصهاينة كانت مصحوبة بتأييد كبير من قبل الكونغرس إضافة إلى مد شعبي مؤيد لذلك. وهكذا نلحظ بصورة ماثلة مدى قوة وترابط العلاقة بين الرئيس ولسن وأدارته مدعومين بتأييد برلماني وشعبي وبين كلا من واليهود والصهاينة.

الهوامش

1- Arthur S. Link and John W. Chambers, Woodrow Wilson as commander in chief, New York University press, 1991,p.43.
2- Joseph P. Tummulyt, Woodrow Wilson As I Know Him, Garden City 1921, p.29.
3- Library of Congress, Woodrow Wilson: Doctor in the White House, p.9.
4- Arthur S. Link and John W. Chambers, op, cit, p.53.
5- ibid, p,59.
6- Arthur Walworth, Woodrow Wilson, Vol.2, 1965,p.14.
7- ibid,p, 20.
8- Joseph P. Tummulyt, op, cit, p.34.
9- ibid, p.37.
10- Arthur Walworth, op, cit,p.18.
11- ibid,p.23.
12- ibid,p.26.
13- Library of Congress ,op cit, p. 15.
14- ibid,p.18.
15- F. Scott Fitzgerald, From Princeton To President, New York 2002,p,11.
16- ibid,p,13.
17- Arthur Walworth, op, cit,p.21.
18- Jack Allen, John L. Betts, History: USA, American Book Company, New York 1967, p.492.
19- ibid,p.498.
20- ibid,p.501.
21- Library of Congress ,op cit, p.22.
22- ibid,p.24.
23- Arthur Walworth, op, cit,p.31.
24- Walter Millis, Rood To War: America 1914-1917, Boston 1935, p.40.
25- ibid,p.42.
26- ibid,p.46.

27- Library of Congress, op,cit, p.33.
28- ibid,p.35.
29- Walter Millis,op, cit,p.58.
30- Library of Congress, op,cit, p.37.
31- Charles G. Fenwick, International Law, New York 1965,pp.14-35.
32- ibid,p.40.
33- John M. Cooper, World War I: European Origins And American Intervention, winter 1980, pp.8-9.
34- Walter Millis,op, cit,p.62.
35- ibid,pp. 74-79.
36- Pat Buchanan, Wilson's War To And War, World Net, July 2003, p.51.
37- ibid,pp.58-69.
38- John M. Cooper, op,cit,p.27.
39- Pat Buchanan, op,cit,p.75.
40- ibid,p.96.
41- رياض جرجورة، صناعة القرار في أمريكا، الدين ـ الاقتصاد ـ السياسة، مركز الإمام الثقافة، بيروت 2004، ص18.
42- Yaakov Ariel, On Behalf of Israel: American Fundamentalist Attitudes Towards Jews, Judaism, and Zionism, 1865-1945 ,Brooklyn, NY: Carlson Publishing House, 1991.,p.40.
43- Regina Sharif, Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History , London: Zed, 1983,p.157.
44- Isaiah L. Kenen, , Israel's Defense Line: Her Friends and Foes in Washington , Buffalo, Prometheus Books, 1982.,p.127.
45- إلياس شوفاني, العلاقة بين الثكنة والعسكر, دار الحصاد, دمشق 1992, ص19.
46- Gilboa, Eytan, American Public Opinion Toward Israel and the Arab-Israeli Conflict (Lexington, Mass: D.C. Heath, 1987),p. 232.

47- ibid,p.235.

48- Abraham Ben-Zvi, The United States and Israel: The Limits of the Special Relationship (New York: Columbia University Press1993,p.24.

49- Schultz, Joseph & Klausner, , Carla From Destruction to Rebirth: the Holocaust and the State of Israel, Washington, D.C. : University Press of America 1978. ,p.88.

50- Donald Hankey, A student in Arms 1917, London 2000, p.5.

51- ibid,p, 16.

52- S.L.A. Marshall, World War One (Boston: Houghton Miflin, 1992),p. 56.

53- ibid,p.67.

54- ibid,p.83.

55- Gerd Hardach, The First World War 1914-1918 (Berkeley: University of California Press, 1977),p. 187.

56- ibid,p.188.

57- S.L.A. Marshall,op,cit,p. 163.

58- ibid,p.167.

59- Gerd Hardach,op,cit,p.209.

60- ibid,p.213.

61- Walter Laqueur and Barry, The Arab-Israeli Reader: A Document History of the Middle East Conflict ,New York: Facts on File Publications, 4th edition, 1985.,p.130.

62- ibid,p.134.

63- Steven Spiegel, The Other Arab-Israeli Conflict, (Chicago, Chicago University Press, 1985) PP. 95-97.

64- The New York times , mars 11,1920.

الخطاب السياسي للرئيس الأمريكي وودرو ولسن
1917-1913

برز وودرو ولسن بسرعة كبيرة جداً فمن رئيس جامعة صغيرة (كجامعة برنستون) في عام 1909م إلى أمل عالمي في صنع السلام الدائم في عام 1918م,[1] ولازال من الصعب الجزم باحتمالية هل كون ولسن رجلاً مهماً نتيجة لأعماله البارزة أم لأنه قد صادف تواجده في المكان والزمان المناسبين!

على كل حال لقد كان ولسن ماهراً في إدارة جامعة برينستون مما جذب انتباه الجهاز السياسي للحزب الديمقراطي فقدموه كمرشح لهم في الانتخابات المحلية على منصب حاكم ولاية ((نيوجرسي))[2]. واثر فوزه الكبير فيها وبروزه في تشريع القوانين ضد الفساد الإداري, وظهور مهاراته الخطابية والكتابية, قرر الحزب الديمقراطي, الذي كان يبحث عن زعيم وطني كفوء له, اختياره ليمثله في انتخابات الرئاسة في عام 1912م.[3]

بدايةً لابد إن نوضح انه ومنذ مطلع القرن العشرين حدثت تغييرات كبيرة في السياسة الأمريكية فالحزب الديمقراطي الذي لم يصل إلى الحكم منذ عام 1897م كان قد حقق فوزاً كبيراً في الانتخابات التشريعية لعام 1910م وحصل على معظم مقاعد البرلمان ثم جاء الانشقاق الكبير الذي حصل في الحزب الجمهوري اثر فشله في اختيار مرشح رئاسي واحد وانقسام أصوات مؤيديه بين ((الرئيس تيدي روزفلت)) و((وليام هاوارد تافت)).[4] وهذا الانتخاب الفريد بين ثلاثة مرشحين كانت سابقة في انتخابات الرئاسة الأمريكية, لكنها في ذات الوقت فسحت المجال لولسن ليفوز بأغلبية كبيرة.[5]

وبتصويت الشعب الأمريكي لمرشح الحزب الديمقراطي – وودرو ولسن – عنى تصويتاً للاهتمام بالمشاكل الداخلية ونبذ الحروب والمشاكل الخارجية التي كان يركز عليها الحزب الجمهوري لاسيما مع المكسيك وأسبانيا.[6] لذلك جاءت

جل اهتمامات الرئيس ولسن على السياسة الداخلية وقد أوضح اولوياته في خطاب توليه منصبه في 4 آذار 1913م ((تنويع موارد الأمة, وتوزيع الثروات بصورة عادلة, وتخفيف المعاناة ومساعدة الضعفاء, والتقليل من الضرائب التي كانت ترهق كاهل المواطنين, وتحديد التعريفة الكمركية وإصلاح النظام الضريبي, بالإضافة إلى تحديد الاعتمادات وقولبة النظام الصناعي في خدمة الدولة, والتأكيد على عدم تعارض سلطة المؤسسات الكبرى مع الحريات الفردية...))[7] والتمعن في هذه الأهداف يجعلنا نلحظ الإصرار الكبير الذي كان يؤكد عليه الرئيس ولسن في وجوب التطبيق الحرفي لمبدأ مونرو والاهتمام بالداخل ومشاكله, وبوجوب العيش في سلام داخلي ((إن الأمة التي تريد العدالة يجب إن تعيش في سلام دائم قدر الامكان لأن قوتنا تأتي من قوة الإنسانية..)).[8] وإزاء هذه النظرة الواقعية لمشاكل المواطن الأمريكي عمل الرئيس ولسن على التصدي لأكثر المشاكل تعقيداً فابتدأ مع مشاكل موجات المهاجرين الضخمة ونزاعات العمل وحركة الإصلاح التقدمية مما زاد من شعبيته بشكل كبير.[9] لكن الاختبار الأكبر لولسن جاء عند اندلاع الحرب العالمية الأولى.

فور قيام الحرب أعلن الرئيس ولسن في 4 آب 1914م حياد الولايات المتحدة ورفع شعار ((البقاء بعيداً)) وجاء قراره متماشياً مع المزاج الوطني إزاء الحروب.[10] وأكد في بيان الحياد ((انه يدعو الأمريكان إن لا يكونوا محايدين في أفعالهم فقط بل وفي أفكارهم أيضا)).[11] ومن الأسباب التي دفعت الرئيس ولسن إلى اتخاذ قرار الحياد, تقاليد الدبلوماسية الأمريكية القائمة على إتباع سياسة العزلة وعدم التدخل في الشؤون الأوربية وقد وضع قواعد هذه السياسة الرئيس الأمريكي الأول ((جورج واشنطن 1789-1796م)),[12] والبعض يرى إن هذا الحياد كان راجعاً إلى طبيعة الرئيس ولسن فهو سلمي النزعة ويعتقد بأن الاستمرار بالحرب أثما كبيرا, بالإضافة إلى تعدد أعراق الشعب الأمريكي وتوزعها بين الدول المتحاربة مما دفع المسئولين الأمريكيين إلى الخشية من إن يؤدي ذلك التعدد

القومي إلى اضطرابات أمنية وانقسامات في صفوف المواطنين,[13] كما إن أمريكا خشيت من إن تنتصر أحدى القوتين ألمانيا أو روسيا وإذا تحقق الانتصار لأحداهما فلابد لها من إن تفرض سيطرتها على أوربا وبالتالي على العالم,[14] ويضاف إلى كل ما تقدم التنافس السياسي الداخلي في الولايات المتحدة وإصرار الأحزاب الرئيسية في البلاد على الحياد واستخدام الحياد والابتعاد عن الحرب كورقة انتخابية في انتخابات الرئاسة الأمريكية,[15] وأخيرا هناك أسباب تتعلق بنظرة الفرد الأمريكي العادي إلى الحرب بأنها كارثة ستؤدي إلى تراجع الحضارة المسيحية, ونشاط أحزاب السلام النسوية, والصراع المرير بين رجال الجيش وأعضاء الكونغرس الذين كانوا يخشون من قيام دكتاتورية عسكرية لذا كانوا يمانعون كل عمل يؤدي إلى الحرب.[16]

ومن الواضح إن الرئيس ولسن لم يتمكن من التحرك مع الإحداث أسرع من الرأي العام الأمريكي, وعلى الرغم من تمسكه بالديمقراطية, فأنه لم يعتقد إنها كانت معرضة للخطر وكان كالراديكاليين الإنكليز قبل عام 1914م, يشك في روسيا وفرنسا بقدر ما يمقت التوسع الألماني,[17] وأيد كلمات ((هاوس)) – مستشاره غير الرسمي – الذي قال ((إذا انتصرت ألمانيا فأن هذا يعني استبداد الروح العسكرية الألمانية طوال أجيال قادمة وإذا انتصرت دول الوفاق فأن ذلك يعني سيطرة روسيا على القارة الأوربية))..[18] كما كانت تعتليه مشاعر الحيرة والارتباك إذ انه كان ينظر إلى بريطانيا وألمانيا من عين أصدقاءه وزملاءه في الجامعات البريطانية والألمانية, حتى انه قد شكر الله على وجود المحيط الأطلسي كحاجز طبيعي بين أوربا وبلاده.[19]

كانت مسألة المحافظة على الحياد قلباً وقالباً مهمة في غاية الصعوبة لأن حوالي ثلث الشعب الأمريكي كانت له صلات وثيقة جداً بأوربا, كما انه لم يكن ممكناً تفادي الآثار النفسية التي سببتها التقارير التي جاءت من أوربا عن همجية ووحشية الحرب والأسلحة الفتاكة والقاتلة المستخدمة في ساحات المعارك, مما أدى

في وقت متأخر من عام 1914م إلى بدأ الجمهور الأمريكي يتقبل بشكل بسيط بعض التغيير في الموقف الأمريكي نحو الدبلوماسية والجيش,[20] خصوصاً إذا حافظ التغيير إلى عدم اشتراك الولايات المتحدة في النزاع الأوربي.

من المعروف إن للولايات المتحدة تجارة بحرية رائجة مع أوربا لكن الحرب الاقتصادية التي شنها كلاً من الطرفين المتحاربين أثرت على تجارتها بشكل واضح وكانت أولى العوامل التي أدت إلى تغير في الموقف الأمريكي حوادث إغراق السفن الأمريكية والاعتداء على طواقمها من قبل السلاح البحري الألماني الجديد ((سلاح الغواصات)) والذي قام بإغراق سفينة الركاب ((لوزيتانيا)) في مساء 7 مايس 1915م مما أدى إلى مقتل أكثر من إلف شخص من ضمنهم ما يقرب من مائة أمريكي ((في الواقع كانت السفينة محملة بشحنة من الأسلحة متجهة إلى بريطانيا)).[21] وعلى الرغم من إن هذا الحادث أثار فورة غضب أوربية إلا إن الرئيس ولسن تعامل معها بالتزام الصمت والعزلة حتى انه لم يخاطب الكونغرس في هذه القضية خوفاً من إن تجر البلاد إلى الدخول بحرب ضد ألمانيا,[22] بل قرر الدخول كوسيط بين المتحاربين لوقف الحرب وأعلن عن ضرورة انعقاد مؤتمر دولي لحل القضايا الشائكة, وأرسل مستشاره هاوس في مايس 1915م لزيارة عواصم الدول المتحاربة لكنه لم يعثر على مجال للوساطة.[23]

وإزاء فشل جهود الوساطة تقدم الرئيس ولسن بمذكرة احتجاج على ألمانيا بسبب حادثة لوزيتانيا إلا إن القيصر ((وليم الثاني 1888- 1918م)) رفضها, وسبب هذا الرفض أزمة حقيقية في الولايات المتحدة هددت بتقويض الدعم الشعبي للرئيس في الانتخابات القادمة وأثارت الهياج العام ودفعت هيئة الأركان الأمريكية إلى التفكير الجدي بدخول الحرب.[24] وهكذا تدخلت الانتخابات الأمريكية لتحديد موقف الإدارة الأمريكية لاسيما إن الجمهوريون كانوا يستغلون الموقف إلى أقصى حد ممكن, مما دفع الرئيس ولسن إلى التفكير في سبل إيجاد سياسة انتخابية جديدة وقد حضي بذلك عندما تلقى نصيحة من سكرتيره الشخصي ((تومولتي)) في آب

1915م بضرب استراتيجية الجمهوريين الانتخابية القائمة على ((التعريفة الكمركية ومسألة الدفاع الوطني)),[25] باعتماد برنامج عملي ترتكز مكوناته على دعم صادق من الوزارة وزعماء الحزب الديمقراطي وقادة وإفراد الجيش والبحرية والشعب الأمريكي, وبما إن جميع هذه الأمور قائمة على كسب دعم الجيش والشعب, اقترح تومولتي إن يصر الرئيس ولسن على الموافقة على سياسة إصلاح الجيش وتشكيل قوات عسكرية لا تتجاوز المليون مقاتل يطلق عليها اسم ((الجيش القاري)) يكون جاهزاً لأي طارئ.[26]

وقد برر الرئيس ولسن هذه الأعمال للشعب الأمريكي بأنها لا لغرض المشاركة في الحرب كما تبدو ولكن لتوفير اكبر قدر ممكن من الحماية للولايات المتحدة, ورد على زعماء الحزب الجمهوري الذين أكدوا انه قد ضرب بكافة الأسس التي كانت تعتمدها الأمة الأمريكية في زمن السلم, بأن عمله جاء نتيجة الخوف من الاحتلال الألماني وانه يجب التخطيط على ضوء الاشتراك في ساحات المعارك بغض النظر عن عدم اشتراكنا في الحرب؟

ارتأى الرئيس ولسن الاعتماد في حملته الانتخابية على إلقاء الخطب في كنائس نيويورك ومثيراً قضية مدينة القدس ووجوب فتحها إمام مسيحيي العالم, في محاولة منه لكسب أصوات المتدينين المسيحيين في الانتخابات, كما خطب في الجمعيات العمالية والمجالس التجارية واغلب الولايات الأمريكية,[27] ورفع شعار انتخابي يحمل اسم ((هو أبعدنا عن الحرب))[28] لكنه بدأ يوضح في خطبه عن تطور جديد في أفكاره السياسية ورؤيته للواقع الدولي عندما صرح في 21 كانون الثاني 1916م ((إنني لاستطيع إن أحافظ للولايات المتحدة على السلام والشرف طويلاً))[29] كما ألقى خطاباً في 3 شباط في – سانت لويس – أكد فيه على إن أمريكا ستخوض الحرب كمعتدى عليها, وقد أدت تصريحاته التي وصفت بالحربية إلى معارضة كبيرة في الكونغرس مما جعله في موقف حرج إذ كان عليه إن يقرر طريقه بصورة أكثر وضوحاً.[30] أي إما إن يخاطر بعلاقته مع أعضاء حزبه

المؤيدين للحياد الكامل أو المخاطرة بعلاقته مع العسكريين المؤيدين على وجوب إعداد الجيش للحرب, لكن الرئيس ولسن بقي متردداً لأكثر من ثلاثة أسابيع مما دفع مستشاره العسكري على الاستقالة لكنه حزم أمره في مطلع آذار 1916م وقدم لائحة إصلاح الجيش وتشكيل الجيش القاري إلى الكونغرس,[31] لكنه وبعد خمسة أسابيع ومن جلسات النقاش العقيمة رفض الكونغرس اللائحة,[32] خصوصاً بعد إن سحب الرئيس ولسن دعمه للائحة وعودته لأفكار حزبه الحيادية, فضلاً عن التأثير الكبير لقادة الحرس الوطني الأمريكي الذي كانوا لا يريدون أي منافس لهم, وتردد الولايات المتحدة بقبول أي شيء يؤدي ولو بالتلميح إلى احتمالية العمل بالتجنيد في زمن السلم, وتوظيف الحزب الجمهوري لهذه القضية في سياسته الانتخابية مما خلق رأي عام معارض بشكل كبير لها.[33] وهكذا كانت لائحة إصلاح الجيش رهينة بسياق الانتخابات الرئاسية وتردد الرئيس ولسن وضعفه إمام أعضاء حزبه ورضوخه لطلبات الكونغرس.

لكن الرئيس ولسن بدا في هذا الوقت أكثر اقتناعاً بأن بلاده سائرة نحو الحرب لذلك رأى إن الطريقة الوحيدة لأبعادها هو التوسط من اجل وضع حد للقتال, فقام بتقديم العديد من الاقتراحات للأمم المتحاربة لكن عروضه رفضت مرارا.[34] وقد شعر إزاء ذلك انه فقد فرصة التأثير على الإحداث في أوربا خصوصاً بعد قيام الألمان باستخدام حرب الغواصات المفتوحة ((أي إغراق السفن بدون إنذارها, مدنية كانت أو تجارية)) وإغراقهم في 24 آذار 1916م للباخرة الأمريكية ((سوبيسك)) وأدى هذا العمل إلى إثارة قلق شعبي كبير في أمريكا بما يخص مستقبل العلاقات مع ألمانيا ظهر ذلك في الصحافة العامة وظهر أكثر في أوساط الجيش الذي طالب قادته بقطع العلاقات مع ألمانيا,[35] مما دفع الرئيس ولسن والذي أغضبه هذا العمل إلى إرسال تحذير إلى الحكومة الألمانية يؤكد فيه على وجوب ترك حرب الغواصات المفتوحة وألا ستجبر أمريكا على دخول الحرب ضدها.[36] وقد رضخت ألمانيا لهذا الضغط في 4 مايس 1916م وأوقفت

عملياتها الحربية ضد السفن الأمريكية,[37] لكن اثر هذه القضية كان كبيــراً علــى الرئيس ولسن الذي أصبح مقتنعاً جداً بأن بلاده ستدخل الحرب في الوقــت الــذي تحدده ألمانيا إذا ما قررت معاودة عملياتها الحربية ضد السفن الأمريكية في أوربا.

وبعد إن أعيد انتخاب الرئيس ولسن قرر إن يبذل جهد أخير لإثارة اهتمــام الدول المتحاربة من اجل التفاوض للوصول إلى السلام, وسأل كل بلد إن يقدم إليه شروطه, ولكن الإجابات التي وصلت كانت غير ايجابية وغير واقعية بالمرة. فقام بعرض الأمر على الكونغرس في كانون الثاني 1917م كما أطلعه على شــروطه الخاصة لأنهاء الحرب, والتي كانت ترتكز على ((يجب على الحــرب إن تنتهــي بسلام من غير نصر)) أي كان مقتنعاً بأن تعود الحالة إلى ماقبل آب 1914 لكــن جهوده فشلت ثانية في استقطاب المتحاربين.[38]

يبدو إن توقعات الرئيس ولسن في قدرة ألمانيا على جر أمريكا للحــرب, إذا ما قررت استئناف حرب الغواصات المفتوحة, قد رجحت عنــدما اســتلم وزيــر الخارجية الأمريكية ((روبرت لانسنك))[39] في 31 كانون الثاني 1917م برقية من الحكومة الألمانية تعلن فيها تراجعها عن قرارها السابق في وقف حرب الغواصات المفتوحة وإعلان استئنافها من جديد وبشكل غير مقيد حــول فرنســا وبريطانيــا وايطاليا وفي شرقي البحر الأبيض المتوسط وبأن كل السفن التي ستتواجد في هذه المناطق عسكرية كانت أو مدنية سيتم إغراقها واعتبارها معادية.[40] لــذلك اعتقــد الرئيس إن الحل الوحيد الذي إمامه لتفادي التدخل الأمريكي في الحرب الأوربيــة هو وضع خطة لتسليح السفن التجارية,[41] وهــو بــذلك ســيحقق أمــرين, الأول المحافظة على التجارة الأمريكية عبر الأطلسي, والثاني ردع ألمانيا من ارتكاب أي فعل علني يؤدي إلى الحرب بين البلدين.

ويبدو إن ولسن نجح في كسب الجولة مع ألمانيا إذ أعلن في 26 شــباط إن السفن الأمريكية لم تتعرض لأية اعتداءات من قبل الغواصات الألمانية وبذلك فــأن

الأمر لا يستحق أي رد عنيف أو قوي من الولايات المتحدة ما دام الألمان ملتزمون بعدم الاعتداء على السفن الأمريكية, لكنه أشار في نفس الخطاب إلى إن العديد من السفن الأمريكية التجارية بقيت راسية في المواني الأمريكية ولم تغادر إلى أوربا خوفاً من الغواصات الألمانية,[42] ومعنى ذلك إن الرئيس ولسن وان نجح في ردع الألمان من مهاجمة السفن التجارية الأمريكية إلا انه فشل في الحفاظ على التجارة الأمريكية نفسها, لذا أوضح ((... بأننا يجب إن ندافع عن تجارتنا وحياة شعبنا...ويجب أن نختار الطريقة المناسبة للدفاع عن مصالحنا...وأرى من المستحيل حماية حقوقنا المحايدة بالوسائل السلمية والدبلوماسية في ضوء الانتهاكات الألمانية...)),[43] وكان هذا الكلام إنذارا واضحاً لألمانيا في إنها ستجر أمريكا لكن الألمان كانوا مقتنعين بضعف عدوهم الجديد.

في ذات الوقت قام الرئيس ولسن بالعديد من الأعمال المتزامنة والتي توضح ماهية الطريقة التي بدأ يفكر بها, فقام بإيفاد الجنرال ((ليونارد وود)) لزيارة دول الوفاق في محاولة لفهم وإدراك النزاع للتحضير والاستعداد لدخوله,[44] كما قام بدعم موقف رئيس هيئة الأركان الأمريكية اللواء ((هيو سكوت)) الذي بدأ بتوظيف المشاعر والآمال المسيحية واليهودية للحصول على دعم للدخول في الحرب عن طريق استغلال قضية مدينة القدس – مهد الأنبياء وارض المعاد – .[45] فضلاً عن ذلك فقد وافق الكونغرس في 1 آذار 1917م على اللائحة التي كان قد تقدم بها الرئيس ولسن والتي تقضي بتسليح السفن التجارية الأمريكية ولم يعارض هذا المشروع سوى ((18)) صوتا..[46] وفي 12 اذار أعلن البيت الأبيض إن جميع السفن الأمريكية وبضمنها التجارية باتت مسلحة وستدافع عن نفسها ضد الهجمات الألمانية,[47] ومع بساطة هذا التسليح وعدم جدواه في المقاييس العسكرية إلا إن غايات الرئيس كانت ابعد من هذا الأمر, وهي دفع البلاد إلى الحرب أو إجبار ألمانيا على التفاوض السلمي مما يحقق لبلاده الشرف والسلام والأهم من ذلك الحصول على مقعد في مؤتمر السلام القادم؟

إلى هنا ويبدو إن موقف الرئيس لم يصل إلى القرار النهائي والجازم بدخول الحرب لكن جرت ثلاثة أمور كانت حاسمة في دفع الرئيس ولسن على اتخاذ قرار المشاركة في الحرب, أولها هي استلام الخارجية الأمريكية من الحكومة البريطانية لبرقية ألمانية سرية مرسلة من قبل وزير الخارجية الألماني ((زيمرمـــان)) إلـــى الوزير الألماني المفوض في المكسيك في 24 شباط 1917م تقضي بقيام تحـــالف بين ألمانيا والمكسيك ضد الولايات المتحدة في مقابل استرجاع المكسيك لأراضيها المسلوبة من قبل الولايات المتحدة وهي ((نيومكسيكو, أريزونا, تكساس)) على إن تتكفل المكسيك بالتوسط لقيام صلح ألماني – ياباني يوظف فيمـــا بعـــد لمهاجمـــة الولايات المتحدة,[48] وثانيها قيام الثورة الروسية في آذار 1917م والتـــي أنهـــت الحكم القيصري الاوتوقراطي وقيام حكم ديمقراطي مما غير في نظـــرة الـــرئيس ولسن إلى إن انضمامه إلى دول الوفاق في الحرب سيكون تأميناً للديمقراطيات في العالم,[49] إما ثالث هذه المستجدات فكان اجتماع الوزارة الأمريكيـــة فـــي 20 آذار 1917م والذي كان أعضاؤها مجمعين على الحرب بشكل كبيـــر,[50] ممـــا خلـــق اقتناعاً لدى الرئيس بأن إعلانه الدخول في الحرب لن يكون مغامرة غير محســوبة النتائج بل سيكون تماشياً مع سياسته العامة والقاضية بالسير مع مزاج الرأي العـــام الأمريكي.

على إن هناك العديد من الأسباب التي دفعت بالرئيس ولسن إلى اتخاذ قرار الحرب ويأتي في مقدمتها القروض الأمريكية الهائلة لدول الوفاق والتـــي أثـــرت كثيراً في اتخاذ قرار المشاركة في الحرب,[51] ودور تجـــار الســـلاح فـــي الـــدفع بالحكومة الأمريكية إلى دخول الحرب بعد الارتفاع الكبير في مشـــتريات الوفـــاق للأسلحة الأمريكية, ولما كانت اغلب المبيعات كانت تأتي عن طريق القروض فقـــد كان هؤلاء حريصين كل الحرص على رجحان كفة الحرب لصالح دول الوفاق.[52] كما يجب إن لا تغفل دور بورصة ((الوول ستريت)) في دفع البلاد إلـــى الحـــرب والضغط على الحكومة الأمريكية كي تتدخل في الحرب, وقد استعملت نفوذها فـــي

الكونغرس والإدارة والصحافة لهذا الغرض لأنها كانت تأمل ارتفاع سعر الأسهم وزيادة بيعها مع دخول البلاد إلى الحرب, مع العلم إنها لم تكن تهتم إلى أي جانب ستحارب الولايات المتحدة بل الأهم إن تحارب فقط.[53]

وقبل إن يعلن الرئيس الدخول في الحرب قرر توجيه صفعة سياسية جديدة لخصمه ((تيدي روزفلت)) – زعيم الحزب الجمهوري – والذي كان يداعي بالتطوع الفوري والتوجه فوراً إلى فرنسا, عندما قرر الرئيس في 24 آذار تقديم لائحة التجنيد الإجباري والذي لا يدخل حيز التنفيذ إلا في حالة ارتكاب ألمانيا لفعل معادي علني وفي وقت يكون فيه الكونغرس في حالة انعقاد أو في حالة فشل نظام التطوع,[54] وبدا واضحاً إن العسكريين لم يكن لهم دور في دفع الرئيس إلى اتخاذ هذا القرار بل برز تأثير العوامل والاعتبارات السياسية.

وفي الساعة 8:32 من مساء يوم 2 نيسان 1917م وقف الرئيس إمام الجلسة المشتركة للكونغرس ليعلن ((..إخفاق الحياد مع ألمانيا, والطريق الوحيد الحرب..)) ثم قدم تبريراته الستة والثلاثون لدخول بلاده الحرب والتي كانت جميعها تتمحور في الانظمام إلى معركة الديمقراطية وضمان الحريات وتحرير الأمم الصغيرة وتحقيق السلام والأمن والحياة الكريمة لكل شعوب العالم.[55]

وهكذا نلحظ التطورات والتبدلات التي طرأت على أسلوب وطريقة الرئيس ولسن في معالجة أزمة الحرب وكيف تغيرت تدريجياً نظرته إلى الأمور والإحداث وكيف تغيرت بياناته وخطاباته حتى اختفى تدريجياً تردده وعجزه وكيف تبدل إلى ثقة وحزم.

وعلى كل حال لقد ترأس ولسن الأمة الأمريكية في وقت مهم وخطير كما إن أعماله ألهامه والسياسية مازالت تؤثر في الولايات المتحدة إلى اليوم, على الرغم من انه قد امتاز بتضارب الآراء وكثرة الأخطاء والترددات, لكن أسلوبه ومبادئه كانت فريدة.

الهوامش

1- Steve Williams, Tour of Belgium, New York 2000,p.3.
2- Arthur S. Link and John W. Chambers, Woodrow Wilson as commander in chief, New York University press, 1991,p.211.
3- Michael J. McCarthy, The war college division and American Military planning for the AEF in world war I, Marshal University 1993,p.8.
4- ibid, p.13.
5- F. Scott Fitzgerald, From Princeton To President, New York 2002,p.2.
6- ibid, p.3.
7- FRTR, Presidents: Woodrow Wilson, First Inaugural Address, March 4, 1913,p.22.
8- ibid, p.9.
9- Arthur S. Link, op, cit,p.13.
10-Jack Allen, John L. Betts, History: USA, American Book Company, New York 1967, p.505.
11-Arthur S. Link, op, cit, p.16.
12-Charles G. Fenwick, International Law, New York 1965,p.5.

13- سمعان بطرس فرج الله, العلاقات السياسية الدولية في القرن العشـــرين, مكتبة الايكمو المصرية, القاهرة 1974, ص374.

14- المصدر نفسه, ص377.

15-Joseph P. Tummulyt, Woodrow Wilson As I Know Him, Garden City 1921, p.83.
16-Jane Addames, What War is Destroying, 1915, pp.5-64.
17-Private Papers of colonel House, I , 291.
18-House To Wilson, 22 August 1914.
19-Library of Congress, Woodrow Wilson: Doctor in the White House, p.9.
20-Library of Congress: America And The First World War.

21-Walter Millis, Rood To War: America 1914-1917, Boston 1935, p.164.
22-John M. Cooper, World War I: European Origins And American Intervention, winter 1980, pp.8-9.
23-Wilson To Garrison And Wilson To Daniels, 21 July 1915, pww, 34:4-5.
24-Robert E. Osgood, The Great Trans formation of the Twentieth Century, University of Chicago press, 1953,pp.83-204.
25-ibid.
26-Frederick Palmer, The Life And Letters of General Tasker Howard Bliss, New York 1934, p.102.
27-Mick McCarthy, Op, Cit,p.32.
28-Pat Buchanan, Wilson's War To And War, World Net, July 2003, p.12.
29-ibid, p.14.
30-ibid, p.17.
31- Kreidberg And Henry, History of Military Mobilization, pp.174-193.
32-Report of The Secretary of War, In War Department Annual Report, 1916, pp.23-59.
33-Mick McCarthy, Op, Cit, p.43.
34-Haw To Wilson, 5 February 1916.
35-Scott To Macomb, 24 February 1916, RG 165/ 9433-6 NA.
36-Arthur Walworth, Woodrow Wilson, Vol.2, 1965,p.32.
37-ibid, p.34.
38-Pat Buchanan, Op, Cit, p.15.
39-ibid.
40-Bernstorff To Lansing, 31 January 1917, PWW, 41:74-9.
41-Mick McCarthy, Op, Cit, p.49.
42-ibid, p.53.
43-Jack Allen, Op, Cit, p.508.
44-Chester Harding, Canal Zone, Box2, Baker papers, Loc.

45-Franklin Dinner, Philadelphia, 17 January 1917, Box 81, Scott papers, Loc.
46-Richard Lowitt, The Armed- Ship Bill controversy, Mid America 1964, pp.38-47.
47-Press Statement, 12 March 1917(Enclosure II in note from Report Lasing, 9 March), PWW, 41:372.
48-U.S. National Archives And Records Administration, The Zimmermann Telegram, Washington, DC.
49-Frank E. Smitha, 1917: Revolution, The US And War, New York 2000, p.5.
50-The World War I Document Archive, Lansing's Memorandum of the cabinet Meeting, 20 March 1917.
51-Baker To Theodore Roosevelt, 13 April 1917, Box 3, Document 63, Baker papers.
52- محمد صالح المسفر, منظمة الأمم المتحدة, ط1, مكتبة دار الفتح, قطر 1991, ص48.
53-Congressional Record, 65the cong, 1st sess, Vol LV, pt 1, pp.13-213.
54-Baker To Wilson, 26 March 1917, PWW, 41:478.
55-Woodrow Wilson, War Messages, 65the cong, 1st sess, senate Doc. No.5, serial no, 7264, Washington, DC. 1917, pp.3-8.

السيرة الذاتية للمؤلف

- الاسم الرباعي واللقب: أ م د. ميثاق بيات عبد مجرن ألضيفي
- محل وتاريخ الولادة: العراق- صلاح الدين- بيجي 1976
- الاختصاص العام: تاريخ أوربي.
- الاختصاص الدقيق: يهود أوربا.

الكتب المنشورة:

1- السياسة الخارجية الأمريكية 1907_1918.

2- السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل في عهد إدارة الرئيس الأمريكي ديفيد دوايت إيزنهاور.

- البريد الالكتروني:

Mba1111111@gmail.com

1



دار الحامد للنشر والتوزيع

الأردن-عمان

هاتف: 5231081 فاكس: 96265235594+

ص.ب:366 عمان 11941 الأردن

E-mail:dar_alhamed@hotmail.com

E-mail:Daralhamed@yahoo.com



